رسالة إلى شباب الأمة

الانتماء الحضاري والهوية الثقافية

في ضوء عروبة القرآن

أو

الإسلام العربي

معالم في طريق الوحدة والتعايش والاعتدال

لتدبر القرآن وفهمه بلسان عربيٍ مبين

علاء الدين المدرس

٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ
دار الرقيم للنشر والتوزيع/ بغداد

٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ
دار الرقيم للنشر والتوزيع/ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وكذلك أنزلناه قرآنياً عربياً

وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾ [1]

[1] سورة طه/ ١١٣

الاهـداء

الـى شباب الأمـة وفتيانها الـذين ألهبت قلـوبهم حماسـة الشباب والغيرة علـى هـويتهم وثقافتهم التي عصفت بها رياح التغيير في عصر العولمة وثقافاتها وتداعياتها.

والـى القائمين على مناهج التربية والتعليم والاعلام فـي بلادنا العزيزة، لعل الله يقذف في قلوبهم الأمل والعمل في ظل وحدة المنهج والرؤى والآليات، لاشاعة التناغم بين الفكر والسلوك الثقافي، والاسهام في تدعيم أركان ثقافتنا المخترقة.

والى حواضر العرب ومدنهم العريقة النابضة بالحياة والأصالة والحضارة.

الـى القاهرة أم الثقافة العربيـة الحيـة وعاصمة العرب المعاصرة، والـى دمشق التاريخ أول عاصمة للحضارة العربيـة الاسلامية، والـى بغداد الحضارة والتراث الخالد، التـي تعرضت لما تعرضت لـه من مآسي وأهوال خلال السنين العجاف، مما بات يهدد هويتها وتاريخها العريق، من قبل حسادها والطامعين فيها.

الى غرناطة وقرطبة عاصمتا الأندلس، فردوس العرب المفقود. غرناطة (كرينادا) التي كانت آخر معاقل العرب سقوطاً في أوربا العصر الوسيط، بعد طليطلة وأشبيليا وقرطبة.. وهي التي شغلت الدنيا بعلومها وتقدمها، **وكانت السبب الرئيس للتقدم والتطور الذي نعمت به أوربا بعد عصر النهضة.**

والى كل انسان حر يسعى الى تحقيق حضارة العلم والايمان وتجسيد الوحدة والمحبة والسلام في أعماق النفس الانسانية، قبل أن تتجلى واقعاً على الأرض.

نهدي هذا الكتاب الذي يعبر عن رؤية معاصرة وقراءة جديدة، للعلاقة الجدلية بين العروبة والاسلام، في ضوء القرآن والعلم، عسى أن تكون حافزاً لنا لاستعادة الوعي بالذات، ودافعاً قوياً للوحدة والنهوض واستلهام الدور المنتظر لأمة القرآن، لكي تهب كالبنيان المرصوص للذود عن وجودها الحضاري، الذي بات مهدداً **في عصر العولمة** وزمن (الربيع العربي). ذلك الاسم الذي أُطلقه الاعلام الحالي على الواقع العربي في عصر التغيير والتجديد.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب.. ٥
المقدمة.. ٧
المفهوم الرباني والمفهوم القومي للعرب والعروبة ١٥
مكة أم القرى وقبلة العالمين وأول بيت وضع للناس ٢٩
المسجد الأقصى وتراث الأنبياء ٣٦
تدبر القرآن بلسان عربي مبين.. ٣٨
الحصان العربي وخيول العالم.. ٤٦
الطب العربي والطب النبوي ٤٩
وقفة تأمل مع الشعر العربي ونماذج مختارة منه ٥٥
اللسان العربي المبين ٦٨
الحرف العربي وتاريخ كتابته ٧٤
تعدد الألسن والألوان يتكامل مع وحدة اللغة والأصل البشري.. ٧٧
لا تعارض بين عروبة العقيدة والانتماء القومي ٨١
ترادف دلالة لفظ العروبة والإسلام في التراث الإسلامي ٨٢
جزيرة العرب موطن الحضارة الأولى الأصيلة للانسان ٨٥
مفردات شائعة الاستعمال بين العربية واللغات الأوربية ٩٠
الجغرافية التاريخية لأقوام الأنبياء ورسالة التوحيد ١٠٦
أثر لغة القرآن في اللغات الأوربية.. ١٢١
عروبة اللغات الأوربية.. ١٢١
الأدوات والبادئات اللغوية.. ١٢٣
تطور المعاني والدلالات اللغوية.. ١٣٦
مميزات اللهجات العروبية مقارنة مع اللغات الأوربية ١٣٧
أسماء دينية وتاريخية تبين الصلة بين العربية واللغات الأوربية.. ١٤٢

عروبة اللغة اللاتينية ١٤٣
اللهجات العربية في لفظ حرف القاف.. ١٤٤
عروبة شعب اللاتين.. ١٤٦
تاريخ صنم اللات.. ١٤٨
بيت اللات في روما القديمة.. ١٥١
خارطة الهجرة والنزوح لشعب اللاتين ١٥٥
العربية لغة العالمين.. ١٦٢
العربية الأم والعربية والعروبية ١٦٣
الحضارات العروبية ١٦٤
انتشار اللغات العروبية في التاريخ القديم.. ١٦٦
اللغة العروبية لغة الديانات السماوية وكتاباتها ١٦٧
قالوا في العربية لغة الحكمة والبيان ١٦٨
أقوال غربية في لغة القرآن ١٧٠
مفردات الحداثة والتقانة في اللغات الأوربية ذات الأصل العربي ١٧٤
مصادر الكتاب ١٩٢
صدر للمؤلف.. ١٩٧

المقدمة

يعد موضوع الهوية والانتماء اليوم من أخطر التحديات التي تواجه الشباب وثقافتهم المعاصرة، وتوجههم الفكري والسلوكي، في عصر العولمة والانفتاح الحضاري الهائل على ثقافات الأمم الأخرى. إننا نكاد نتحسس اليوم وجود مشاكل عديدة تواجه شباب الأمة وتضغط عليهم، باتجاه موضوعة الانتماء الحضاري والقومي وتغيير الهوية، ممثلةً باللغة والدين والثقافة عموماً. وان أهم صور تلك التحديات المضادة، التي غزتنا في عقر دارنا بسبب الثقافة الوافدة هي، تحدي ثقافة التغريب، والتحدي الشعوبي الذي يقوم على أساس عقيدة كره العرب واحتقارهم وإلصاق المثالب في تراثهم العريق، ونشر الفساد والفجور والإلحاد بينهم، فيما سمي قديماً، بالمجون والزندقة وثقافة الكره والأحقاد، بدل منهج الاستقامة والإيمان وثقافة المحبة والأخوة التي يدعو لها الإسلام الحنيف.
والجدير بالذكر أن الشعوبية المعاصرة لا تقتصر فقط على فرق الغلو والباطنية، التي ترعرعت في العصر العباسي، بسبب الاحتكاك والتنافس الحضاري والديني بين الحضارة الإسلامية والحضارة المجوسية المندحرة في حينها، وإنما امتد ذلك النفس الشعوبي اليوم المعادي للعروبة والاسلام، ليشمل الغرب الاستعماري الصليبي الصهيوني، بجناحيه الفكري المرتكز على الثقافة التوراتية والثقافة الرومانية، وما تبعه من نظرةٍ متعالية ومنحازة تعتمد مفاهيم الاستعلاء والغطرسة الغربية التي أصبحت جزءاً مهما من الثقافة الغربية المعاصرة، وما يبشر به بعض منظري الغرب، في محاولة لاعادة الأمجاد الرومية القديمة، لاحكام السيطرة على العالم والهيمنة على مقدراته، وتصدير مفاهيمه الثقافية المعاصرة، تحت شعار الحداثة والديمقراطية والعلمنة والعولمة وغيرها، مما يفتخر به الغرب اليوم، بروح متعالية و متكبرة، تزدري وتهمش باقي الثقافات والحضارات التي ساهمت في بناء حضارة الإنسان منذ القدم. إن الشعوبية المعاصرة ذات رؤوس ثلاثة متحالفة ومتعاونة فيما بينها، هي (الامبريالية الغربية واليهودية العالمية

والمجوسية الباطنية)، وهي تلتقي تحت مظلة المصالح والقواسم المشتركة والكذب الإعلامي الرخيص. إذ تلتقي في أهداف موحدة كبرى، لاقتسام الإرث الحضاري والمادي لأمم الأرض الأخرى، من خلال نشر المبادئ الشعوبية القديمة، ممثلةً بالإلحاد والفساد وثقافة الكره والتهميش، لكل من يحاول منافستها والدخول في المنتدى الأممي الحضاري، للإسهام في بناء الحضارة والتقدم الدولي الحديث، وفي مقدمة تلك الأمم، أمة العرب والإسلام، صاحبة الرسالة الخاتمة، التي أناطها الله سبحانه بها، لكي تعيد مسيرة الحضارة إلى الصراط المستقيم، لعبادة الله رب العالمين، ونشر العدل والسلام في ربوع الأرض، كما كانت متلألئة في عصور حضارة القرآن التليدة. فالعربي اليوم محاربٍ في انتمائه القومي والديني وتقاليده الاجتماعية والأخلاقية، ويواجه تحدياً داخليا وخارجياً على السواء، باعتبار أن القومية العربية قد وضعت منذ مطلع القرن الماضي على التضاد، وفي المواجهة المباشرة، مع القومية التركية والفارسية والكردية وباقي القوميات في العالم الإسلامي، وذلك بسبب زرع الثقافة العنصرية بين أبناء الأمة، مما أدى في نهاية المطاف إلى تفتت العالم الاسلامي وبداية التمزق والتشرذم، الذي عانى منه العرب والمسلمون في القرون الأخيرة، ولا زال يعاني منه حتى الآن. وهذا هو التحدي المحلي والإقليمي للأمة، لما يحيط بالعرب من أقوام وأعراق وشعوب مسلمة، كانت منذ وقت قريب منصهرة في بوتقة واحدة ومنهج واحد، ومتحدة فيٍ أمة واحدة هي أمة القرآن، وكانت هذه الشعوب جزءاً أساسياً ومكوناً جوهرياً لها. وقد تعاونت فيما بينها، لتفعيل دور حضارة القرآن على الأرض.

أما التحدي الخارجي الذي يواجه العرب اليوم، ويحاربهم بكل ما أوتي من قوة، لتغيير هويتهم، فهو التحدي الثقافي الغربي المعاصر، والذي تقوم ثقافته، المبنية فكرياً وتراثياً على الإغريقية والتوراتية، وحداثياً على ثقافة العلمنة والعولمة، للتبشير بحضارة الغرب المادية. أما دينياً ورسالياً فإننا نواجه اليوم تحدياً كبيراً، من قبل دعاة التهويد والتوراتية من جهة، ودعاة التنصير والصليبية من جهة

ثانيـة، ودعـاة التمجـيس والباطنيـة مـن جهـة ثالثـة، مصـداقاً لحـديث التـداعي المعروف (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها...) وحديث مولود الفطرة (كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ...) وكل ذلك من أجل أن نتخلى عن هويتنا القومية والدينية، لصالح دعاة الترضية والشعوبية والباطنية بكل صنوفها القديمة والحديثة.

إن الحرب الإعلامية اليوم موجهة بشكل مكثف، بكل أدواتها الإعلامية المرئية والمقروءة والمسموعة، لتشكيك الشباب العربي بعقيدتهم وتاريخهم وتراثهم الأصيل، واحتقاره ونشر مثالب تاريخنا وتراثنا، وتسليط الضوء على الغث والسيء منه، وتضخيم الأحداث التاريخية عن قصد، والتلاعب في النسبة والتناسب في مكوناته، لخدمة الأهداف الشريرة. وفي مقدمة ذلك بطبيعة الحال، تلك الجهود المحمومة لنشر ثقافة الفساد والمجون والإلحاد والزندقة والانحراف والشذوذ والأنانية، وكل ما يتصل بمفاهيم الإثم العدوان بين شباب الأمة، بغية تفجير الجنس وتهديم الأسرة العفيفة ونشر ثقافة الحيونة، ومسخ شخصية الفرد العربي وانتمائه وهويته المرتبطة بتعاليم القرآن، وكذلك لمحاولة فرض العجمة والأمركة والفرنكة، واعوجاج اللسان المبين وشل وابطال السليقة والفصاحة في لغة العرب المضيئة، لغة القرآن، لابعاد شبابنا وحرفهم عن الفطرة السليمة والحنيفية السمحة، ومنعهم عن الفهم الأمثل لكتاب الله ورسالته الخالدة، فهماً ربانياً أصيلاً بلسان عربي مبين.

لقد نجح المخطط الغربي المعد لإفناء الأمة حضارياً ومسخ هويتها – ولو نسبياً – عن طريق الغزو الثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري، حتى وجدنا اليوم شباباً بيننا، هم أبناؤنا وإخواننا، وقد تزاحمت في ألسنتهم كلمات، الفرنكو عرب والانكلو عرب، حتى أصبحت العجمة والألفاظ الأجنبية تفوح رائحتها من كلامهم، وطغت على لسانهم العربي المبين. وقد وصلت نسبة العجمة في كلام بعض شبابنا إلى الثلثين أو أكثر، فكان لسانهم الأعجمي غير المبين، مقدمة لاستبدال الهوية وتحويل الانتماء في الفكر والعقيدة والسلوك.

لاشك أن الحرب الكبرى المقبلة –لو حدثت– ستكون حرب إعلامية. حرب ثقافية في الانترنت والفضائيات والاتصالات ومراكز البحوث والدراسات، وستؤدي الى صدام الحضارات، كما يسميها الغرب اليوم، وهو سيد العولمة بلا منازع، المتربع على عرشها، التي تكاملت في أواخر القرن الماضي. إنها ستكون حرب هوية وانتماء، للأمم والشعوب والحضارات والأديان والمذاهب، وسيكون مسرحها وميدان فعالياتها وأحداثها – على الأرجح – شاشة التلفاز والمذياع والهاتف الخلوي وشاشة الحاسب الآلي. إنها ستكون حرب الكترونية رقمية ملتهبة، تقذف بحممها وبراكينها الحارقة المميتة، من الأفكار والثقافات والنظريات التي تصطرع في هذا العالم المترامي الأطراف، والذي لم يعد يمثل قرية صغيرة – كما قيل – إنما صار شقة صغيرة فحسب.

ولعل التاريخ والحضارة ستشكل أكبر ميادين الصراع اشتعالاً وتراشقاً، في هذه الحرب الفريدة المقبلة...إنها ستكون – بكل بساطة – حرب لسانية إعلامية بين الكفر والإيمان، بين الشيطان والرحمن، بين الهوية الأصيلة المضيئة وبين الزيف والدجل والظلام، وإنها ستترجم الصراع الأبدي القديم بين الحق والباطل. فكيف ستكون مشاركتنا فيها، وكيف سيكون استعدادنا في الدفاع عن هويتنا وانتمائنا وفكرنا وثقافتنا ودِيننا وتاريخنا في هذه الحرب الكبرى؟..

لعلنا نلمس اليوم ظلالاً واضحة للحكمة التي تقول: لقد استلب منا التاريخ والهوية قبل أن تستلب منا الأرض والأوطان. فكيف ومتى تم ذلك؟.. ونحن أمة الأمم وقادتها ومنقذوها من براثن الشيطان ومنهجه. ونحن أصحاب الرسالة الخاتمة، وصوت الإيمان الأبدي، والمؤتمنون على رسالة رب العالمين، المتمثلة بكتابه الخالد (القرآن الكريمٍ)، تلك النسخة الربانية الأصيلة من وحي السماء. الرسالة المرسلة خصيصاً إلى كل فرد منا، لكي يستنير وينير من حوله، ويستخلف الأرض ويصلحها، بدل ذلك الركام الأسود من الفساد والصراع والظلم والظلمات، الذي نشره الشيطان بفعل ثقافته الشوهاء. إنها رسالة إلهية خاصة مسجلة مرسلة لكل واحد منها، شريطة أن نفهمها كما أنزلت، بعد أن نقرأها

ونتأمل آياتها، نفهمها فهماً أمثلَ، كما يريد الله سبحانه بلسان عربي مبين، دون تزييف أو تحريف أو غلو أو تطرف، ودون تمييع ولا إفراط ولا تفريط.. كيف السبيل إلى ذلك وقد أمتلأت الأرض عبر شبكات التلفزة والانترنت والصحف والكتب والنشرات المتنوعة، بالكثير من الصور الناشزة والباطلة البعيدة عن الحق والصواب؟.

لعل في إعادة فهم ودراسة التاريخ واللغة والعقيدة في ضوء معطيات القرآن والهدي النبوي الصادق المنير، ما يضيء لنا الطريق، ونستطيع في النهاية أن ننتصر في تلك المعركة الكبرى، ونعيد الحياة إلى حضارة القرآن ورسالة الله الخالِدة إلى العالمين، بعد أن تم إبعادها ومحاولة إطفاء نورها منذ بضعة قرون. فساد في الأرض اليوم الظلم والظلمات والشرور، بدلاً من العدل السلام والمحبة. سادت لغة الخصومة والحقد والكره بدلاً من لغة الود والمحبة والإخوة، وذلك بفعل دعاة الشر والإثم والعدوان وأصحاب التعاليم العنصرية والأسطورية، وبفعل النزعة الاستعمارية الامبريالية للغرب المادي التي أظلتنا ضمن موجات من الحروب والاستلاب والاغتصاب منذ قرنين من الزمن. الزمن الذي باتت مفاتحه وعقاربه بين يدي الغرب اليوم.

إن التاريخ الانساني والحضاري عبارة عن عقيدة مؤطرة بأطر علمية وضوابط موضوعية، ولا يمكن أن يكون التاريخ محايداً تماماً أو نزيهاً وخالياً من العواطف والضغوط البشرية، كما يدعي البعض تحت شعار العلمية والموضوعية. وهكذا تم تفسير التاريخ – فيما مضى – بما يخدم أهداف اليهود في توراتهم المزعومة. وقد استطاعوا تشكيل الرأي العام العالمي وفق مسطرة التوراة، وسخروا العلوم والآثار والتاريخ والجغرافية والفلسفة وعلم النفس والاجتماع، بل حتى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة، لخدمة أغراضهم وتعاليمهم المنحازة، لكي يثيروا الفتن والحروب والصراعات بشتى ألوانها، وينشروا الأمراض والعلل والعاهات بين أمم الأرض، بدل العيش في سلام ووئام وتعايش في ظل حضارة الإيمان.

وهكذا نجد أن اليهود يحاولون – اليوم – أن يفرضوا على الناس منظورهم التوراتي واعتبار لغة التوراة، اللغة العبرية – بِزعمهم– اللغة الأولى في العالم، ويجعلونها أم اللغات وأصلها الثابت، منذ أن خلق الإنسان على الأرض. وكذلك فعل النصارى وافترضوا أن اللغة الآرامية (أو السريانية)، هي أم اللغات وأصلها الثابت، باعتبارها لغة الإنجيل– بزعمهم–، ثم انحاز الغرب إلى ثقافة الإغريق واللغة اللاتينية، باعتبارها لغة الأجداد واللسان المعبر عن تاريخ أوربا القديمة[1].

كما فسر اليهود أحداث التاريخ وقصص الأنبياء، منذ عصر آدم حتى عصر المسيح، بل منذ أن خلق الله السماوات والأرض، وفق منطوق التوراة وأساطيرها، ووفق مسطرة التوراة المنحازة لشعب الله المختار وأرض الميعاد، ووفق حكمة حكمائهم في السيطرة على العالم، وتسخير القوى العظمى في الغرب، للهيمنة على الشرق والمشرق العربي خاصة، في محاولة دؤوبة للإفساد والظلم والطغيان، لتغيير الهوية والثقافة، وإقصاء الإسلام، ذلك المارد النائم – كما يسمونه – صاحب الرسالة الحقة والكتاب الحق، الذي أُنزل لإنقاذ العالم من مخططات الشيطان ومناهجه، وهدي البشر للتي هي أقوم.

فعلام الاستغراب والاعتراض إذن؟!.. إذا ما أردنا الدِفاع عن أنفسنا وهويتنا ومنهجنا بانتمائنا إلى العروبة والإسلام، والتفكّر والتدبر والتخطيط لبناء جيل قوي سليم، يقوم على أساس الفهم الأمثل للقرآن باللسان المبين؟.. ماذا يضير كلام الآخرين – لا سيما الخصوم – والله يقول في قرآنه، إن هذا القرآن عربي، ونزل بلسان عربي، وان حكمه هو حكم عربي[2]، وانِ العروبة بالمفهوم القرآني لا تعني العرق والقومية– كما اصطلح عليها حديثاً– وإنما هي الربانية والوحدة

---

[1] يشير القرآن الى ضرورة الانحياز لمنهج الحق والصراط المستقيم، وعدم الوقوف على الحياد بين الكفر والايمان، وهو منهج الحنيفية السمحاء وملّة ابراهيم الحنيف، فالحنيف هو المائل والمنحاز للحق، والحنف هو الميل والانحياز. قال تعالى: ﴿**ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكِن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**﴾.آل عمران/٦٧.

[2] راجع فصل المفهوم الرباني والمفهوم القومي للعرب والعروبة.

والأصالة والصفاء وأصل العلوم والمعارف والألسنة، كما سنراه واضحاً جلياً من خلال قراءة فصول الكتاب باذن الله.

ماذا يجري لو افترضنا – وفي فرضيتنا كل الحق والصواب – إن لغة القرآن واللسان العربي، هو أصل جميع الألسن، وهو لسان الأنبياء الأوائل الكرام، آدم ونوح وإبراهيم وجميع الأنبياء والمرسلين. وان جميع الأنبياء عاشوا وانطلقوا من جزيرةٍ العرب – وليس كما تدعي التوراة اليهودية في جغرافيتها المحرفة – وإنهم جميعاً اتجهوا نحو مكة قبلتهم، وحجوا البيت، كما جاء في الأحاديث الشريفة والأدبيات الاسلامية؟..

وحينذاك يمكننا أن ندعوا الناس إلى كلمة سواء بيننا، للعودة إلى الوحدة والتوحيد، والعودة إلى النبع الصافي، إلى عروبة الإنسان وعبادته لربه، كما أراده الله سبحانه في كتابه العزيز، ثم ليكن بعد ذلك، (منتدى حضارات عالمي) يجمع القوميات واللغات والألوان والأديان، على الأخوة الإنسانية والمحبة والتعايش السلمي، يدعو إلى السلام العالمي كما يحبه الله سبحانه، فتلك التعدديات من مظاهر التجلي الالهي لآية من آيات الله سبحانه، وحكمة من حكم الخلق والابداع، لكي نتعارف ونتعايش في محبة وسلام ونشجب الظلم العدوان، ونعادي مناهج الشيطان وسبله، الموصلة للشر والضلال..قال تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله..﴾ [١].

إن هذا الكتاب كُتب لهذه الغاية الكريمة، من أجل دعوة الناس الى مفاهيم الوحدة والحوار الحضاري والتعايش السلمي. الحوار البناء – في ظل مفهوم شرعية الآخر – بين الحضارات والأديان والمذاهب والشعوب والأمم، لكي يسود العدلِ والسلامِ في ضمير الانسان وروحه وعقله، قبل أن يسود في ربوع الأرض واقعاً ملموساً، بعد أن تعذّر ذلك الهدف السامي بسبب هيمنة الثقافات الشريرة

---

[١] سورة آل عمران/ ٦٤

ودفعها الانسان نحو الظلم والعدوان بشتى السبل والأعذار. وكذلك يحاول الكتاب – من خلال تأصيله لمفهوم وحدة الحضارة في تاريخ الانسان، ممثلة بوحدة الأصل واللغة والعقيدة، بكونها ربانية الأصل والانشاء – تسليط الضوء على ثقافة القرآن الربانية الأصيلة، المنزهة عن التحريف والتغيير، الذي طرأ على غيرها من الكتب والرسالات، وعلى دلالة كلمة عرب وعروبة في القرآن، والترداف التام بينها وبين المفاهيم الربانية المنشأ، في طرح جديد ورؤية أصيلة مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، علها تلقى التأييد والاستحسان من القارئ الكريم، لاسيما العلماء والمربون والشباب الواعي الغيور. والكتاب – ابتداءا – رسالة ونداء مخلص إلى شباب الأمة وأبنائها، للتمسك بهويته وانتمائه العروبي الإسلامي، مهما حاول خصوم الأمة التشكيك في البديهيات والحقائق القرآنية والتاريخية والعلمية، وذلك باعتبار الهوية العربية هي عنوان ثقافتنا وحضارتنا ورسالتنا، للتقدم والتحضر والتغيير الرسالي، الذي يريده الله منا، كي نعبده حق عبادته، ونسعى لانقاذ الناس من براثن الشيطان وايحاءاته، ومن ثقافة المادة وتداعياتها والدوران حول المصالح الذاتية والغرائز الهابطة، التي يبشر بها أتباع الشيطان عبر القنوات والثقافات المختلفة، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها...

ولعل الله يفتح له قلوب قومٍ مؤمنين.

علاء الدين شمس الدين

غرة محرم الحرام ١٤٣٣هـ

المفهوم الرباني والمفهوم القومي للعرب والعروبة

نستهل هذا البحث المتواضع بتوضيح مدلول كلمة العربِ والعروبة، في ضوء الدلالات اللغوية والقرآنية. وقد استقر عنوان الكتاب –أخيراً– على اسم (الانتماء الحضاري والهوية الثقافية.. أو الاسلام العربي) بعد أخذ ورد مع الأخوة الكرام الذين قاموا بجهد مراجعته وتدقيقه، في مرحلة الطباعة والنشر، وقد توقف البعض عند تسمية (الاسلام العربي) وما لها من ظل اقصائي للقوميات الأخرى غير العربية. واقترح البعض تسميته (الاسلام العربي العالمي) أو (القرآن العربي) أو (مدلول عروبة القرآن) وغيرها من الأسماء القريبة من موضوع الكتاب. لكني آثرت أن أبقي العنوان يدور حول محور الاسلام العربي، واكتفيت بتأخير هذه اللافته وجعلها الخيار الثاني لاسم الكتاب، لما لهذا الاسم من صلة وثيقة بمادة الكتاب، وضرورة التمييز بين مدلول لفظ العروبة في المفهوم الرباني والمفهوم القومي، وصلة ذلك بالهوية والانتماء الحضاري لعموم المسلمين في العالم، مع تقرير الكتاب لمفهوم عالمية الاسلام، في مواجهته الفكرية والثقافية للعولمة الغربية في ثوبها الأمريكي الحالي.

يدور الكتاب حول مفهوم العرب والعروبة في القرآن، محاولاُ أن يرسم ملامح الطريق الواضح لتدبر القرآن وفهمه الفهم الأمثل، باستعراض دلالات ومعاني لفظة (عرب وعروبة) في القرآن، للوقوف على صلتها بمفهوم الربانية وكل أمر منشأه الهي ورباني، والله أعلم.

إن دلالة لفظة عرب في القرآن لها خصوصية وتميز واضح، يمكن ملاحظته من خلال استعراض الآيات التي وردت فيها كلمة (عرب) في الكتاب العزيز.

إن المتأمل لنص القرآن والمتدبر له بلسان مبين، وبتفكر فطري أصيل، بعيد عن العجمة واللحن والإبهام، يجد المعاني اللطيفة والكريمة تنير له الطريق لفهم مرام القرآن ومقصده الأصيل والمضيء. رغم محاولات الغرب وثقافته الوافدة على العالم الإسلامي منذ أكثر من قرنين، فرض المفهوم القومي والعرقي العنصري

على الشعوب الإسلامية وفي مقدمتهم العرب، مما شجع النعرة العرقية والطائفية بينهم، وقطّع الأمة المسلمة إلى أجناس متنافرة ومتقاطعة وغير متحدة الهموم والأهداف، وجزّأهم إلى عرب وترك وفرس وكرد وهنود وأفارقة وغيرهم ، حتى دب الصراع بين تلك القوميات في شتى المجالات والميادين. وبذلك تم التمهيد للتقسيم العرقي وتجزئة العالم الإسلامي إلى أكثر من خمسين دولة وشعب، وبدء حقبة الاستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة العثمانية على إثرها.. ثم اغتصاب فلسطين وظهور دولة إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية، وما تلا تلك الأحداث الجسام من المآسي والكوارث التي مرت بها الأمة خلال القرن العشرين وحتى اليوم.

لقد استطاع الفكر الوافد أن ينقل لوثة العرقية والقومية التي أصيبت بها أوربا في القرون الخالية، إلى عالمنا الإسلامي في عصر التبعية والتخلف الحضاري، فأصبح العالم العربي محدداً ببقعة معينة ويوصف – وفق التعريف الغربي لمفهوم القومية – بأنه من المحيط إلى الخليج، وكذا الهند وإيران وتركيا وغيرها من شعوب الأمة الواحدة، وأصبح التقسيم القومي أمراً واقعاً، كما أصبح التقسيم الغربي للدول العربية بعد الحرب العالمية الأولى أمراً واقعاً أيضاً، وفق اتفاقية سايكس بيكو الاستعمارية المشئومة، التي أعقبت الحرب الأولى واحتلال بلاد العرب والإسلام.

لاشك أن وجود الشعوب والأمم والقوميات من الحقائق التي يعترف بها الإسلام، والتي ينبغي أن تقوم على أساس التعارف والتعايش والتنوع الحضاري والديني واللغوي، وليس على أساس الصراع والتنافر القومي والعرقي الذي شهدته أوربا وغذّته بنزعتها العنصرية والامبريالية التي جلبت الويلات والكوارث إلى العالم من خلال حروب دامية، كان آخرها الحربين العالميتين والتي راح ضحيتها ملايين البشر خلال القرنين الماضيين.

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم وشعوباً وقبائل

لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

ومع ذلك فان للفظة (عرب) في القرآن خصوصية أخرى، تميزها عن غيرها، ينبغي الوقوف على دلالتها، من خلال تسليط الضوء على النصوص التي وردت فيها والمعاني والدلالات التي أشارت إليها معاجم اللغة، لتحديد ملامح دلالة كلمة عرب وعروبة وفق المفهوم القرآني والهدي النبوي الشريف. ولعل من نافلة القول أن نبدأ إبحارنا في موضوع دلالة لفظة (عرب) بالحديث الشريف، الذي يفتح الآفاق أمام عقولنا للتأمل، فيما يرمي إليه التوجيه النبوي لمفهوم العرب والعربية، بعيداً عن الفكر الغربي العلماني، الذي وصل به المطاف الآن، إلى جدر العولمة المادية، التي يحاول فرضها على الشعوب والأمم، بآلته العسكرية، فضلاً عن أدواته التقليدية المعروفة والمتمثلة بالسياسة والاقتصاد والإعلام.

يقول النبي الكريم ﷺ: ليست العربية بأمٍّ لأحدكم ولا بأبٍ، إنما العربية اللسان. إنما العربية اللسان. إنما العربية اللسان[2].

ويقول في رواية أخرى: أيها الناس: إن الرب واحد والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أم وأب، إنما العربية اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي.

أما آي القرآن التي تتحدث عن وصف القرآن واللسان والحكم بأنه عربي، وتضع لفظ (أعجمي) في مقابل (عربي) للدلالة على الإبهام وعدم الأصالة والوضوح فهي كثيرة، نختار منها، قوله تعالى: **﴿نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين . وانه لفي زبر الأولين﴾**[3].

وقوله: **﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾**[4].

---

[1] سورة الحجرات/ ١٣.

[2] رواه ابن كثير عن معاذ بن جبل.

[3] سورة الشعراء/ ١٩٢- ١٩٥.

[4] سورة الشورى/ ٧.

وقوله: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾[1].

وقوله: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾[2].

وقوله: ﴿كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾[4].

وقوله: ﴿وهذا كتابٌ مصدقٌ لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾[5].

فما دلالة الكلمات (قرآن، لسان، حكم) التي وصفها الله سبحانه بالعربية، وأضاف إليها كلمة (عربي) يا ترى؟..

وفي التاريخ الإسلامي نلمح مدلول لفظ (العرب) و (العربية)، وأنه يشير إلى الإسلام والى كل أمر أصله الهي ورباني، فالعربي كان يشير إلى المسلم، والعربية هي الإسلام ورسالة التوحيد. وقد استمر هذا المدلول الأصيل خلال العصور الإسلامية الأولى وحتى أواخر العصر العباسي .

ففي أحداث الفتح الإسلامي في المشرق، في مطلع القرن الثاني الهجري، حين طلب والي خراسان الأشرس بن عبد الله المسلمي، من قائد الجيش الذي فتح ما وراء النهر ووصل إلى تخوم الهند والصين، أن يجمع الخراج من رعاياه غير المسلمين في العصر الأموي، ومن المدن والمقاطعات التي تم فتحها، شرق خراسان وفي سمرقند ونهر السند، فأجابه: كيف لي أن أجمع الخراج من الناس، وقد أصبحوا كلهم عرباً.

وكان يقصد – بطبيعة الحال – أنهم أصبحوا مسلمين، ولا يجوز أن يأخذ منهم

---

[1] سورة يوسف/ ٢.

[2] سورة الزمر/ ٢٨.

[3] سورة فصلت/ ٣.

[4] سورة الرعد/ ٣٧.

[5] سورة الأحقاف/ ١٢.

الخراج، الذي يفرض على البلاد المفتوحة إن هم بقوا على دينهم.
إن هذا التداخل في دلالة كلمة (عرب) مع معنى (مسلمين) لم يأتي سهواً واعتباطاً أو اجتهاداً، يعود إلى التساهل في مدلول الكلمة والتقارب بين اللفظتين، وان كان ذلك من أسبابه كذلك. وإنما يعود في أصله إلى معانٍ ودلالات أوحتها لهم ظلال النصوص الكريمة والعديدة، التي جاءت في القرآن والسنة، كما يعود إلى السليقة العربية، في اللسان العربي المبين، التي امتاز بها العرب والمسلمون، في ذلك العصر الزاهر. فالقرآن قد أشار إلى دلالة (عرب) بعدة أشكال كما أشرنا في الآيات أعلاه، في عبارة (قرآناً عربياً)، و(حكماً عربياً) و(لساناً عربياً).
لقد شاع بين الناس – أيضاً – منذ القدم، مصطلحات عديدة متصلة أو مضافة إلى لفظة (عربي)، كالحصان العربي والطب العربي والصمغ العربي والشعر العربي، وقد أضاف القرآن إليها، الحكم العربي واللسان العربي والقرآن العربي.. فما هو المقصود من إضافة تلك المعاني والمفاهيم والذوات والمخلوقات إلى لفظ (العربي) للتعريف بها؟.. وهي صيغة تعريفية لتلك الكلمات واضحة التكريم والتفخيم والنقاء والأصالة، حتى بدون العودة إلى المعاجم والمراجع اللغوية، التي أشارت إلى تلك المعاني في ثنايا صفحاتها؟..
وغني عن التعريف، إنما أريد بالحصان العربي، أنه الحصان الأصيل الذي يتميز عن غيره بكل الصفات الفريدة والجميلة والأصيلة، بينما يراد باللسان العربي هو، اللسان الفصيح المبين الدقيق المعنى، المبرأ من العوج والعجمة واللكنة. أما الشعر العربي فهو الشعر العمودي الموزون والمقفّى، الساحر في بيانه وفي استعراضه لمعاني الكلام، والمتصف بالحكمة في مختلف الأغراض والمباني والمعاني التي تزخر بها العربية. أما الصمغ العربي الموجود في أواسط أفريقيا وليس في أرض العرب، فهو الصمغ الطبيعي الأصيل وليس صناعياً.
وقد اشتهر بين الناس الطب العربي هو الطب الطبيعي والعشّبي المجرب الحكيم، الخالي من المواد الكيماوية التي يصنعها الإنسان والمنزه عن أثارها

الجانبية والمسرطنة، وهو خلاصة الحكمة الطبية البديلة، عما ابتدعه الإنسان، والتي ورثها ابن آدم، من تعاليم الوحي التي نزلت على الأنبياء. ويدخل في مفهومِ الطب العربي كلِ أنواع الطب الطبيعي والعشبي والبديل، سواءاً أكان طباً صينياً أم هندياً أم غربياً أم شرقياً، ولا يقتصر فقط على طب العرب في المنطقة العربية – كما قد يتصور البعض – ولعل الطب النبوي، الذي شاع بين المسلمين، هو جوهر الطب العربي وأساسه، إذا ما توفرت فيه شروط الصحة والنسبة إلى النبي الكريم ﷺ، وكذلك كل طب الأنبياء الكرام إذا ما توفر شرط صحة نسبتها إليهم، فهو طب مصدره رباني، لا يخضع لعبث الإنسان واجتهاده الوضعي، بل يقوم أساساً على قواعد الربانية والعودة للطبيعة والاستعانة بمبادئ العلم والتسخير والإباحة، والتوائم البيئي والطبيعي، وليس الصراع والتغيير والتلاعب في أصول الخلق والتعسف في استغلال منافذ الهندسة الوراثية والجينية التي يمارسها العقل المادي المعاصر. كما أن الطب العربي يشمل كافة النواحي الجسمية والنفسية والروحية والبيئية، وليست الجسمية فحسب، كما في الطب التقليدي الشائع بيننا الآن.

إن أصول هذا الطب الرباني تعود – شأن كل أمر عربي رباني – إلى مرجعيات ثلاث، هي الفطرة والطبيعة والقرآن. ولعل العلم المادي الحديث، يمكن أن يسخّر لترصين الطب العربي وتحقيق أهدافه الصحية وتحقيق غاياته وآماله كما يريدها رب العالمين، من خلال البحوث والدراسات والتجارب العلمية ومنهجيات الفحص التجريبي المختبري، وهذا ما حصل بالفعل في العديد من البلدان مؤخراً.

ولا تكلّف في الاستدلال والاستنتاج، بأن معنى (قراناً عربياً)، هو أنه (قرآنٌ ربانيٌّ) نزل به الروح الأمين، على قلب النبي الكريم ﷺ ليكون رحمة وهدى للعالمين. كما أن (حكماً عربياً) لا يمكن فهمها إلا على أساس، إن القرآن هو حكم الله، وهو حكم ربانيٌّ تنزل، ليحكم حياة الناس بما يحويه من شريعة وحكمة وتعاليم وقصص وعبر وأحداث من لدن رب العالمين.

ولعل الوقوف على لفظة (عرب) وتأمل حروفها المضيئة، فيه دلالة عميقة لتلكِ الصلة الوثيقة بين لفظة (عرب) ولفظة (رب).. وكأن الله سبحانه يريدِ أن ينبه الإنسان، من خلال دلالة الكلمة ودلالة الحروف القرآنية المقدسة، أن يتكل على الرب الخالق العظيم، وهو يسير في هذه الأرض، منذ عهد آدم أبي البشر والى اليوم، لكي يكون الخليفة الحق، تماما كما أراد الله في علمه المحيط وقدره الأكيد، رغم اعتراض إبليس على تلك المشيئة الربانية، وذلك الدور المشرفٍ لبني آدم، وخلافتهم للأرض واستعمارها، وفق المنهج الرباني، الذي أنزلهٍ وحياً على أنبيائه، عبر المسيرة المباركة، فكانت حضارة الإيمان الرشيدة وجهاً لوجه وعلى الضد من حضارة الشيطان المادية المتغطرسة والظالمة، الحضارة الطاغوتية بقيادة إبليس وجنوده ،تحارب منهج الله رب العالمين، وتعاليمه الحنيفية السمحة بقيادة الأنبياء والمرسلين، عبر القرون والأحقاب والسنين. وكانت عروبة الحضارة وعربية اللسان والهوية والعقيدة والثقافة، التي أشار إليها الحديث الشريف، وكان الحكم العربي الذي نزل به القرآن العربي، والذي مثّل النسخة الربانية الصافية، والوحي الصادق الخالي من التحريف والتزييف، ليمثّل حكم ألأنبياء والمرسلين، كما أنزله الله رب العالمين، إلى البشرية منذ فجر التاريخ وحتى الرسالة الخاتمة. انه الحكم الرباني العربي المبين، أي إن كلٍ ما جاء فيهِ مأخوذ من الرب سبحانه وتعالى، وكل متبّع له سيكون حتما، عبدا لله معتمداً عليٍ رب العالمينٍ، في كل صغيرة وكبيرة في حياته الفانية، متخذا منها منهجاً هاديا وجسراً رحبا إلىٍ الحياة الباقية، ليكون في روحه وقلبه وعقله، عربي الهوية والانتماء، منسجما مع الكون المنظور فيما حوله من عوالم وثقافات وشعوب وقوميات وأمم سواء في عالم الجماد أم الحيوان أم النبات، ومع الكون المقروء والكتاب المسطور، القرآن العربي الرباني الصافي الأصيل، ليعيش في سلام وطمأنينة وتفاعل ونشاط ايجابي. وهو يستشعر دوره الحق ببركة ربه وخالقه، وبمرجعية كتابه وهدي نبيه، وليكن بعدها ما يكون، من ناحية الجنس والعرق والقوميةٍ والمذهب واللون والمكانٍ والزمان، ما دام انتمائه وهويته الحقيقية تقر بأنه تبعاً لثقافة الإيمان قلباً وقالباً. يعيش في ظل منهج الرحمن، يتأمل

الكون المخلوق المتناسق الجميل، ويعبد الله ربه بعربية القرآن، متخذاً من ثقافة الشيطان، ومن في حزبه من الأعوان والأتباع، عدواً لدوداً، وانحرافاً شائناً، ينبغي البعد عنه، والنأي عن طريقه بكل جوارحه، لكل ذي عقل وصاحب جنان، وهكذا يتم التمايز بين كتيبة الرحمن في كل عصر وزمان وبين حزب الشيطان. قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوا﴾[1].

وهكذا يصبح المعنى واضحاً، لمدلول كلمة (عرب) في مفهوم القرآن، يمكننا العيش في ظلاله وفي رحاب مراميه، كما يتجلى أيضاً المفهوم العكسي لمدلول كلمة (عجم) تماماً بتمام. فهل للعجمة في حقيقتها معنى، إلا الغموض والإبهام والجهل والوضع والخرافة، وهل لمدلول (جم) معنى غير الإحالة إلى الكثرة والجمع من الناس، وكل من يتكل على المخلوق.

فالقرآن عربي وليس أعجمياً، كما تصرح نصوصه الكريمة، وليس لذلك المعنى المتقابل صلة بجنس أو عرق أو قومية، سوى ثقافة الجهل والغموض والإبهام والانحراف التي يصنعها الإنسان. وصنعها بأشكالها العديدة بإرشاد وتوجيه من الشيطان. الذي علم الإنسان الشر والظلم والطغيان، وترك البشر عبر الدهور في ظلمات يعمهون.

ولتأكيد المعنى الدلالي للفظة (عرب) و (عروبة) يمكن أن نستأنس ببعض ما جاء في معاجم اللغة حول الموضوع، كما سنرى في الصفحات التالية، لكي نحيط به من جميع جوانبه، ففي الأثر عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله لا يتم هذا الأمر إلا إذا أحيط به من جميع جوانبه[2].

---

[1] سورة فاطر/ ٦.

[2] رواه أصحاب السنن.

عصر الإيلاف المكي ودور قريش سادنة الكعبة

هناك سور عديدة في القرآن تذكر مكة وشعائر الحج والعمرة التي يؤديها المسلمون وهم يشدون الرحال إلى بيت الله الحرام في مواسم الحج والعمرة، ومن بين تلك السور التي يدور موضوعها حول مكة وتاريخها وأحداثها المهمة، سورتان من السور القصار، ينبغي التوقف عندهما ومحاولة التعرف على أسرارهما ومعرفة ما فيهما من الآيات والدلائل التي يتصف بها بيت الله جل جلاله. والسورتان تشيران إلى العصر الذي كانت فيه قريش تتقلد الزعامة والسدانة في مكة بين سائر قبائل العرب الأخرى، منذ زمن قصي بن كلاب جد النبي ﷺ الرابع وحتى عهد ظهور الإسلام، والسورتان هما سورة الفيل وسورة قريش. قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾[1]. وقال تعالى:﴿لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[2].

إن سورة الفيل سورة مكية تتحدث عن واقعة الفيل، حين أراد ملك الحبشة واليمن أبرهة الحبشي أن يغزو مكة، ويهدم الكعبة بهدف توجيه الأنظار إلى مملكته، والشروع ببناء كعبة بديلة في اليمن ليحج الناس إليها بدل الحج إلى مكة، غير أنه باء بالفشل في قصة الفيل المشهورة. وكان ذلك في عهد عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ. وتشير السورة الى التدخل الإلهي في هذه المعركة غير المتكافئة بين الأحباش وأهل مكة، والى إرسال طير الأبابيل التي كانت تحمل حجارة من سجيل، ورمت بها جيش أبرهة حتى أهلكته عن بكرة أبيه، وارتد أبرهة بما بقي من جنده خائباً من حيث أتى.

---

[1] سورة الفيل.

[2] سورة قريش.

إن هذه الحادثة المهمة في تاريخ مكة، والتي تزامنت مع مولد النبي ﷺ في عام الفيل ذات دلالات عديدة أهمها، إن مكة مكان مختار ومقدس، وقد اختصها الله تعالى بالتقديس والتفرد والعناية والحفظ والأمن دون غيرها من الأماكن والمدن، وكل ذلك بإرادة الله ومشيئته، مهما تجبر الإنسان واغتر بقوته، ليعلم الطغاة والمتجبرون، أمثال أبرهة على مر العصور، أن الله الواحد القهار هو بالمرصاد، لمن يفكر بالعدوان على بيته الحرام، مهما تقدم بنو آدم في العلم وتقنية القوة، ومهما تطورت ووصلت التكنلوجيا والأسلحة الفتاكة والمدمرة وغيرها مما يصنع الانسان. ولنا أن نتصور أن سرباً من الطيور، التي أرسلها الله سبحانه، أمام جيش مدجج بالأسلحة والمعدات مع عدد من الفيلة، فماذا كانت نتيجة تلك المحاولة؟.. كانت النتيجة أن هزمت الطير الأبابيل، التي هي من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، ذلك الجيش العظيم، جيش أبرهة وأصحاب الفيل، تماماً كما هزم المسلمون أصحاب الفيل في معركة القادسية في حروب فتح العراق، ولعل الطغاة والغزاة من أمثال أصحاب الفيل في كل زمان، سيلاقون المصير نفسه.

إن هذه المعجزة وما تلاها، تؤكد سنة التدخل الإلهي في المعارك غير المتكافئة في التاريخ، لتعطي الأمل للفئة المؤمنة القليلة أمام جبروت الباطل مهما تجبر.

ان سورة الفيل تبشر الناس وتؤكد بأن المعجزة الإلهية تتحقق حين يعجز الناس ولا تتوازن القوى بين الظالم والمظلوم، وقد أكد عبد المطلب أمير مكة في زمن الواقعة لأبرهة على هذا المفهوم المستند إلى الإيمان واليقين الثابت والثقة بالله الذي لابد أن يدافع عن بيته وعن المؤمنين، فحين أرسل أبرهة في طلبه قبل اتخاذ القرار بهدم الكعبة، وسأله ماذا يطلب منه قبل أن يقوم بهدم الكعبة. أجابه عبد المطلب أن أعد إلي ابلي، فاستغرب أبرهة من طلب عبد المطلب، وكيف انه لم يذكر الكعبة ولم يطلب فك الحصار عنها ويسأله عدم هدمها، فأجابه عبد المطلب: يا أبرهة أنا رب الإبل..وان للبيت رباً يحميه، فضحك أبرهة وسخر من كلامه، فردّ له الإبل، وقال له يا لك من شيخ خرف، تسألني عن الإبل ولا تسأل عن مكة ومصيرها!!!.

ثم وقعت المعجزة وتم تدمير جيش أبرهة وإنقاذ مكة من براثن الأحباش وطغيان حاكمهم المشرك المغرور،، فحين يعجز الناس تنزل سفينة نوح على مر الأزمان.

لقد ارتبط اسم أصحاب الفيل في التاريخ الإسلامي بثلاث حروب غير متكافئة ومصيرية بين الإسلام وبين الكفر والطغيان، مرة في عام الفيل وهزيمة جيش أبرهة – كما مر– وهو الحدث الذي حدث في عام الفيل، وفي معركة القادسية في العراق وهزيمة جيش كسرى ورستم والهرمزان، وكانت النتيجة – ولو بعد حين – دخول أقوام هؤلاء الطغاة في الإسلام، سواء في الحبشة واليمن أم في إيران والعراق وخراسان والهند، وهي بشارات قرآنية تؤكدها هذه السورة العظيمة، ومن ظلالها اللطيفة والكريمة، فهل سيكون الأمر نفسه مع أصحاب الفيل الجدد، وهل سيكون فشلهم وخسارتهم وذهابٍ ريحهم وريح أعوانهم سبباً في دخول هذه الشعوب والأقوام في الإسلامِ استناداً إلى نفس البشارة القرآنية؟!..

أما سورة قريش، فهي سورة مكية أيضاً. وتتحدث عن نعم الله على قريش أشرف قبائل مكة والجزيرة، بإسناد سدانة الكعبة إليها، وتبوء الرئاسة والزعامة على سائر العرب.

وتتحدث هذه السورة العظيمة عن موضوع خطير ومهم يخص الأمن القومي العربي والأمن الإقليمي، وصلته بمكة وموقعها وضرورة تأمين طرق التجارة والسفر والسياحة الدينية منها واليها عبر الاتجاهات الأربعة المعروفة، ولذلك تؤكد السورة على أهمية العبادة والخضوع لرب البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، سواء في عصر نزول السورة أو العصور التي تلت والى الآن. لقد كانت قريش – قبيلة النبي ﷺ وأفضل قبائلِ العرب – وما زالت توفر الأمن والطعام والإقامة لأهل مكة والجزيرة عموماً في مواسم الحج والعمرة، بفضل البيت الحرام، وإجلال الناس له ولأهل مكة القرشيين، فقداسة البيت وارتباط قلوب الناس به منذ عصر إبراهيم، جعل لقريش مكانه خاصة في قلوب العرب وغيرهم، وجعل لها مهابة ومنزلة خاصة، جعلتهم يعيشون في رغد

العيش، وفي أمن قل نظيره بين القبائل والشعوب.
إن العرب عامة وقريشاً خاصة شرفها الله تعالى بحمل الرسالة الخاتمة للعالمين، واصطفاها كأمة وكقبيلة على باقي الأمم والشعوب والقبائل. وحباها الله كبيت وعشيرة بشخص النبي ﷺ ، وميزها على باقي البيوت والأمم. ويشير المصطفى ﷺ إلى ذلك المجد والشرف العلوي لأمة الإسلام في الحديث الصحيح الذي يرويه مسلم فيقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[1].
وفي هذه السورة يشير القرآن إلى مسألة اعتقادية هامة، وهي أن عبادة رب البيت وهو الله سبحانه الواحد الأحد –وليس الأصنام والأوثان– وإخلاص العبادة له والسير على منهجه، هي الرد الطبيعي لإظهار الشكر والمنة على نعمتي الإطعام والأمن والسلام التي وهبها الله المنعم لعباده المؤمنين، ولذلك قال: ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾. فليس هناك أخطر –على الأمم والشعوب– من تسلّط الجوع والخوف على المجتمع، بسبب الشرك والصراعات والحروب والفتن، التي تؤدي إلى الفقر والمرض والتخلف والجوع وإراقة الدماء، كما هو حال الشعوب المعاصرة، وما تعانيه من فقدان الأمن الغذائي والقومي، بسبب البعد عن الله سبحانه وتعاليمه الحكيمة العادلة. وهذه السنة الإلهية التي تربط بين الأمن والعبادة، هي دعوة قرآنية لكل الأمم والشعوب، أن يعبدوا رب البيت الذي يطعمهم من جوع ويهب لهم الأمن من بعد الخوف والتفرق والصدام، الذي يعيشه الإنسان في ظل حضارة البعد عن الله والايمان برسالة السماء في كل زمان.
وفي تفسير الإيلاف يقول الفراهيدي: آلف يؤآلف، وقال الأزهري: الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة، وهو ضرب من المال، يدفع طواعية كهدايا أو منح لرؤساء القبائل التي تمر بحرمتها القوافل التجارية القرشية، ولكن يمتنع في الإيلاف

[1] رواه مسلم والترمذي.

عنصر الإلزام أو الإكراه لمكانة بني عبد مناف الأربعة لدى أولئك الرؤساء[1]، وكذلك لأن العرب كانت تعظم القرشيين وتدعوهم (أهل الحرم)، والإيلاف عند الإمام القرطبي: أن يأمنوا عندهم وفي طريقهم وأرضهم بغير حلف إنما هو أمان طريق[2]. ويقول الفيروز آبادي: إن الإيلاف الذي جاء في سورة قريش، هو العهد وان اللام في (لإيلاف قريش) للتعجب، أي: اعجبوا لإيلاف قريش.. ويقول: لقد كان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار (الشام، والحبشة، واليمن، وفارس) بحبال هذه الأخوة فلا يتعرض لهم، وكأن كل أخ أخذ حبلاً من ملك، ناحية سفره أماناً له[3]. أما تفسير الآيتين: ﴿لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ فلنا فيه لفتة أخرى ورأي خاص على خلاف ما ذكره بعض المفسرين من الإشارة إلى رحلتي الشتاء والصيف، التي ألفتها قريش، حينما كانت تذهب بقوافلها التجارية نحو اليمن شتاءاً ونحو الشام صيفاً. ذلك لأن سياق السورة يتحدث عن قريش قبيلة النبي ﷺ وصلتها بالبيت الحرام، والنعم التي أنعمها الله عليها، بسبب سدانة البيت والاهتمام به وخدمته أثناء الحج والعمرة والمواسم الأخرى، وقيامها بالسقاية والرفادة وتعظيم البيت ورعاية الطائفين والقائمين والعاكفين، وغيرها من مهمات السدانة، فتكون الرحلة التي يشير إليها القرآن، والتي تأتي في الشتاء والصيف على مدار السنة – باعتبار أن السنة القمرية العربية تدور على كل فصول السنة – هي رحلة الحج والعمرة إلى البيت العتيق، والذي يدعم هذا التفسير، هو أن الله تعالى يقول في الآية أعلاه (رحلة) ولست (رحلتا) كما ذكر بعض المفسرين، ورحلة الحج التي كان الناس يزورون فيها مكة ويقيمون الشعائر فيها

---

[1] وهم هاشم وأخوته الثلاثة المطلب ونوفل وعبد شمس الذين أبرموا الإيلافات والعهود مع الملوك والقبائل المحيطة بالجزيرة والواقعة على طرق قوافل قريش التجارية في العراق والشام واليمن والحبشة، وبأمر وقيادة هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ

[2] انظر: تفسير القرطبي لسورة قريش.

[3] انظر: القاموس المحيط/ الفيروز آبادي، مادة ألف، ج٣.

منذ عهد إبراهيم، ليست خاصة بالعرب، وإنما هي كانت تمارس من قبل باقي الأمم والشعوب الأخرى كالفرس والروم والأحباش وغيرهم. لذلك أراد أبرهة الحبشي أن يقضي على هذه السنة والشعيرة التي اعتاد عليها الناس منذ آلاف السنين. وان الإشارة إلى رحلة الشتاء والصيف بمعنى رحلة الحج لزيارة بيت الله، هي أبلغ في المعنى للتذكير بنعم الله على قريش، لأنها كانت السبب وراء الأمن والغنى والمهابة التي ارتبطت بقريش وسكان مكة حتى يومنا هذا. كما أنها أبلغ في التعبير عن المنزلة الرفيعة لمكة وبيتها العتيق لتكون قبلة للناس، يأمون إليها في الشتاء والصيف من كل فج عميق ومن كافة الألوان والأجناس، فسبحان الله المنعم الذي أنعم على المسلمين ببيته العتيق وجعل من مكة المكرمة قبلة للناس في حجهم وعمرتهم وصلاتهم، وجعل فيها أول بيت وضع للناس لعبادته، وجعلها موطن آدم (عليه السلام) وبقية الأنبياء والمرسلين، وهي أم القرى وأصل الأمم، انه عزيز حكيم.

مكة أم القرى وقبلة العالمين وأول بيت وضع للناس

لقد كانت مكة أول قبلة للناس وليس هناك قبلة غيرها، وفي الحديث الشريف: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا. ومعنى شد الرحال أي زيارتها، وتكون مقصداً للزيارة عند المسلمين، وليس المعنى أن تكون قبلة، أو أنها كانت قبلة فيما مضى من الزمان كما قد يظن البعض. أما حادثة تغيير القبلة، فهي أمر طاريء ولأسباب ظرفية متعلقة بالصراع الذي كان دائراً مع مشركي مكة، ولا صلة له بمكانة مكة وكونها قبلة العالمين منذ خلق آدم (عليه السلام) وحتى يوم الدين.

قال تعالى: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾**.[1]

لقد أمر الرسول ﷺ وأصحابه في مكة وقبل الهجرة بمفارقة القبلة، اختباراً لهم ولطاعتهم لله في كل أمر وتوجيه، لتحقيق معنى العبودية المطلقة لله، وكذلك بسبب وجود الأصنام في الكعبة، وللتميز عن المشركين في مكة والمفاصلة العقائدية معهم. حيث كانت الكعبة تحت سيطرة مشركي مكة وقد انتصبت فيها النصب، والعبادة فيها أو إليها. لقد كان أمر تغيير القبلة أمراً شاقاً على المسلمين الأوائل في مكة، وكان صعباً جداً، وكان عقبة كأداء على الذين سيؤمنون، فالمطلوب منهم مفارقة قبلتهم الأولى وقبلة أبائهم إبراهيم وإسماعيل!. انه امتحان مهم وصعب في الوقت نفسه، لم يصمد أمامه إلا الذين هدى الله، ولقد تجاوز الصحابة الأوائل هذا الامتحان الرهيب، وهم الذين سيشكلون مجتمع المهاجرين، المؤمنين الأوائل، الذين استقبلوا تغيير القبلة، بالطاعة والقبول لأنه

---

[1] سورة آل عمران/ ٩٦-٩٧.

أمر الله تعالى، وأن يجعلوا قبلتهم الجديدة صوب بيت المقدس، لحكمة أرادها الله سبحانه. لقد كان هذا الأمر الإلهي يهدف إلى إنضاج الرعيل الأول من الصحابة، وتربيتهم على الطاعة لله ولرسوله، ومخالفة الكفار والمشركين، مع علمهم وإدراكهم، إن القبلة الأولى والأساسية هي الكعبة في مكة المكرمة، وليس أمامهم من خيار سوى تنفيذ أمر الله تعالى، ولكن الحيرة والدهشة لم تفارق عقولهم ووجدانهم، على الرغم من تنفيذهم وطاعتهم لربهم. وتروي الأدبيات الإسلامية والآثار التاريخية، أن بيت المقدس هو البيت الثاني الذي بناه آدم (عليه السلام) من أجلٍ أبنائه الذين كثروا وانتشروا في الأرض، وطال بهم الغياب عن مكة، وابتعدوا كثيراً عن المركز الروحي والحضاريٍ فيها، فطلب منهم أبوهم أن يعودوا إلى البيت الثاني في الأرضٍ، ويتخذوه ملاذاً ومسجداً قريباً من موطنهم. وقد اتخذه الأنبياء والمرسلين مزاراً ومسجداً لله بعد القبلة الاولى في مكة.

لقد عاد النبي ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار إلى التوجه إلى القبلة الاولى فٍي مكة بعد الهجرة النبوية، بعد أن انفصل المجتمع الإسلامي جغرافياً وسياسياً عن المجتمع المشرك في مكة وباقي مدن الجزيرة، اذ أصبح التوجه إلى المسجد الحرام في مكة، ليس فيه إشكالية المشاركة مع المشركين، في التوجه نحو الأصنام التي كانت في الكعبة. وعاد المسلمون للتوجه إلى القبلة الحقيقية التي يعرفونها منذ عهد الحنيفية الاولى في عصر إبراهيم (عليه السلام)، بعد سنة ونيف من التوجه إلى المسجد الأقصى ثاني بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى. ولذلك فان القول الشائع الذي يشير الى أن بيت المقدس هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.. ربما كان قول فيه نظر، لأنه لا يتسق مع القول الثابت والنص القرآني في جعل الكعبة، أول بيتٍ وضع للناس، وحكمته تعالى من ذلك الاختيار. وربما يعطي تصوراً خاطئاً، يؤدي الى التقليل من شأن مكة ودورها المتميز، باعتبارها قطب الرحى وقبلة العالم حضارياً ودينياً، والى التقليل من شأن الإسلام باعتباره الدين الوسط، وان أمة الإسلام هي الأمة الوسط، قال

تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾[1]. وهذا القول لا ينسجم مع الحقيقة القرآنية والعلمية، التي تؤكد أن مكة هي القبلة الاولى والأخيرة، مع وجود مساجد لله تعالى بنيت عبر التاريخ، سواء المأثورة منها والتي ساهم الأنبياء والمرسلون في بنائها واعمارها كالمسجد الأقصى في القدس والمسجد النبوي في المدينة المنورة، أم المساجد غير المأثورة التي لا تتمتع بتاريخ وقدسية ومنزلة خاصة عند الأمم والشعوب قبل الإسلام وبعده. ولذلك ينبغي أن يعتقد المسلم أن مكة كانت قبلة العالمين منذ الأزل، قبلة العرب والعجم في العصور الغابرة قبل الإسلام. لقد كانت الأمم والشعوب تتجه إليها بكل أطيافها العقائدية المختلفة وتنوع أشكال عباداتها أو تفرعها، لأن أصلها واحد، هو التوحيد الذي جاء به الأنبياء منذ عصر آدم (عليه السلام)، فإنها جميعاً كانت تتجه إلى مكة، لأنها قبلتهم بأمر من الله سبحانه.

لقد كانت البداية في مكة، ومنها تشِعبت الأمم والشعوب والعقائد والأديان. ولقد كان ملوك الفرس قبل الإسلام يسيرون إليها المحامل والأعطيات، وكذلك كان يفعل ملوك اليمن وملوك وادي النيل، ولذلك حاول أبرهة الحبشي هدمها، لما كان لها من مكانة وتقديس بين رعيته في اليمن والحبشة. لقد ذكر العديد من العلماء والمؤرخين، منهم المؤرخ ابن طباطبا في كتابه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) طبع دار صادر- بيروت، وهو المتوفى في القرن الخامس الهجري، والطبري المؤرخ والمفسر الإسلامي المعروف في تاريخه، وكذلك الفردوسي في مقدمة كتابه الشهير (الشاهنامه) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، وفي ديوان الشاعر البصري (جرير) في العصر الأموي، يذكر أخباراً عن ادعاء ملوك الفرس الساسانيين بأنهم من نسل النبي إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام). كما يذكر ابن هشام صاحب السيرة النبوية في مقدمة كتابه، طبع مصر وتحقيق عبد السلام هارون، نقلاً عن شيخه محمد بن إسحاق

[1] سورة البقرة/ ١٤٣.

صاحب السيرة هذا الخبر، كما يروي في المقدمة بأن الأكاسرة الفرس كانوا يرسلون الهدايا والمحامل إلى الكعبة، ومنها الغزالين المصنوعين من الذهب، اللذين وجدهما عبد المطلب جد النبي ﷺ حين حفر بئر زمزم وقد وضعهما في الكعبة، في القصة المشهورة، والتي تذكر أن عبد المطلب هو الذي اكتشف بئرٍ زمزم وأعاد فتح البئر بعد اندثارها في القرون التي سبقت العصر الجاهلي، بناءاً على رؤيا رآها في المنام ترشده إلى مكان البئر، وانتهت القصة بفداء ابنه عبد الله والد النبي ﷺ بمائة ناقة، والتي قال النبي ﷺ في ذكراها حديثه الشريف: أنا ابن الذبيحين، مشيراً إلى فداء جده النبي إسماعيل (عليه السلام) في عصر إبراهيم حين أمره الله بذبح ابنه، وفداء أبيه عبد الله في عهد جده عبد المطلب، حين نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه إذا ما وجد بئر زمزم. ويذكر ابن هشام أن الغزالين الذهبيين اللذان عثر عليهما عبد المطلب في بئر زمزم، قد استخدم ذهبهما في تذهيب باب الكعبة فيما بعد. كما يذكر الفردوسي في مقدمة كتابه، أن هناك حاكماً كان اسمه (الضحاك) قد حكم بلاد ما بين النهرين وخراسان في عصور ما قبل الإسلام، وكانت عاصمة ملكه مدينة (كابل) في أفغانستان، وقد روى هذا الخبر الطبري أيضاً في تاريخه، والذي يهمنا هنا هو الربط بين اسم (الضحاك) واسم (إسحاق) المشتق منه، وصلة تلك الأقوام في ذلك الزمن بالنبي إسحاق (عليه السلام).

أما الروم فقد ذكر العديد من المؤرخين انهم كانوا يعبدون الآلهة العربية القديمة (اللات) ومنها جاء اسم شعب اللاتين في ايطاليا، وكان الروم والفرس يحجون إلى البيت الحرام في مكة في العصور الغابرة منذ عصر إبراهيم وما بعده حتى العصر الجاهلي. وهكذا نجد أن المصادر التاريخية تؤكد على الحقيقة التاريخية التي تقول، أن مكة هي أم القرى وكانت القبلة الاولى ليس للعرب فحسب، وإنما للعرب والفرس والروم وكافة الشعوب والأمم في التاريخ القديم، وان مكة مثلت البداية في التاريخ البشري وبداياته الاولى من النواحي الدينية والتاريخية والحضارية. وقد أكد علماء الآثار تلك الحقائق التي تشير الى أهمية دور مكة

في التاريخ البشري، إذ اكتشفوا مقبرة أثرية جنوب القاهرة يعود تاريخها إلى أكثر من ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وكانت الهياكل البشريةٍ داخل المقبرة متجهة باتجاه الشرق نحو مكة، كما عثروا على قبور تتجه جنوباً في بلاد الشام باتجاه مكة والبيت العتيق.

لقد كانت مكة قبلة الجميع في الزمن القديم، وان جميع الأنبياء قد حجوا إليها، وان هذه الحقيقة هي عكس ما هو شائع اليوم بين الناس، بسبب النظرة المنحازة تجاه الإسلام وقبلته العالمية، من بعض المتعصبين التوراتيين اللاهوتيين والماديين الغربيين الذين ينظرون إلى تراث الشرق بازدراء وعجرفة، شأن الكثير من المستشرقين وتلامذتهم في الشرق والغرب الذين يسعون إلى إخفاء الحقيقة الأزلية وحجب النور الإلهي عن الناس.

ان الصراع على القبلة قديم ومستمر، منذ محاولة أبرهة الحبشي نقلها إلى اليمن، كما حاول القرامطة نقلها إلى البحرين وسرقوا الحجر الأسود وأبقوه في حوزتهم لمدة ٢١ عاماً كما هو معروف تاريخياً. ويذكر د. عفيف بهنسي في كتابه (سوريا الحضارة ماذا أعطت للغرب) محاولة قديمة حاولها الرومان لنقل القبلة إلى روما في العصور القديمة غير أنها فشلت أيضاً. كما يذكر د. عفيف بهنسي أنه عندما تحولت روما من الوثنية إلى النصرانية، فانها عملت على تغيير أشياء كثيرة، كانت في أصل الدين لدى النصارى، ومن تلك الأشياء أنها عملت على تحويل القبلة، وتغييرها من مكة المكرمة إلى (ايل ياء) بيت المقدس، وكان ذلك بتحريض وتواطؤ من اليهود أعوان الرومان وأدلائهم وجواسيسهم، امعاناً في إذلال العرب وتهميش دورهم التاريخي واحتقار ما لديهم من مميزات، قد تغري الرومان وغيرهم باحترامهم والتقرب منهم، وكانت ايلياء (بيت المقدس) مدينة قديمة ومهمة، وكانت مركزاً ادارياً معتمداً لدى الروم، عند احتلالهم بلاد الشام ومصر. وقد وردت عبارة المسجد الحرام في القرآن ٢٣ مرة، كلها تدل على الكعبة في مكة المكرمة، بينما وردت عبارة المسجد الأقصى مرة واحدة دالةً على المسجد الذي أسري بالنبي ﷺ إليه، عندما عرج به إلى السماء،

قال تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾[1].

إذن منذ عصر آدم (عليه السلام) كان جميع الناس يسجدون لله باتجاه مكة، لكن مكة مع مرور القرون وتعاقب الحقب، وبعد انقضاء عصر إبراهيم أبي الأنبياء، كانت قد أقحمت فيها الأصنام والنصب والاوثانِ، بفعل أهل الشرك والوثنية التيٍ سيطرت على السلطة والحضارة البشرية، ولما بعث النبي ﷺ في مكة أُمر مؤقتاً بتغيير القبلة لمخالفة قوى الشرك المهيمنة على الحياة في مكة، ثم ما لبث أن أُمر بالعودة إليها بعد جلاء الموقف وسطوع نور الهداية[2].

بيت المقدس ثاني بيت وضع للناس

ان بيت المقدس أو المسجد الأقصى هو ثاني بيت وضع للناس لعبادة الله سبحانه بعد المسجد الحرام في مكة، وقد بناه آدم (عليه السلام) لذريته الذين هاجروا في الأرض طلباً للرزق وخلافة الأرض واستعمارها، كما أمرهم الله سبحانه في تعاليم النبوة، التي أوحاها لأبيهم آدم (عليه السلام)، وفي الحديث الشريف عن أبي ذر قال، قلت: أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟.. قال: المسجد الحرام. قال، قلت: ثم أي؟.. قال: المسجد الأقصى. قلت، كم كان بينهما؟.. قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فان الفضل فيه[3].

وللمسجد الأقصى أسماء متعددة، تدل على شرفٍ وعلو مكانة المسمى، وقد جمع للمسجد الأقصى ما يقرب من عشرين اسماً، أشهرها: المسجد الأقصى وبيت المقدس ومسجد ايلياء..

---

[1] سورة الإسراء/ ١.

[2] انظر: العرب من اليمين إلى اليسار/ خالد محمد حمد، ص١٩٤.

[3] رواه البخاري.

وقيل في سبب تسميته (الأقصى) لأنه أبعد المساجد التي تزار انطلاقاً من مكة، وقيل لأنه ليس وراءه موضع عبادة مقدس. يقع المسجد الأقصى على تلة من تلال بيت المقدس الأربعة الواقعة عليها المدينة المسورة، وتبلغ مساحته نحو ١٤٤ ألف متراً مربعاً، وهو يقع في أرض باركها الله بنص القرآن كالمسجد الحرام.. قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله﴾[١].

ومن البديهي أن تكون بركته مضاعفة، عندما بارك الله ما حوله من الأرض، ومن بركته أن فضل على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام والمسجد النبوي. وقد بينا فيما سبق الحكمة من اتخاذه قبلة بدل المسجد الحرام، بعد فرض الصلاة على الأمة في حادثة الاسراء والمعراج في أواخر العهد المكي، وذلك لمخالفة المشركين في مكة والمفاصلة مع معبوداتهم الوثنية والأصنام التي وضعوها في الكعبة، وقد أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال: صليت مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم صرفنا إلى القبلة. وقد بشر النبي ﷺ بفتح بيت المقدس في الحديث الذي رواه البخاري عن عوف بن مالك. وفي حديث آخر يبين شرف المسجد الأقصى وكونه الملجأ والمأمن من الدجال، قال النبي ﷺ عن الدجال: يبلغ سلطانه كل منهل، ولا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجدي، والمسجد الأقصى، والطور[٢].

واليه كان مسرى النبي ﷺ من أول مسجد وضع في الأرض إلى ثاني مسجد وضع فيها، فجمع له فضل البيتين وشرفهما، قال النبي ﷺ: أُتيت بالبراق، فركبت حتى أُتيت بيت المقدس.. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم

[١] سورة الاسراء/ ١.

[٢] رواه أحمد في المسند.

خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء..[1]

المسجد الأقصى وتراث الأنبياء

ان المسجد الأقصى هو المكان الوحيد على الأرض الذي اجتمع فيه كل أنبياء الله تعالى من لدن آدم حتى محمد ﷺ في أعظم اجتماع في التاريخ البشري، وصلى النبي محمد فيه بالأنبياء اماماً في ليلة الاسراء والمعراج.

ومن بركته وعلو منزلته في قلوب المؤمنين، أن تشد الرحال اليه للزيارة والصلاة.. قال النبي ﷺ: لا تشد الرحال الاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا[2].

كما أن للصلاة فيه فضلاً كبيراً، فقد روي عن النبي ﷺ قال: لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألاّ يأتي هذا المسجد أحدٌ لا يريد الا الصلاة فيه الاّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال النبي ﷺ: أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة.[3] وفي فضل الصلاة في المساجد الثلاثة المقدسة في الإسلام يقول النبي ﷺ: صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة[4].

والمسجد الأقصى هو مسجدّ اسلامي على مر التاريخ، من قبل أن يوجد اليهود ومن بعد ما وجدوا، وإن فلسطين هي أرض الأنبياء، في جغرافية القرآن وفي

---

[1] رواه مسلم.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] رواه أصحاب السنن.

[4] رواه النسائي وابن ماجه.

المنظور العلمي والحقيقة التاريخية سواء بسواء. وإن أنبياء الله ارتبطت سيرتهم بالمسجد الأقصى والمسجد الحرام في ثنائية لا انفصام لها، في تاريخ منير مطرز بأزاهير التوحيد والوحدة والأخوة الايمانية، كان يمرُّ بين مكة والقدس عبر العصور، في البقعة المباركة التي تضم أرض الجزيرة من مركز اشعاعها مكة، وتضم أرض الشام والرافدين والنيل من مركز الاشعاع الثاني لنور الايمان والتوحيد في القدس الشريف، وفيهما بيتا العبادة لله رب العالمين. وإن أشهر الأنبياء الذين ارتبطت سيرتهم بالمسجد الأقصى والمسجد الحرام هم، إبراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان وزكريا وعيسى ويحيى ومحمد (عليهم السلام) وغيرهم من الأنبياء والمرسلين الذين ارتبطت جغرافية سيرتهم بالقدس ومكة، وكلهم مسلمون بنص القرآن والسنة، فالأنبياء أخوة ودينهم واحد هو الاسلام لله رب العالمين.

ويؤكد النبي الأكرم محمد (ﷺ) وحدة الدين والرسالة، التي بشّر بها الأنبياء والمرسلون في مكة والقدس وما حولها من أرضِ الأنبياء، ومهبط الوحي في المشرق العربي، الذي يضم مصر والعراق فضلاً عن الجزيرة وبلاد الشام، تلك الأرض التي باركها الله سبحانه، وشهدت التفاصيل الدقيقة لجغرافية الأنبياء وسيرتهمِ العطرة، كما يشير القرآن إلِى أبرز ملامحها، ويأتي الهدي النبوي موضحاً للكثير من تفاصيلها، بعيداً عن شطط التوراة المحرفة وأساطيرها وسردها العنصري الغارق في الإسهاب والخيال والوضعية، بما شاءت أيدي النساخ أن يفتروه ويدسوه على تراث الأنبياء والمرسلين، لمصلحة اليهود وأحبارهم وحكمائهم المتنفذين.. يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجلٍ بنى بنياناً فأحسنه وأجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناسَ يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين[1].

[1] رواه البخاري ومسلم والترمذي.

والمسجد الأقصى لم يكن في يومٍ ما معبداً لليهود، وإنما تلك من أكاذيب وأساطير التوراة وتخرصات اليهود، ولكنه مسجد الأمة المسلمة منذ عهد آدم وحتى اليوم، شأنه شأن المسجد الحرام، اذ بنيا في عهد آدم (عليه السلام).. وما قام به النبي سليمان في بيت المقدس، ليس بناء لهيكل –كما يزعم اليهود– وإنما هو تجديد لبناء المسجد الأقصى المبارك، الموجود أصلاً، وهو ثاني بيت وضع للناس في الأرض، كما ثبت في الحديث الصحيح، وفي الأخبار المتواترة عن صلتة بسيرة الأنبياء وجغرافية القرآن، فالمسجد الأقصى جدد بناءه أنبياء الله تعالى، إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسليمان (عليهم السلام) كما جدده المسلمون بعد الفتح العمري الراشدي، وبعد التحرير الأيوبي.. وحتى عهد الاستعمار الغربي البغيض.

تدبر القرآن بلسان عربي مبين

قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[1]. وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2].

ترى هل معنى التدبر في القرآن منحصر في الحفظ والدراسة والرواية، أم يتعداه إلى التفكّر والفهم الأمثل للخطاب القرآني ؟!..

إن حقيقة التدبر والتفكّر هي التفعل والتفعيل، وإن المدير الناجح الذي يدبر إدارته هو الذي يفعلها في الواقع، ويجعلها حيوية نشيطة، تكون في حركة دائمة، مفيدة منتجة. إن الله سبحانه وتعالى الذي يدبر الأمر في السماء والأرض، هو – جل جلاله – الذي يدبر أمر الكون والحياة، ويفعل الحركة الدائبة في الكون، ويبدع في مخلوقاته، بعد أن وهبها الوجود والحياة، وهو يمد مخلوقاته بالحياة ويفعل الوجود.

---

[1] سورة النساء/ ٨٢.

[2] سورة محمد/ ٢٤.

إن المفاعل النووي (أو المفعل) يفعل المادة وذراتها، بحيث أن كمية صغيرة من مادة اليورانيوم المخصب، يمكن أن تأخذ سفينة فضائية إلى القمر، وهيِ كافية – أيضاً – لإضاءة مدينة بأكملها، وذلك المعنى قريب من معنى التدبر. إن تدبر القرآن في اللسان العربي المبين، يعني تفعيل القرآن في داخل نفوسنا ووجداننا، وأن ننفعل بالقرآن العظيم، أي أن يتحول الإنسان من إنسان عادي إلى كائن مشع ومضيء، وأن يضيء كل من اقترب منه أو نظر إليه، ويمده بالطاقة والحيوية والإيمان والنور. وهكذا كان النبي الكريم والرحمة المهداة ﷺ، وهكذا كان جيل النبوة من الآل والأصحاب، لأن القرآن منبع الحركة ومركز التفعيل وبؤرته الكونية، سواء كان موجودات الكون المسخرة أم مخلوقات الله التي أبدعها في كونه الرحيب. والقرآن هو الجامع وهو أشبه بالمولّد الرباني للطاقة والعلم والحيوية، وهو المدد الحقيقي لجميع مخلوقاتِ الله، ومن خلاله يتم دفع الإنسان وحضارته ونشاطه على الأرض، دفعاً ايجابياً لا سلبياً.

إن القرآن هو ناموس الكون، وهو الفرن الخارق، الذي تتجوهر فيه النفوس والأرواح والعقول والأفهام. إن حامل القرآن ومن يقرؤه ويرتّله ويجمعه، عليه أنٍ يكونٍ مركزٍ إشعاعٍ لمنٍ حوله من النفوس التائهة والحائرة، وأن يكون منيراً مضيئاً ومعلماً رائداً وعلماً، وأن يكون محطّ أنظار من حوله.

<u>قال النبي ﷺ: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة (أي البرتقالة) طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها[1].</u>

وقال ﷺ: <u>ليؤمكم أقرؤكم للقرآن.</u> وروى البزار بإسناد حسن قول النبي ﷺ: <u>إذا سافرتم فليؤمكم أقرؤكم وإن كان أصغركم وإذا أمكم فهو أميركم.</u>

[1] رواه البخاري ومسلم.

إن من أبرز معاني كلمة (أقرؤكم) في الحديث الشريف.. أي أجمعكم وأوعاكم وأفهمكم للقرآن.
إن قارئ القرآن – إن كان مخلصاً في تدبره للقرآن– سيفتح الله عليه أبواب الخير والنور ويفعل فهمه وتدبره، وسيمده بالعلم الشامل والمعرفة والقوة والذكاء والفراسة.
إن القرآن الكريم هو أكبر مفاعل نووي في العالم، يفعل مخلوقات الله من الجن والإنس، ويخرجها من الظلمات إلى النور، وهو الكتاب الإلهي المعجز، الذي كان وراء أعظم الحضارات في التاريخ، كالحضارة الإسلامية، ثم الحضارة الأوربية التي استفادت من تعاليم القرآن وورثت حضارة القرآن الإسلامية[1].
لقد كان القرآن محفزاً ومنقذاً للبشرية، وسيكون كذلك إلى يوم الدين، فلا يمكن لها أن تتحول من الشقاء إلى السعادة، ومن الظلمات إلى النور، إلا في ظل حضارة العدل والخير والسلام، وهي حضارة القرآن العربية. فلولا القرآن لبقي الناس على حالتهم الأولى من الشرك والهمجية والعنصرية والظلم والطغيان والفساد، الذي كان يملأ الأرض قبل نزول القرآن وعاد يملؤها من جديد، حين تخلّف المسلمون عن التفاعل مع القرآن وهجروا تعاليمه، فانزوت حضارتهم وانحسرت قبل بضعة قرون.
إن من أبرز المعطيات والحقائق التاريخية التي باتت معروفة الآن، هي أثر حضارة العرب على حضارة أوربا في عصر النهضة وما بعده. وقد تحدث عن تلك الحقيقة علماء وكتّاب عديدون منهم المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها الشهير (شمس العرب تسطع على الغرب) ومنهم الكاتب الفرنسي الشهير (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) والمستشرق المجري (ليو بولد فايس) في كتابه (الاسلام على مفترق الطرق) وكتابه (الطريق الى مكة) والفيلسوف الأمريكي المعروف أرنولد توينبي وغيرهم . ومعروف أن أكثر ما

---

[1] انظر كتاب العرب من اليمين إلى اليسار/ خالد محمد حمد.

استفادت منه أوربا في احتكاكها بالعالم الإسلامي، كان أساسه التأثّر بالقرآن وتعاليمه. وقد مثل ذلك الاحتكاك الشرارة الأولى التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي في أوربا، في عصورها الوسطى وفي القرون التي تلت ذلك، حتى عصر النهضة الحديثة.

لقد وهبت حضارة القرآن أوربا المنهج العلمي التجريبي والعقل الواقعي والموضوعي، بدل الاتجاهات الأسطورية ومفاهيم الهرطقة والخرافة، التي كانت سائدة في أوربا في قرون التمدن والازدهار الإسلامي، حين كانت حضارة القرآن مهيمنة على الثقافة والفكر في العالم، ولحقبة من الزمن قاربت الألف عام، بعد عصر نزول القرآن وانتشار أنواره على الأرض. كما وهبت حضارة القرآن لأوربا أصول العلوم والمعارف، في الطب والفلك والأدب والفن والقانون وحقوق الإنسان والحيوان: وكثير من العلوم التي تفتخر بها أوربا اليوم، وتتعالى بغطرسة وفوقية وتكبر على باقي الشعوب والأمم بسبب تفوقها العلمي الحالي.

لقد كشف الباحثون والعلماء مؤخراً، بأن أول صحيفة لحقوق الإنسان، والتي كتبت في انكلترا في عصر الملك جون، وهي وثيقة (الماكنا كارتا)، كانت بنودها قد استقيت واستنبطت من القرآن بشكل مباشر. كما كشف الباحثون أن الملك جون الذي صدرت في زمنه أول وثيقة لحقوق الإنسان كان حاكماً عادلاً ورشيداً على عكس ما أشيع خلال قرون طويلة. والملك جون هو أخو القائد الانكليزي ريتشارد (قلب الأسد!) إبان الحملات الصليبية المعروفة على بلاد الشام في عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي، في القرن الثالث عشر الميلادي.

إن الملك جون كان قد قرأ القرآن وتأثر به، وحاول اعتناق الإسلام سراً. ويذكر الباحثون أن هذا الملك قد طلب من السلطان محمد الناصر ملك المغرب والأندلس في ذلك العصر، أن يتحالف معه ضد خصومه في أوربا، وقد أبدا رغبة شديدة لدراسة الإسلام والتعرف عليه عن كثب، لكي يعتنق الدين الإسلامي ويعلن إسلامه في الوقت المناسب. وكان قد أرسل لجنة تفاوضية إلى قصر

السلطان الناصر لهذا الغرض. ولكن خطة الملك جون ورغبته الصادقة في التقرب إلى السلطان الإسلامي وتأثره بالقرآن لأسباب عديدة، كانت قد كشفت وأجهضت من قبل خصومه. وكان من أبرز أسباب هذا التوجه السياسي لدى الملك جون، هو التآمر الصليبي الأوربي المستمر على حكمه، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى فشل خطته هي، أن أحد أعضاء اللجنة التي أرسلها إلى ملك المغرب والأندلس، كان يهودياً متعاوناً مع خصومه ومناوئاً لحكمه. وقد استطاع هذا الشخص أن يشكك في نوايا الملك جون أمام السلطان محمد الناصر، وتمكن من أن يدق إسفيناً من الشك والريبة وعدم الثقة بين السلطان المسلم والملك الانكليزي، فأدى ذلك – بطبيعة الحال – إلى رفض طلب الملك جون، للتحالف بين بريطانيا والأندلس، ضد المحور الصليبي المتمركز في ايطاليا وفرنسا وأسبانيا والمتحالف مع الكنيسة والتيار اللاهوتي المتعصب آنذاك. وقد أثمرت جهود خصوم الملك العادل، إلى ارتياب السلطان المغربي الأندلسي في نوايا الملك، وفي رغبته باعتناق الإسلام، مما أدى إلى عودة اللجنة المكلفة إلى انكلترا، دون أن تنجح في إبرام أي اتفاق مع الدولة الإسلامية بالأندلس والمغرب، ومن ثم محاصرة الملك جون ومحاربته وتشديد الطوق عليه، من قبل الكنيسة والدول الأوربية المتحالفة معها. وقد أدى ذلك في نهاية المطاف إلى عزل الملك جون واتهامه بالظلم والفساد، ثم الجنون والهرطقة وأخيراً إعدامه، وتسليم عرش انكلترا لأخيه الأمير ريتشارد.

والجدير بالذكر أن الملك الجديد ريتشارد والدول المتحالفة معه، كانت قد استعانت برموز الإقطاع وكبار الملاكين والتجار الاحتكاريين في انكلترا، لمحاصرة الملك جون والانقضاض عليه وإسقاط حكمه. وكان من أبرزهم الأمير الإقطاعي (روبن هود)، وقد كان صديقاً حميماً للملك ريتشارد، وقد ساهم مساهمة حاسمة في إسقاط أخيه الملك جون.

ولقد تم – مع الأسف– تزييف التاريخ وتفاصيل الأحداث المهمة المتعلقة بعصر الملك جون وخفاياه، لاسيما ما يتعلق بعدالة حكمه وتأثره بالإسلام، ومعارضته

للحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، وصدور أول وثيقة لحقوق الإنسان في عهده، حتى شهدنا أن التاريخ المزيف قد خلّد الأمير (روبن هود) واعتبره بطلاً أسطورياً، وشجاعاً ونصيراً للفقراء والمساكين ومدافعاً عن الحق الذي نادت به الكنيسة، ومن أبرز الأمراء الانكليز الوطنيين الذين حاربوا الملك المستبد المارق والخارج على تعاليم الكنيسة (!)، والتمكن من إسقاطه واستبداله بأخيه الملك ريتشارد، الوفي لانكلترا وللكنيسة وللعدل والسلام، حتى اشتهر روبن هود في السينما الأوربية، بطلاً أسطورياً، وأطلق عليه زوراً لقب (نصير الفقراء والمستضعفين).. وهذا هو – بالطبع – عكس الحقيقة التاريخية التي كشفها المؤرخون مؤخراً، والتي تؤكد أنه كان أميراً إقطاعياً مستغلاً للفقراء والمساكين، ونصيراً للطغاة والمستبدين والمتعصبين، أمثال صديقه الحميم (ريتشارد قلب الأسد!)، المتعطشين للدماء.

ورغم إعدام الملك جون واتهامه بالظلم والاستبداد والجنون، وتعرض سيرته وعهده للتشويه والتزييف التاريخي، إلا أن وثيقة (الماكنا كارتا) الشهيرة، والتي تمثل أول وثيقة قانونية تتحدث عن حقوق الإنسان في تاريخ العالم، تؤكد براءته وعدالة حكمه وتثبيت ظلم واستبداد خصومه، كما تشير هذه الوثيقة إشارة قاطعة، إلى مدى تأثر أوربا العصور الوسطى والملك جون ووثيقته الشهيرة بالقرآن وتعاليمه الراقية[1]. إن القرآن الكريم يكشف – بحق ويقين– حقائق تاريخية وعلمية باهرة، لا يمكن تجاهلها أو إنكارها، لعل في مقدمتها: انه الكتاب الوحيد في التاريخ البشري الذي حافظ على صحته ونقاوته، كما انه نشر التوحيد الحق والإسلام الخالد لله رب العالمين في كل أرجاء الأرض، وانه فتح الباب على مصراعيه لمحفّزات التقدم العلمي ومساراته، التي تسارعت بعد نزوله بشكل مذهل وكبير[2]. وهو الكتاب الذي أنار العيون والبصائر والعقول، وليس أديسون

---

[1] انظر كتاب: الثقافة الفرنسية ط. الكويت [مترجم]، وبرنامج: من تراث الشعوب/ الاستاذ الاعلامي زهير القيسي، وزارة الاعلام/ بغداد.

[2] انظر كتاب: المائة الأوائل/ د. مايكل هارث.

ونيوتن وماكسويل، وغيرهم من العلماء الذين جاءوا ثمرةَ طيبةً لتفاعل وتفعيل دور حضارة القرآن على الأرض. ولولا القرآن لبقي الرومان رومان والبيزنطيون بيزنطيين، بدائيين قاصري المنهج والطريقة العلمية والعملية.

وفي المقابل أُبعد العرب في القرون الأخيرة-عن قصد- عن الفهم الحقيقي للقران، ولذلك تم تهميشهم وتهميش دورهم التاريخي والحضاري، ولم يستطيعوا أن يستمدوا الدافقات الحضارية من القرآن- تلك التي فعلتهم في صدر الإسلام - ولا يزال العرب في سبات عميق وغيبوبة عن هويتهم وانتمائهم إلى حضارة القرآن وثقافته ولغته الأصيلة، وفهمه الفهم الأمثل باللسان العربي المبين، كما أراد الله سبحانه، ولا زالوا يمضون الوقت الطويلِ في شكليات[1] الحفظ والتجويد والتفسير والأطر الثابتة (المسبقة) دون تفعيل وتدبر حقيقي للقران، ودوره الحاسم في بناء الإنسان وحضارته على الأرض.

والجدير بالذكر إننا أمرنا بترتيل القرآن وتلاوته وليس تجويده والتغني به، كما هو شائع بيننا اليوم، ولا يجوز أن يكون التجويد بأي حال من الأحوال بديلاً عن الترتيل. الترتيل الذي أمر الله سبحانه وتعالى به، وهو الطريق الموصل إلى الفهم الأمثل للقرآن، أو هو ما يساعد على الوصول للفهم الأمثل، وليس التجويد الذي أصبح هو هدف بحد ذاته وليس وسيلة إلى الهدف الأسمى. والترتيل أمر قديم أمر الله سبحانه وتعالى به كل الأمم السابقة، ولا تزال آثار هذا الأمر الإلهي، موجودة لدى اليهود والنصارى، في الكنائس بشكل ملحوظ، وهي تنبهنا على أنه كان لها أصل في اللسان العربي المبين!..وكذا في عبادات وصلوات الديانات الأرضية الأخرى المنتشرة في الهند والصين وفارس، بل حتى شعب الانكا والهنود الحمر، حيث نلاحظ أنهم جميعا يرتلون، عند قراءة نصوصهم الدينية.

---

[1] انها في الحقيقة ليست شكليات، وانما هي أساسيات، إضافة الى التدبر والتفاعل. كما إن التجويد هو التحسين. وتحسين القرآن باخراج الحروف من مخارجها، وإن حفظ أحكام التجويد، يساعد على التأثّر والفهم. (المراجع: الشيخ وليد الخطيب)

إن الترتيل أمر الهي منذ الأزل، وقد انحرف هذا الأمر عن أصله العربي المبين، مثلما انحرفت كثير من الأوامر، أشتاتاً أشتاتا. لقد كان الهدف الأساسي من الترتيل العربي،هو تعميق أثر المعنى للفظ، وجعله يملأ الكيان، كيان القارئ والسامع معاً، تاركاً أثراً لا يمحى، في بيان وصوت يوصلان الحكمة إلى القلب مباشرة دون وسيط،، ويحولان النفس الإنسانية إلى نفس مؤمنة مطمئنة ذات طاقة ايجابية عاملة وبناءة، ليست خاملة ولا بائسة ولا يائسة، ولم يكن الغرض من الترتيل أو التجويد هو تجميل اللفظ أو بعث النشوة أو الغبطة والسرور، كما لم يكن في قرون الخيرية الأولى أمر قراءة القرآن، وقفاً على المناسبات الدينية والاجتماعية فحسب، كما يفعل في وظيفة التجويد. إن ترتيل القرآن يعني قراءة القرآن كما نزل، كما كان يقرأه الرسول ﷺ، كما قرأه جبريل (عليه السلام)، كما تلقاه عن الله سبحانه وتعالى. إن ترتيل القرآن يعني أن يكون القرآن دائماً رطباً كما نزل. إن الترتيل الذي يريده الله يعمق الفهم والوعي العربي للنص الإلهي العربي.
قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا. إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾[1].

---

[1] سورة المزمل/ ٤-٥,

الحصان العربي وخيول العالم

لقد اشتهر الحصان العربي والخيول العربية بينِ جميع شعوب العالم منذ القديم وحتى اليوم. وهو الحصان الأصيل الذي تميز بروعته وجماله الأخاذ وشكله الأنيق، فضلاً عن الذكاء الحاد وقدرته المتميزة على المحاكاة، بحيث أصبح ثمن الحصان العربي باهظاً، لا يدانيه أي نوع من الخيول أو الحيوانات الأخرى في العالم. وهو كائن نبيل رائع في كل شيء، حتى كاد أن يكون إنساناً غير ناطق. ومن المعروف أن لفظة حصان تعني تحديداً الحصان العربي، أما غير العربي فهو دابة ويدعى (البرذون)، وكذلك لفظة الجمل، فهي لا تطلق إلا على الجمال العربية، ذات السنام الواحد، وغيرها تسمى دواباً وتدعى (النجاتي).

ويذكر في أدبيات التراث العربي حول الحصان، إن الأصيل منه،إذا ركض وأجهد، تنبعث منه ومن عرقه رائحة عطرة نادرة وزكية ذات شذى مميز، ويذكر في أدبيات التراث أن النبي سليمان بن داود عليه السلام قد أهدى عطراً من عرق الحصان إلى بلقيس ملكة سبأ. ويذكر أن العالم البيولوجي دارون صاحب نظرية التطور، كان قد استثنى الحصان العربي من سلسلة التطور، التي افترضها في دراسته عن النشوء والتطور في عالم الحيوان، في كتابه المعروف (أصل الأنواع)، والذي نشر في سنة ١٨٥٩ م. فقد لاحظ دارون أن هناك فرقاً في البنية التشريحية للحصان العربي عن غيره من الخيول الأخرى، في الجمجمة والعظام والعضلات، وأن عدد فقرات عموده الفقري تنقص بواحدة، مقارنة مع الأنواع الأخرى للخيول. وأن هذا الاختلاف في عدد الفقرات، هو الذي يكسب الحصان العربي تميزاً وقدرة، على التحمل أكبر وأكثر من بقية الأنواع[١].

---

[١] انظر كتاب الحصان العربي وخيول العالم/ ترجمة محمد غسان سبانو/ دار الكتاب العربي/ دمشق، وهو من تأليف أحد الرحالة الأوربيين والمستشرقين، الذين زاروا الجزيرة العربية إبان حكم الملك عبد العزيز بن سعود.

وجاء في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري [ت: ٣٩٠هـ]: إن أول من ركب الحصان العربي واستأنسه هو النبي إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وكان ذلك إبان شروعهم في تلبية أمر الله سبحانه لإبراهيم بذبحه ابنه إسماعيل، وكان سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء قد جمع أبناءه وأتباعه ومواليه، وحارب أعداء الله في معارك عديدة، مستخدماً قطيع من الخيول العربية، التي أمدها الله بها. وقد أمره الله سبحانه مع ابنه إسماعيل أن يأخذها إلى شعب من شعاب مكة، يدعى شعب الجياد، ولهذا سميت فيما بعد بالجياد نسبة الى شعب أجياد هذه. وهو مدد رباني يذكرنا بمدد الملائكة في معركة بدر، ذلك المدد الكبير الذي ذكره القرآن الكريم. وقد ورث سليمان بن داود سلالة تلك الجياد الربانية المتميزة، لكي تدعم دولته الإسلامية في نشر التوحيد ومحاربة الشرك في الجزيرة واليمن وبابل ومكة وبيت المقدس، وقد ذكرت جياد سليمان في القرآن في قوله تعالى: **﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾**[1]. كما أمر الله سبحانه المؤمنين بضرورة إعداد الخيل باعتبارها رمزاً للقوة والمنعة وأحد صورها، في العصور الأولى في صدر الإسلام. قال تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم، وأنتم لا تظلمون﴾**[2].

فلبى نبي الرحمة ﷺ أمر الله عز وجل، وأعد الخيل والفرسان للجهاد في سبيل الله ونشر رسالة التوحيد في ربوع الجزيرة والعالم، ليكون رحمة للعالمين. وقد دعا رسول الله ﷺ إلى حب الخيل والاهتمام بها وركوبها والتدريب على الفروسية للتأهب في استخدامها في الجهاد والحروب الإسلامية، فقال في الخيل أحاديث عديدة منها: علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل. وقد روي هذا

---

[1] سورة ص/٣١.

[2] سورة الأنفال/ ٦٠.

الحديث أيضاً موقوفاً الى عمر ﷺ. وقال ﷺ: من همَّ أن يربط فرساً في سبيل الله بنية صادقة، أُعطي أجر شهيد. وقال: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، وإن المنفق عليها كالباسط يده في الصدقة[1].

إن الحصان العربي يتميز بأنه لا يمكن أن يقفز على الحواجز، إثناء السباقات أو غيرها، إذا كان الفارس الذي يعلوه مبتدئاً وغير مدرب وغير ماهر في ركوبه، أو كان خائفاً، كما أنه لا يسير مطلقاً إن كان على ظهره طفلٌ صغير. وأن الحصان العربي من الفطنة والذكاء بحيث إنه إذا قفز على حاجز ما، تدور عيناه وتنظر إلى الحاجز الذي صار تحته، ويقدر وتراقب المسافة والبعد بين الحاجز وبين قوائمه الخلفية ورفعها، أو ثنيها إلى فوق إذا ما وجد ضرورة لذلك. كما إن للعرب قصصاً واقعية كثيرة، تتكلم عن وفاء الحصان لصاحبه، حيث يفرح لفرحه ويأنس بأنسه، ويذكر أنه يتذوق الموسيقى ويطرب لسماعها، ويرقص عليها في الأفراح والاحتفالات والمهرجانات المتنوعة. وإن أنسه به وفرحه وحزنه تبعاً لما يجد في محيطه العربي. إن هذه التفاصيل والصفات التي يتسم بها الحصان العربي، هي حقائق وأخبار وانطباعات ذكرها رئيس اتحاد الفروسية في سوريا، كما حدثني أحد أصدقائه المقربين.

---

[1] انظر كتاب: الخيل العراب وفضلها على الانسال العالمية، ص١٤، قدري الأرضروملي/ الدار العربية – بغداد، وكتاب: العرب من اليمين إلى اليسار/ خالد محمد حمد، ص١٥٨.

الطب العربي والطب النبوي

لقد كان مصطلح الطب العربي شائعاً قبل عصر النزعات القومية والعرقية التي انتشرت في أوربا والعالم في القرنين الماضيين، وهو يشمل طب العرب والطب النبوي وطب الأعشاب والطب البديل والطب الصيني والهندي والريفي والبدوي، وكل ما يمت بصلة إلى الطب الطبيعي غير الكيماوي ولا المصنع، الذي انتشر اليوم في المختبرات والمصانع المتخصصة بالأدوية الكيماوية والمستحضرات الطبية الصناعية، التي تملأ الصيدليات والمذاخر والمخازن الطبية التقليدية، والتي استعانت بأصول الطب العربي والخبرات المتراكمة لدى الشعوب، فضلاً عن الوسائل الصناعية والمواد الكيماوية الحديثة المتنوعة. وقد أكّد العلماء والصيادلة المختصون إن للمواد الكيماوية المساعدة والحافظة والصبغية والمخدرة والتراكيب المستخدمة في تحضير الأدوية، تأثيرات جانبية سمية ومضرة، تصل إلى حد السرطنة والآثار الخطيرة الأخرى، وإن خطر السرطنة في الأدوية الصناعية يزداد كلما دخل تحضير المواد الغذائية والكيماوية عمليات الهندسة الجينية والتلاعب في المورثات والنظام الجنيني والكروموسومي المسيطر على خصائص ومواصفات الكائنات الحية وخلاياها، وكلما امتد علم الهندسة الوراثية ليخرج عن دائرة التسخير الطبيعية، التي أنعمها الله سبحانه على الإنسان بالعلم والتقنية الحديثة، إلى دائرة التغيير والتعديل المهلك للحرث والنسل، مما ساهم في انتشار أمراض وآفات خطيرة لم تكن موجودة في الأجيال السابقة، بسبب نزعة التغيير والغرور، التي تعامل بها الإنسان مع المعارف الحديثة، لاسيما في مجال الطب والأدوية وصحة الإنسان بكل فروعها. قال تعالى:

﴿وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾[1]. وقال: **﴿لعنه الله وقال لأتّخذنّ من عبادك نصيباً مفروضا . ولأُضلّنهم**

---

[1] سورة الجاثية/ ١٣.

ولأُمنّينّهم ولآمرنّهم فليبتّكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرنّ خلق الله، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا﴾[1].

وهكذا فقد ظهرت اليوم تسميات بديلة وعديدة للطب العربي الأصيل والقديم، فصار يقال له: الطب الشعبي والطب البديل والطب الطبيعي وطب الأعشاب والطب الموازي والطب الصيني والطب الهندي، وغير ذلك من التسميات العديدة، التي تحاشت التسمية القديمة والأصيلة (الطب العربي). وتذكر أدبيات التراث الإسلامي وكتبه، إن الأنبياء والرسل جميعاً (عليهم السلام) كانوا أطباء للنفس البشرية، فهم أطباء نفس وأطباء بدن. وكثيراً ما كان الأنبياء يسألون عما يعترض الناس من أمراض، ويسألون عن الأدوية المناسبة للعلاج، وإنهم كانوا يستلهمون الجواب من الله سبحانه، عن طريق الوحي الإلهي. وقد قام الأولياء والعلماء والصالحون بنقل تلك الخبرة المتراكمة لتراث الأنبياء في الطب والعلاج، إلى الناس في كل أمة من الأمم، التي أرسل إليها الأنبياء. وقد تركز ذلك التراث بشكل أساسي في الطب النبوي، وما فيه من حكم ونصائح طبية فريدة، عن فوائد الأعشاب والأشربة، كالعسل وزيت الزيتون والحبة السوداء والقرفة والبابونج والثوم والبصل والريحان والزعتر والنعناع، وغيرها من طب الأعشاب، الذي ورد ذكره في الطب النبوي الصحيح، فضلاً عن خبرة الإنسان وتجربته لتلك التوجيهات والنصائح ومدى صدقتيها، فتكون عبر الزمن تراث مجيد وحافل للطب العربي[2].

قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾[3].

---

[1] سورة النساء/ ١١٨-١١٩.

[2] انظر للمزيد كتاب: الطب النبوي/ ابن القيم الجوزية وغيره، مما كتب في مواضيع الطب العربي وتشعباته العديدة لاسيما طب الأعشاب والطب البديل.

[3] سورة الإسراء/ ٨٢.

وقال: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[1]. وقال: ﴿والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام. والحب ذو العصف والريحان﴾[2]. وقال: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً، فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضراً، نخرج منه حباً متراكباً، ومن النخل من طلعها قنوان دانية، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾[3].

ويحث النبي ﷺ على العلاج من كل داء يعترض الإنسان، وعلى الأخذ بأسباب التداوي من الأمراض، ويؤكد لنا بأن الله خلق الداء والدواء، فيقول: إن الله جعل لكل داء دواء، إلا السأم (أي الموت) فتداووا ولا تداووا بحرام.

يقول الإمام القرطبي: أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[4]. قد جمعت الطب كله.

وينسب إلى الطبيب العربي الحارث بن كلدة قوله: المعدة بيت الدواء، والحمية رأس كل دواء. وروي هذا الأثر أيضاً مرفوعاً إلى النبي العربي ﷺ.

وهناك أحاديث كثيرة في الطب النبوي وطب الأعشاب، الذي هو في الأصل الطب العربي الرباني وطب الأنبياء الذي نزل عليهم وحياً من الله سبحانه.

إذن لماذا سمي ذلك النوع من الطب، بالطب العربي؟ علماً بأن العرب منذ القديم كانوا يأنفون من العمل في الطب، ولا يسمحون لأبنائهم بامتهان هذه المهنة، بما فيها من فصد وحجامة وتحضير للأدوية من الأعشاب البرية

---

[1] سورة النحل/ ٦٩.

[2] سورة الرحمن/ ١٠ – ١٢.

[3] سورة الأنعام/ ٩٩.

[4] سورة الأعراف/ ٣١.

والطبيعية، التي تقترب من ٥٠٠٠ عشبة برية في العالم. لقد ترك العرب – قديماً – مهنة الطب للموالي وللعجم وأهل الكتاب، كما هو مشهور تاريخياً، وذلك لكون الطبيب يقتضي عمله، الاطلاع على العورات والاقتراب من الموارد والروائح الكريهة أحياناً، ومن المعروف أن علماء الطب العربي وأعلامه، كان أكثرهم مسلمين (غير عرب) أو يونان... ومع ذلك فقد كان هذا النوع من الطب الحيوي المتداول والمقبول، يدعى عالمياً الطب العربي!. ليس فقط في بلاد العرب وإنما في أنحاء العالم القديم، كالهند والصين وبلاد فارس واليونان والرومان، فضلاً عن وادي النيل والعراق والشام. لقد كان الاسم الشائع له هو (الطب العربي) في كل تلك الأنحاء العريقة والقديمة، مع أن العرب – كقوم – لم يخترعوا هذا الطب، فكيف يمكن حل تلك المفارقة وهذا التناقض الظاهري والتاريخي؟!. كذلك يستخدم مصطلح عراب الكنيسة لمن يقوم ويتكفل، بتعليم الطفل الدين والأخلاق، وتعريفه بحقوق الله سبحانه، وهو مصطلح قديم جداً منذ نشأة الكنيسة، وهو متداول في جميع أنحاء العالم أيضاً؟. والعراب في لهجاتنا العامية، هو الرجل الموفّق بين الأطراف. وعارب: قارب، والعراب هو المهيأ والمحضر لتلافي المتناقضات، وهو الشخص المرجح أو المنجح للاتفاقات، والعرب هو اسم للفطرة أو الأصل وهو اسم للمطر، وعرب: قرب، وعرباً أترابا: أي قريبين أنيسين شديدي الإخلاص والمودة، وأعراب:أقراب، والمعرب، وتحية عربية، عبارةٍ أصيلة قدسية، والمرأة العروب هي، المرأة الأصيلة الودود والممتلئة عاطفة وحباً للخير ولزوجها.

وفي تراث العرب هناك زمان وتاريخ عربيان قديمان، كان العالم القديم يعمل على إيقاعهما، ولا تزال توقيتات الزراعة والفلاحة والمواسم الزراعية تعتمد التواريخ المحددة عربياً، وهي مواعيد قاطعة لا تقبل الخطأ أو الخلل، حين كان الزمان والإنسان يسير وفق الساعة العربية الدقيقة والأصيلة. فهناك سنة عربية وشهر عربي وتوقيت عربي، كل تلك الأمور تنسب إلى العرب، علماً أن العرب – كقوم وأمة كبقية الأمم – لم يخترعوا هذه المواقيت حتماً.

وكذا في الكثير من الحرف والمهن الأصيلة والقديمة، يقال نجار عربي وحداد عربي وبيت عربي (البناء العربي)[١].

وكذا الأمر في ميدان الفكر والثقافة والتراث، هناك الخط العربي والزخارف العربية والرقم العربي ARABIC NUMBERS، وكذلك الشعر العربي الأصيل (العمودي). ومعلوم بداهة أن كل تلك المهن الأصيلة والفنون الرائعة العظيمة، لم يكن العرب – كجنس وقومية – أول من اخترعها ولا احتكروا استعمالها، وإنما كانت مشاعة ومنتشرة لدى كل البشر في العالم القديم، الذي تلا عصر آدم وعصر نوح عليه السلام.

ومن الأمور الملفتة للنظر أيضا لفظ (الصمغ العربي) المشهور في الهند وأواسط أفريقيا، حيث تنبت أشجار الصمغ العربي في الأجواء الاستوائية، وان زراعة تلك الأشجار منتشرة في مناطق الهند وأفريقيا. ومن المؤكد أن العرب لم يكونوا أول من اكتشف أشجاره أو زرعوها أو استخدموه في صناعاتهم، ومع ذلك يسمى الصمغ العربي وليس الأعجمي أو الهندي أو الأفريقي!. وهو كذلك بهذا الاسم الأصيل في كل لغات العالم (قبل تفشي الثقافة القومية العنصرية وهيمنة ثقافة التوراة على المؤسسات التربوية والإعلامية). وفي عالم الرعي، نرى الرعاة في مراعيهم يقولون: عربت القطيع، إذا ما أرادوا انتخاب قطعانهم، وكذلك يقول الفلاحون في الحقول وعلى بيادرهم لفظ: عربنا الحب، إذا ما أرادوا انتخاب الحب والغلال. فمن أين جاء هذا الاستخدام اللغوي وما هي دلالته؟.

لماذا نقول عن العربة التي يجرها الحصان، إنها عربة، لماذا ننسبها إلى عرب؟. ولما كان اسم يوم الجمعة، يوم العروبة، وهو يوم مقدس عند كل أنبياء الله، لأنه

---

[١] وقد حاول المستشرقون الغربيون واليهود استبدال لفظة عربي بلفظة شرقي، محاكاة لاستخدام لفظة الشرق في التوراة، للتدليل على جغرافيتهم الأنبياء وتاريخهم، ومنها استخدام لفظة الشرق الأوسط والشرق الأدنى والشرق الأقصى، فهي كلها مستوحاة من التوراة، وقد دأبوا على استبدال كل لفظ عرب وعربي بشرق وشرقي، إمعاناً في إقصاء العرب ودورهم الحضاري والتاريخي والديني.

يوم الله سبحانه، يوم الرب جل وعلا، وهو أحب الأيام إلى الله، ولماذا كان اسم مكة المكرمة وأحد أسمائها (العروبة)؟. ولماذا تسمى السماء السابعة (العروباء)؟. كما مسطور في كتب التراث. لماذا نسمي خلاصة الدسم المستخرج من الحليب واللبن، سمن عربي أو قيمر عرب؟. (وهو السمن البلدي الغني الأصيل والطيب المذاق والنكهة الطبيعية). وفي عالم الألبسة، نسمي اللباس الإنساني التقليدي، الثوب الواحد مع غطاء الرأس، للمرأة والرجل على السواء، نسميه (اللباس العربي). من الطبيعيٍ انه لم يكن ذلك بسبب نسبته إلى العرب، لان هذا اللباس الفطري، كان لباسا لجميع الناس في العالم القديم، وهو ابتداءً لباس آدم وحواء، فعصر آدم كان عصر الفطرة والتوحيد، ولذلك فان لباسه حتماً سيكون اللباس الفطري الإنساني الأساسي، وليس لبس الميني أو الماكسي جوب أو الكاوبوي وغيرها، مما ابتدعه الإنسان في تاريخه الطويل. لماذا يقال عن كل بيت تقليدي، مبني ببساطة من مواد طبيعية، ومن البيئة المحلية، من الطين والحجارة والخشب، ومواصفات مريحة وحرة، لماذا نقول عنه انه بيت عربي؟... ويقال نهار عربي ، عن كل نهار جميل، ذي طقس رائع. ومنها المثل الدارج عند أبائنا: نهارك عربي بالصلاة على النبي. فما علاقة النهار والطقس الجميل والبيت بلفظ عرب؟.

ولماذا يقال الأخلاق العربية، ونعني بها الشهامة والشجاعة والمروءة والكرامة والعزة والوفاء والكرم، وقد كانت هذه المعاني لدى جميع الشعوب وفي جميع أنحاء العالم تدعى الأخلاق العربية، وكذا الموعد المبرم الدقيق والملزم غير قابل للنقض ولا تراجع عنه مهما كلف الثمن، نسميه وعد عربي وكلام عرب.

وقفة تأمل مع الشعر العربي ونماذج مختارة منه

أما الشعر العربي فالكلام عنه يطول، ويكفي أن تقول عنه أنه: ديوان العرب وبيت الحكمة والسحر والبيان، ويقصد به القصيدة الموزونة على أحد أبحر الشعر المعروفة والمقفاة بحرف عربي فيه جرس القصيدة وموسيقاها التي تشتهر بها، وتتسم بالروعة والجمال والبيان والرقة والخيال.. كالمعلقات في الشعر الجاهلي وقصائد المتنبي وإبن زيدون والبوصيري وشوقي والجواهري والرصافي التي ذاع صيتها بين العرب قديماً وحديثا.

إن الشعر العمودي، يؤثر في أعماق النفس الإنسانية، وله صدى روحي ساحر وعميق. وان قصائد الشعر العربي من المعلقات وما يماثلها، هي التي تحفظ وتعلق في الفكر والبال، وتجري مجرى الحكم والأمثال، وان آثارها لا تتمحي، ومن الراجح أن تكون في معظمها، إرثاً قديماً جداً، يتصل بالوحي والسماء، وله علاقة وثيقة بكلام الأنبياء والمرسلين، من عصر آدم حتى عصر النبي الخاتم. وهناك في أدبيات التراث الإسلامي لحياة الأنبياء، شعر عربي موزون معروف، ينسب إلى سيدنا آدم والى سيدنا داود وسيدنا سليمان، والمزامير هي أحد الأمثلة على ذلك، التي يعتقد أنها كانت في الأساس موزونة ومقفاة وعمودية وعلى الطريقة المعروفة في الشعر العربي.

إن الشعر العربي الأصيل – كما نظن – كان الطريقة الوحيدة لدى الشعوب الأولى لتقول فيها الشعر، ويؤكد ذلك الباحث أحمد نجيب في دراسة أجراها بعنوان (أغاني الأطفال الشعبية) سنة ١٩٨٣، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، والتي أجراها على عشرين لغة في العالم، ووصل بعدها إلى نتيجة وقناعة أكيدة، بأن أصل الشعر لدى أمم الأرض كان موزوناً على طريقة الشعر العربي، وأنه لا يزال ينظم على الأوزان نفسها.

إن الشعر العربي العمودي الموزون والمقفى، يختلف عن باقي الأشكال الأدبية والفنية والحديثة والمعروفة، كالرواية والقصة والمقالة والمسرحية والنص

السينمائي والفنون الأخرى، اختلافاً كبيراً، فالشعر العربي العمودي لم يكن يحتمل التلفيق والافتراء أو التزوير أو التغيير والتبديل للأحداث والظروف والوقائع، رغم وجود صفة المبالغة فيه أحياناً، باعتباره تعبير عن المشاعر أو هو بالأحرى المشاعر التلقائية، بينما تحتمل باقي الأجناس الأدبية والفنية الأخرى، الوضع والاصطناع وما يحمله الخيال من تصورات وأفكار، يمكن أن تبنى بناءاً وتحضر تحضيراً، فيختلط الافتراض بالخيال، والتصور والتوقع بالافتراء والتلفيق والدس والتزوير للحقائق والأحداث التي تصفها فنون الأدب المختلفة، لا سيما القصة والرواية وأبواب النثر والكتابة المعاصرة. فتكون النصوص واللوحات والأفلام عبارة عن طبخة مقنعة ومقنعه ومعزوفة ملونة، تقدم للجمهور تحت عناوين الإبداع والواقعية والحداثة. وهي تحتمل نسبة من الواقعية، مع احتوائها على نسبة أكبر من الفرضيات غير الحقيقية والحوادث التي لم تحدث أبداً، وليس بعيداً عن ذلك الأفلام والمسرحيات العربية فضلاً عن الأجنبية. ولعل ذلك كان هو السبب الأهم في إحجام العرب – قديماً – عن التعامل مع هذه الأجناس الأدبية، لأنها تفتقر إلى الصدق في سرد الأحداث وتصوير حركة التاريخ. وليس مستغرباً أيضاً أن نجد اليهود من الطوائف التي تشجع الشعوب على ممارستها، لاسيما القصة والرواية، كبديل عن قراءة التاريخ، فيبثون التصورات والثقافات التي تنسجم مع برنامجهم وثقافتهم التوراتية، وفي نفس الوقت يحاولون التشكيك في الشعر العربي وأصوله ومصادره وتدوينه والاهتمام به، محاولين بذلك تحطيم صورة الشعر العربي الأصيل عند الأجيال، وما محاولة الكاتب طه حسين في شبابه للتشكيك في تدوين الشعر الجاهلي والتي حملت عنوان (في الشعر الجاهلي) في عشرينيات القرن الماضي، ببعيدة عن منهج الاستشراق اللاهوتي، والضجة التي أعقبت نشر الكتاب ومحاكمته وإعدامه، وتوبة طه حسين ورجوعه عنه، كما هو معروف بين العرب.

ولا بأس من الاستشهاد بمقاطع من مشاهير القصائد العربية في مختلف الأغراض والمناسبات..

كقول امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
ففاضت دموع العين مني صباب   على النحر حتى بلّ دمعي محمل
تضئ الظلام بالعشاء كأنه   منارة ممسى راهب متبتل
وليل كموج البحر أرخى سدوله   علي بأنواعٍ الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه   وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي   بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل

وقوله في قصيدته التي مطلعها:

تعلق قلبي بفتى عربيةً   تنعم بالديباج والحلي والحللي

وقول كعب بن زهير في بردته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبولُ
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحولُ
إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلولُ
في عصبة من قريش قال قائلهم   ببطن مكّة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشفُ   عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ

وقول الشاعر العباسي أبي تمام في قصيدته الشهيرة (السَّيفُ أَصدَقُ إِنباءً من الكُتُبِ) وهو يصف فيها معركة عمورية وانتصار العرب على الروم بقيادة الخليفَة المعتصم بالله.

السَّيفُ أَصدَقُ إِنباءً مِنَ الكُتُبِ   في حدِهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ
يا يوم وقْعةِ عمُّوريَّةَ انصرفت   منكَ المنى حفَّلاً معسولةَ ◌ الحلب
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبلَ ذَلِكَ قَدْ   شابَتْ نواصي اللّيالي وهي لم تَشِبِ

لقد تركتَ أمير المؤمنين بها   للنَّارِ يوماً ذليلَ الصَّخرِ والخشبِ

تدبير معتصم بالله منتقم   لله مرتقب في الله مرتغب

لم يغز قوماً ولم ينهد إلى بلد   إلا تقدَّمه جيشٌ من الرَّعب

رمى بك الله برجيها فهدَّمها   ولو رمى بك غير الله لم يصب

إنَّ الأُسود أسود الغيل همَّتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السَّلَب

تسعون ألفاً كآساد الشَّرى نضجت   جلودهم قبل نضجِ التينِ والعنب

خليفةَ الله جازى الله سعيك عن   جرثومة الدينِ والإسلام والحسب

فبين أيامك اللاتي نصرت بها   وبين أيَّام بدر أقرب النَّسب

أبقت بني الأصفرالممراض كاسمهم   صفر الوجوه وجلّت أوجه العرب

وقول الشافعي شاعر الحكمة:

تموت الأسد في الغابات جوعاً   ولحم الضأن يرمى للكلابِ

وذو جهل ينام على حريرٍ   وذو علم ينام على الترابِ

وقال:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي   ولو كنا سواء في الضاعة

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب   ولو نطق الزمان بنا هجانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئب   ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

إن كان رفضاً حبُّ آلِ محمدِ فليشهد الثقلان أني رافضي

وعلى منواله:

أو كان نصباً حبُّ صحبِ محمدِ فليشهد الثقلان أني ناصبي

أخيِ لن تنالِ العلم إلا بستِةٍ سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ

ذكاء وحرص واجتهاد وبلْغةٌ وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

وقيل:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ ولها المقام الثاني

وقول المتنبي شاعر العرب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

السيف والليل والبيداء تعرفني والقوس والرمح والقرطاس والقلم

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقوله:

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقف

كأنك في جفن الرَّدى وهو نائم

تمر بك الأبطال كَلْمى هزيمةً

ووجهك وضاحٌ، وثغركَ باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى

إلى قول قومٍ أنت بالغيب عالم

وقوله:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علّم الأسود المخصيَّ مكرمةً أقومه البيض أم آباؤه السود
لا يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلا وفي يده من نتنها عود

وقول ابن زيدون شاعر الأندلس في نونيته الشهيرة:

أضحى التّنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلتَ جوانحنا شوقاً إليكم ولا جَفتَ مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
لا تحسبوا نأْيكم عنا يغيِّرنا إن طالما غير النأي المحبينا
ويا نسيم الصِّبا بلّغ تحيتنا من لو على البعد حيًّا كان يحيينا
يا روضةً طالما أجنتِ لواحظنا وردا جلاه الصبا غضًّا ونسرينا
لسنا نسمِّيك إجلالا وتكرمةً وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
أمَّا هواك فلم نعدل بمنهله شربا وإن كان يروينا فيظمينا
دومي على العهد ما دمنا محافظةً فالحرُّ من دان إنصافا كما دينا
عليك مني سلام الله ما بقيت صبابةٌ منك نخفيها فتخفينا

وقول الشاعر الطغرائي:

أعللُ النفس بالآمال أرقبُها ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأمل
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص العيش مبتذل
ما كنت أأثر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسِّفل
تقدّمتني أُناس كان شوطهم وراء خطوي إذ أمشي على مهلي

وقول البوصيري في بردته الشهيرة التي يمدح بها النبي ﷺ:

أمِنْ تذكر جيرانٍ بذِى سلمِ مزجت دمعا جرى من مقلة بدمِ
أم هبَّت الريح من تلقاء كاظمة وأَومض البرق في الظلْماء من إضم
فما لعينيك إن قلتَ اكففاَهمتا وما لقلبك إن قلت استفق يهَم
لولا الهوى لم ترِق دمعاً على طلل ولا أَرقت لذكر البانِ والعلم
فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم
يا لائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم

في التحذير من هوى النفس:

فإن أمارتي بالسوء ما أتّعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم
والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
واخش الدسائس من جوعٍ ومن شبع فرب مخمصة شر من التّخم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والْزم حمية الندم
وخالف النفس والشيطانِ واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتَّهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

في مدح سيد المرسلين ﷺ:

مولاي صلي وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
محمد سيد الكونين والثقلينِ والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر الناهي فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلقٍ ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ

فهوَ الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم
منزهٌ عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غيرِ منقسم
فإن فضل رسوًل الله ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطق بفِمِ
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلُم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آيٍ أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كِواكِبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم
أكرم بخلق نبي زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف من معدني منطق منه ومبتسم

في شرف القرآن ومدحه:

دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلاً على علم
فالدُّرُّ يزداد حسناً وهو منتظمٍ وليس ينقص قدراً غير منتظم
آيات حق من الرحمن محدثةٌ قديمةٌ صفة الموصوف بالقِدم
لم تقترن بزمانٍ وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدِينا ففاقت كلَّ معجزةِ من النبيين إذ جاءت ولم تدم
محكّمات فما تبقين من شبْه لذى شقاقِ وما تبغين من حكم
ردَّت بلاغتها دعوى معارضها ردَّ الغيور يد الجاني عن الحرم
لها معانٍ كموج البحر في مدد وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعدُّ ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الإكثار بالسأم
قرَّت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن القصائد والأبياتِ الشعرية الأخرى الشهيرة والجميلة:

قصيدة **يا ليل الصب** متى غده للشاعر القيرواني:

يا ليل الصبُّ متى غده أقيامِ الساعة موعِده؟
رقد السمار فأرقّه أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق لـهِ مما يرعاه ويِّرصدهِ
نصبت عيناى له شركا في النوم فعز تصيده
بالله هب المشتاق كرى فلعل خيالك يسعده
يا أهل الشوق لنا شرق بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكم وصروف الدهر تبعده
ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تنكّده

وهذه قصيدة **يا زمان الوصل بالأندلسِ** لابن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب في عصره:

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلسِ
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلسِ
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنسِ
فكساه الحسن ثوبتا معلما يزدهي منه بأبهى ملبسِ
في ليال كتمت سر الهوى بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر
حين لذ النوم شيئاً أو كما هجِم الصبح هجومِ الحرسِ
غارت الشهب بنا أو ربما أثّرت فينا عيون النرجسِ
تبصر الورد غيوراً برما يكتسي من غيظيه ما يكتسي
وترى الآس لبيبا فهما يسرق السمعِ بأذني فرسِ
واتقوا الله أحيوا مغرما يتلاشى نفساً في نفسِ
حبس القلب عليكم كرما أفترضون خراب الحبسِ
ساحر المقلة معسول اللمى جال في النفس مجالَ النفسِ

وقول أمير الشعراء المعاصرين أحمد شوقي:

سلام من صبا بردى أرقُّ ودمع لا يكفكفَ يا دمشق

ومعذرة اليراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدقُّ

دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم أنه نور وحق

وللحرية الحمراء باب بكلِّ يد مضرجةٌ تدق

وقوله أيضاً:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقول الشاعر الجواهري:

حييتُ سفحك من بُعد فحييني يا دجلة الخير يا أم البساتين

حييت سفحكَ ظمآناً ألوذُ به لوذ الحمائم بين الماء والطينِ

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أفارقه على الكراهةِ بين الحين والحينِ

إني وردت عيون الماء صافيةً نبعاً فنبعا، فما كانت لترويني

وأنت يا قارباً تلوي الرياح به ليَّ النسائم أطراف الأفانينِ

يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا حتى لأدنى طماحٍ غير مضمونِ

أتضمنين مقيلاً لي سواسيةً بين الحشائش أوَ بين الرياحينِ

خلْواً من الهمِّ إلا همَّ خافقة بين الجوانح أعنيها وتعنيني

ياَ دجلة الخير يا أَطيافَ ساحرِ يا خمر خابية في ظلّ عرجونِ

وهذة أبيات من قصيدة صحراء هذي لشاعر تونس الخضراء:

صحراء هذي أم شلا أجسادي أم بيض عمري في رحى صيادي

مطر من الحيل القديمة نفسها والجمر أهلي.. والحصى أولادي

شعب على عشب وحلم شارد خلف الندى والشّعر عرش الحادي

شعب بلا ظهرٍ... أحاول شدّه بعمود شعرٍ فاغفروا لعنادي

لأشد ماء قصيدتي من ناره وأرى المديح يليق بي وببادي

لأطرقن النابحين جميعهم موتوا فلستم لائقين بزادي

الباب فتّحه الذين استشهدوا من سلّم المفتاح لِلجلاد؟

يقوى القوي بضعف من ضعفوا كما يقسِو الوساد برقة الوسّادَ

وحقوق إنساني بغابتهم فم متبسمٍ والناب بالمرصاد

يئدون بلداني ويعمون الخطى ويخرِّبون مدائني ببوادي

ويعذّبون الطفل في فم أمه وينكّلون بعاقلي وجمادِي

فإذا رددت سلاحهم بسلاحهم جلدوا دمي ووصفت بالجلاد

كُشفت لنا العورات بئس حضارةٍ تبني عباداً من ركام عباد

لا َشيء بعد اليوم باقٍ مثلما هو فاسمعوا صوت الحياة ينادي

الأرض تصرخ بالشعوب تحركي بالنار.. بالأحجار.. بالأطواد

القمح حارب كي يصير سنابلٌ والقفرِ حارب كي يصير بوادي

والنمل حاربت الرمال بظفرها كي لا تداس بظفرة المرتاد

والورد حارب في الرياح بروحه حتى تفيض بريحه وتهادي

ماذا يفيد الجذع وهو نخالةٌ ألا يجيء الماء في الميعاد

أما القوي فحتفه في ظلمه هل صار رعداً حاذق الإرعاد

لا يعجبنَّ الدب دفء فرائه فهو الذي يرميه بالصياد

حرب العروبة هذه من أجلكمٍ يا روم يا إفرنج يا رصَّادي

كي لا تمّد حضارة الدنيا غداً لرعاة أبقارٍ عنان قيادي

سرقوا طفولة حلمنا... وتعلموا أن يقتلوها في قماط مهادي

وتسقرتوا..فتهرطقوا..فتدقرطوا فتبقرتوا..فتمرتقوا بكسادي

من فرط ما قبضوا علينا وادّعوا تحريرنا بعهودهم وجهادي

كدنا نقول لهم: كفى حريةً جعنا إلى شيء من استعباد

صحراء هذي بل شلا أجسادي   بل بيض عمري..بل رحىٍ صيادي
بل ريش حلمي..بل جناح حميت   بل ومض يومي نابضاً بشهادي

وقول الشاعر السياب:

عيناك غابتا نخيلٍ ساعةَ السَّحر   أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم   وترقص الأضواء..كالأقمار في نهر
يرجُّه المجداف وهناً ساعة السَّحر   كأنما تنبض في غوريهما، النُّجوم
وتغرقان في ضبابٍ من أسى شفيف   كالبحرِ سرَّح اليدين فوقه المساء
دفء الشتّاء فيه وارتعاشة الخريف   والموت، والميلاد، والظلام والضِّياء
فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاء   كنشوة الطفل إذا خاف من القمر
كأنَّ أقواس السَّحاب تشرب الغيوم   وقطرة فقطرة تذوب في المطر

وغيرها كثير في ديوان العرب ودواوين الشعر والحكمة في تراث العرب والمسلمين، منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا..

لقد استطاع اليهود خلال العصر الحديث تحميل كل المبادئ التوراتية والتلمودية، عن طريق الرويات والقصص والأفلام والمسرحيات العالمية، حيث تم لهم غزو الفكر الإنساني والثقافة المعاصرة ،حتى أصبح بعض المسحيين في الغرب أكثر صهيونية من اليهود أنفسهم، وظهرت حركات وأحزاب وتكتلات ولولبيات تحمل في رحمها بذور المبادئ التوراتية العنصرية والأسطورية، لعل أشهرها التيار الإنجيلي الصهيوني والحركات البروتستانتية في أمريكا وأوربا والتي تدعو إلى التحالف الصهيوني الصليبي، للانقضاض على العرب وأرضهم وثرواتهم ومقدساتهم باعتبارها ارث التوراة وشعبه، وليس للعرب فيها نصيب. إن كثير من الروايات التي وضعت في أوربا منذ مطلع القرن الماضي وحتى الآن، وضعت لخدمة اليهود وأهدافهم، وهي في معظمها كانت تفترض وتتحدث عن ادعاء وزعم، بان اليهود هم الشعب المقدس الذي شتت واضطهد ظلماً وعدواناً

عبر التاريخ، وان اليهود شعب امتاز بتاريخ قديم يمتد إلى ما قبل شعوب الشرق القديمة، في سومر وأكد ومصر، كما تؤكد تلك القصص والروايات (العالمية) أن ظلماً مجحفاً لحق باليهود إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومن الأمثلة على تلك الروايات الشهيرة المسيسة، رواية (الحرب والسلام) لتولستوي، والتي أصبحت بفضل الدعاية الكبيرة بديلاً عن التاريخ أو هي التاريخ ذاته!... بينما في الحقيقة هي قصة مركبة في ذهن الكاتب، ورواية (الساعة الخامسة والعشرون)، ورواية (الطبل) وكثير من الروايات التي حصلت على الجائزة العالمية (جائزة نوبل)، وكذلك كتاب (قصة الحضارة) للكاتب ول ديورانت، الذي كتب على مسطرة التوراة، وكلها كتب تمجد باليهود وتاريخهم، وتدعي افتراءاً أن لليهود حق في أرض العرب، وعملت على تكريس هذه الافتراءات والأوهام وتحويلها إلى حقائق في أذهان الرأي العام الأوربي والأمريكي، وبالمقابل كانت هذه الأعمال تسئ للعرب والمسلمين أيما إساءة، مما أدى إلى تجييش الرأي العام الأوربي والعالمي وتحشيده ضد العرب والمسلمين، واتهامهم بالظلم والكذب والإرهاب والتخلف والبربرية.

إن الفكرة القائلة بان أبو العرب سيدنا إسماعيل بن إبراهيم هو أول من تفتق لسانه عن العربية، بحسب المعاجم القديمة، صارت اليوم وبفضل المعلومات التاريخية والأثرية المتوفرة لدينا، صارت من الأفكار الساقطة والأساطير التي عفا عليها الزمن، والمطلوب إهمالها وتجاوزها، لأنه من الثابت الآن، إن اللسان العربي في شكله الأصيل هو أقدم من عصر إسماعيل ﷺ بعصور وحقب بعيدة. وبحسب نصوص القرآن، فان القرآن يؤكد على أن اللسان العربي المبين كان دائماً في زبر الأولين، أي لسان الأولين.

قال تعالى: **﴿وانه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين على قلبك. لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. وانه لفي زبر الأولين﴾**[1].

[1] سورة الشعراء/ ١٩٢ – ١٩٦.

اللسان العربي المبين

لقد نزل القرآن – كما هو معلوم ومذكور في نص القرآن – بلسان عربي مبين، وهو لسان قديم قدم الإنسان على الأرض ، وهو أسبق من العربية العدنانية وأسبق من اللغات الحنيفية، المسماة خطأً باللغات السامية، وهي العربية القديمة والكنعانية والآرامية والأكدية والآشورية والحبشية والسبئية والثمودية وغيرها من لهجات العائلة الحنيفية العروبية.

إن اللسان العربي المبين هو لسان آدم وذريته، وقد هبط من السماء مع آدم أبي البشر (عليه السلام)، حين علّمه الله سبحانه الأسماء كلها، وعلّمه لغة التوحيد، وأعطاه البيان والقدرة على النطق ومحاكاة الطبيعة في أصواتها ومخلوقاتها وألوانها وأنواعها، من نبات وحيوان وبحار وأنهار وجبال وسهول وجنان. وقد نزلت به الكتب السماوية جميعها مع اختلاف في اللهجة واللسان الفرعي لكي نبي وأمة من الأمم. واللسان العربي هو لسان أهل الجنة كما ورد في الآثار. ومن المعروف أن هناك فرقاً بين لفظ اللسان وكتابته. وأن الكتابة خاضعة للترميز والاجتهاد والتطوير والتجويد والتلميح في الرسم. إن الكتابة هي رسم الكلام والحروف والجمل، أما اللفظ فهو القول، كقوله تعالى:

﴿وعد الله حقا، ومن أصدق من الله قيلا﴾[1].

وقوله: **﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾**[2].

إذن فهناك فرق واضح بين الألفاظ والكتابة في أي لسان سواء اللسان المبين أم اللسان الوضعي غير المبين، الذي تعدد بتعدد الشعوب والقوميات والأمم، واللسان الوضعي – أي اللهجات واللغات التي تفرعت من لغة آدم واللسان

---

[1] سورة النساء/ ١٢٢.

[2] سورة الرعد/ ٣٧.

العربي المبين – محكوم بسنة الله في خلقه، وتأثير البيئة والطبيعة على القدرة على نطق الحروف واختيار الألفاظ الجديدة لدى الأمم والشعوب.

فاللفظ هو القول والكتابة هي رسم القول وترميزه، كالخط المسماري والصوري والخط المسند والخط اللاتيني وغيرها من خطوط الكتابة التي زينت حضارة الإنسان وتاريخه، ويمكن أن تتغير وتتطور الكتابة بسهولة... لكن القول يبقى ثابتاً تبِعاً للسان واللغة واللهجة في عصر معين.

لقد وجه الرسول ﷺ الرسائل إلى ملوك العالم، في وقت مبكر من الدعوة الإسلامية في العصر المكي، فدعا مختلف الأباطرة والملوك والزعماء والرؤساء إلى الإسلام...وأرسل الرسائل باللسان العربي المبين. لقد أرسل تلك الرسائل إلى قيصر روما، والى هرقل عظيم الروم في بلاد الشام، والمقوقس عامل قيصر على مصر، والى كسرى ملك الفرس وعماله في العراق واليمامة والبحرين والى النجاشي ملك الحبشة... وكان فحوى تلك الرسائل الأساسي، هو الدعوة إلى الإسلام، في قوله ﷺ: أن أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وقد قرأت هذه الرسائل على هؤلاء الملوك، بلسان عربي مبين، دون الحاجة إلى الترجمة، وقد فهمت فهماً جيداً، من قبل كسرى وقيصر وهرقل ومن قبل المقوقس والنجاشي... وذلك بدليل ردود الأفعال المختلفة التي جاءت من تلك البلدان. إن الرسول ﷺ كان قد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة إلى جميع أنحاء العالم القديم، بل العالمين والثقلين، عالم الإنس وعالم الجن. في آسيا وأوربا وأفريقيا باللسان العربي المبين..

قال تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا . يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾[1]. وهكذا بلّغ رسول الله ﷺ الرسالة إلى العالمين بلسان عربي مبين، لكونه خاتم الأنبياء والمرسلين. فوصلت رسالته الخاتمة إلى آسيا وأوربا وأفريقيا بلغة القرآن الأصيلة المعجزة.

---

[1] سورة الإسراء/ ٨٢.

ولذلك يحق لنا أن نستنتج أن اللسان العربي المبين، كان في ذلك الزمان هو لسان الأمم الأساسي، بما فيهم الروم والفرس والهند والسند والأحباش وغيرهم. ولقد كان الجميع يقرؤون اللسان العربي المبين ويفهمونه، وإن تحدثوا باللهجات واللغات الحنيفية العروبية الأخرى، التي أطلق عليها خطأً – منذ قرنين فقط – اللغات السامية. وكان إطلاق هذا الاسم على يد المستشرق النمساوي اليهودي شلوتزر سنة ١٧٨٩م، محاكياً بتلك التسمية ما جاء في التوراة من ذكرِ لسام، وهو الابن المفضل لنوح عليه السلام، من بين إخوته حام ويافث. وذلك في إطار ما دس في التوراة من أساطير حول تراث الأنبياء عليهم السلام. إن اختلاف الألسن والألوان لدى شعوب البشر، هي سنة كونية وآية من آيات الله، قال تعالى: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**﴾[1].

وهكذا تكونت اللغات والألسن لدى الأمم عبر التاريخ، وهكذا تطورت وتعددت، ولكن ذلك الأمر والتطور والتغيير لا يصبح ذا معنى، إلا إذا عرفنا اللسان والأول والمرجع والأساس في اللغات والألسن المختلفة. إنه اللسان الأول الذي علّمه الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان الأول آدم أبو البشر، انه اللسان العربي المبين المسطور في لغة القرآن، والباقي إلى يوم الدين وهو ينبض بالحياة والسمو والرفعة والجمال والهيبة بين باقي الألسن، ليشير إلى آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته، أودعها الخالق سبحانه في عقل الإنسان وقلبه حين خلقه أول مرة... قال تعالى: ﴿**الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان**﴾[2]. أي أودعه القدرة على النطق والبيان. انه البيان الرائع باللسان المبين الذي تفرع وتكاثر إلى بقية لغات العالم.

---

[1] سورة الروم/ ٢٣.

[2] سورة الرحمن/ ١-٤.

لقد كان العالم القديم في عصر النبي محمد ﷺ يقرأ ويفهم باللسان العربي المبين، رغم وجود التفريعات اللغوية واللهجات التي تقع تحت مظلة اللغات الحنيفية العروبية، ومنها نشأت باقي لغات العالم، التي انطلقت مع آدم في مكة أم القرى، باللسان العربي المبين ومن أم اللغات، وتفرعت وتنوعت اللغات القديمة بين عصر نوح وعصر إبراهيم الخليل. وقد وجدت في عصر النبي محمد ﷺ لهجات ولغات عديدة أخرى، كاللاتينية والحبشية والفارسية والبربرية وغيرها، وهي عبارة عن لهجات ولغات منبثقة عن اللسان الأم، ولم يكن في عصر النبي محمد ﷺ قد برز التعارض بين اللسان الأم، واللهجات المحلية في أقطار العالم القديم، ثم تحولت اللهجات بعد ذلك إلى لغات مستقلة عبر مئات السنين. لقد كانت جميع هذه اللغات تكتب بالحرف العربي إلى وقت غير بعيد. ولقد كان كسرى الفرس يلتقي بالوفود العربية في العصر الجاهلي ويتحدث ويتداول معهم بلغة عربية مفهومة لكلا الطرفين، كحادثة لقائه بعدد من حكماء العرب منهم، أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة من تميم، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود من بكر بن وائل، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل من عامر، وعمر بن الشريد السلمي وعمر بن معد يكرب والحارث بن ظالم المري. وكانت قد حدثت مساجلة فلسفية وأدبية بين حكماء العرب وبين كسرى فارس، وألقيت الخطب والمواعظ العربية، وكذلك الحكم والأمثال والأشعار العربية. لقد كان كسرى يفهم ما يقال ويرد ويعقب باللسان العربي المبين، بشكل بليغ يوازي بلاغة الحكماء العرب. وكذا الصلات والزيارات الكثيرة التي قام بها ملوك المناذرة كالنعمان بن المنذر وآبائه إلى ديوان كسرى والمداولات المنوعة حول شؤون الجزيرة والحكم، كلها كانت تحدث بلسان عربي. وكذلك في قصة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، حين لجأ إلى قيصر الروم، فان قيصر استقبله وأكرمه وأنزله قصره، بسبب سمعته الأدبية التي انتشرت في الأفاق ولأنه شاعر معروف، وكان قيصر نفسه يستمع إلى شعره، وقد أعجبت به أخت القيصر، مما أدى إلى تدبير خطه لقتله والتخلص منه. إن هذه المواضيع تحتاج إلى

إعادة بحث وتقصي حول اللغات وصلتها ببعضها وأصولها لا سيما في ذلك العصر، لان أكثر النظريات الحديثة تذر الرماد في العيون، وتبعد العقل عن الحقيقة. يذكر الدكتور محمد بهجت قبيسي في كتابه المعروف (فقه اللهجات العربيات): إن هناك سبعة أباطرة من الذين اعتلوا عرش روما كانوا من العرب، فماذا كان يتكلم هؤلاء الأباطرة، وبأي لغة كانوا يتحدثون. في الحقيقة إن الأمور كانت مختلفة عما يصوره لنا الكتاب اليهود واللاهوتيون في العصر الحديث، عن حقيقة ما جرى من أحداث وما تم من بناء حضارات في التاريخ القديم، وبأي لغة كانوا يتحدثون وأية ثقافة كانوا يحملون.

إن الدراسات والأبحاث اللغوية الحديثة تؤكد اليوم، أن نسبة الألفاظ والكلمات والتعابير المستمدة جذورها من اللسان العربي المبين، تشكل نسبة مرتفعه من منطوق معظم لغات الشعوب في العالمٍ. إن الأبجدية العربية (أبجد هوزٍ) هيٍ في الحقيقة أصل أبجديات العالم جميعاً، كما إن الأبجدية اللاتينية لفظاً وكتابة، هي فرع من الأبجدية العربية، وذلك التقارب ليس سببه الحضارة العربية الإسلامية فحسب، كما كان يعتقد، وإنما لأن جذور تلك اللغات-غير المبينة- هي أساساً مشتقة من اللسان العربي المبين. وتذكر المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، أن هناك أكثر من أربعين ألف كلمة في اللغة الألمانية ذات أصل عربي، وتعود إلى جذور عربية قديمة. وكذلك على سبيل المثال، فان اسم إبراهيم، أصبح في أوربا أبراهام، وفي أفريقيا أبرهة، وفي الهند والصين براهما، والأصل واحد، كما هو واضح، وكذلك كلمة موسى، التي أصبحت في الهند والصين بوذا. بعد قلب الميم إلى باء (مثل مكة وبكة وبغدان ومغدان ومكان وبكان..). وإن كلمة بكة التي تعني بالعربية البيت العتيق، صارت تعني في الانكليزية مدينة الإنسان القديم.

والظاهرة نفسها تتكرر في انتقال الأسماء ومعانيها بين الشعوب والأمم، بالنسبة لإسم مريم بنت عمران أم سيدنا عيسى المسيح، فقد أصبح اسم مريم في الهند

(مايا) ولها مع ابنها (بوذا) نفس القصة الواردة في القرآن، وهي في روسيا (ماريا) وفي أوربا (مارينا) وهكذا.

ومن الألفاظ الشائعة اليوم ذات الأصل العروبي لفظة (كيلو غرام) و (كيلومتر)، ذلك لأن الكيلو من الكيل والمكيال وهي كلمة عربية، ولفظة متر من يمتر ويمترون. وكلمة غرام من جران، ثم قلبت النون ميماً، وهي من عبارات المكيال البابلي القديم. ومتر وشبر وفتر كلها كلمات عربية قديمة. ويذكر القرآن صيغة (التميتر) بمعنى (التطويل). وكود هو رقم الطلب السحري أو الشفرة لفتح الخط الهاتفي وغيره، وهي كلمة عربية أصلها عود، وهي تحاكي وظيفة عصا موسى السحرية. كما إن لفظ (كار) في الانكليزية تماثل لفظ (سار) وسيارة باللسان العربي المبين. وكذلك (أرض) و(إيرث) Earth و(كهف) و(كيف) Cave.. وهكذا. . فهناك آلاف الألفاظ العربية التي ما زالت موجودة في باقي لغات العالم حتى الآن، من أسماء الجماد والأحياء والأشياء التي في الطبيعة، كلها تشهد على أن لغات العالم، ما هي إلا لهجات تفرعت عن اللسان الأم، اللسان العربي المبين. إن اللسان العربي المبين، يفترض أن يكون موجوداً مع كل مولود في العالم، موجود في عقله ودماغه، كأساس لنطقه وامتلاكه وظيفة البيان، التي ميزت الإنسان عن باقي المخلوقات غير الناطقة، بغض النظر عن التغيرات والالتواءات التي تصيبه جراء الظروف الخاصة، من أبويه أو من بيئته، من الطعام المختلف والجو (الضغط والحرارة) ومن موقعه على خطوط الطول والعرض على الأرض، ومن قربه وبعده عن خط الاستواء، أو من المحيط المتجمد الشمالي والجنوبي، وكذلك من موقع السكنى، في القيعان من الأودية، أو على قمم الجبال العالية. وأوضح مثل على أصل اللغة ووحدة منشأها وصلتها باللسان الفطري المبين، أن للأطفال في أنحاء العالم لغة واحدة، فهم جميعاً يلفظون: ماما، بابا، دادا، بو (ماء) .. فمن أين لهم تلك الألفاظ وكيف اتفقوا عليها؟.

الحرف العربي وتاريخ كتابته

إن الأحرف العربية هي أحرف طبيعية رافقت الإنسان منذ بداية وجوده على الأرض، بخلاف أحرف لغات العالم الأخرى، التي هي إما إنها منبثقة عن الأصل العربي الأصيل، أو أنها وضعية اختراعيه، أي وضعها الإنسان وصممها البشر باجتهاد وقرار كالأحرف اللاتينية والصينية وغيرها. إن كل حرف عربي هو في حقيقته يعبر بالصوت والشكل عن موضوع أو عن شيء ما في الطبيعة، فليس اعتباطاً أو مصادفة أن يكون حرف القاف يشبه القمر، والسين كالسهل وحرف الجيم كرأس الجمل، والحاء كرأس الحصان. و حرف الألف يشير إلى الواحد وهو الله سبحانه وتعالى. إن الفنان الحقيقي يدرك بحسِّه الفني الراقي وذوقه الرفيع، أن أصل كل حرف عربي، لوحة فنية، وقصة طبيعية جميلة، إنها لوحات تجريدية تعبر عن شيء ما في الطبيعة، ولذلك دعيت الأحرف العربية بالأحرف الطبيعية، لأنها نشأت مع الإنسان الأول (سيدنا آدم) وتطورت معه وخلال عمره المديد على الأرض.

إن للحرف العربي الأصيل في رسمه حكاية الألف و المستقيم اللانهائي، تلك الفكرة التي أشار إليها الخطاط أبن مقلة وغيره، ومفادها أن الأحرف العربية جميعها عبارة عن الألف ، ثم تتشكل تشكيلات مختلفة بحسب المراد والتوافق مع الطبيعة ومفرداتها المتنوعة، تماماً مثل الأرقام العربية الأصيلة Arabic Numbers التي يفسرها العلماء، بأنها تشير بطريقة رسمها وكتابتها إلى الرقم من حيث عدد الزوايا الموجودة في رسم الرقم، أي إنها عبارة عن لوحات هندسية لزوايا متعددة تتفق أعدادها مع العدد (الرقم المعني)، كما في رقم الواحد 1 والرقم اثنان 2 والرقم 3 وهكذا. قال تعالى: **﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾**[1].

---

[1] سورة العلق/ ٣ – ٥ .

ترى ماذا علم رب العالمين الإنسان بالقلم، ومتى وكيف علمه، حتى وصل إلى ما وصل إليه من محاكاة الطبيعة في السير في الأرض والطيران في الجو وتداول المعلومات في عالم الاتصالات والفضائيات، وأقام مملكة العلم والتقنية والسيادة على الكون؟. متى يدرك أثر خالقه في تعليمه بالقلم ما لم يعلم، ليقيم مملكة الإيمان والتوحيد في قلبه، لكي تعيد له التوازن والتعايش والسلام مع الكون والحياة والإنسان في أرجاء الكون من حوله؟.

إن البحوث و الدراسات اللسانية واللغوية الحديثة، أثبتت أن الإنسان الذي وجد في جزيرةٍ العرب في عصر آدم، وحوالي مكة، قرب أول بيت وضع للناس، وتحديداً بالقرب من صعيد جبل عرفات المقدس، يستطيع هذا الإنسان أن ينطق جميع أطقم الحروف، وهو بالقرب من مركز مولده وانبثاق حضارته من قلب الجزيرة. وانه كلما ابتعد عن مكة وعن مركز تواجده الأصيل، فقد بعضاً من تلك الحروف، وتعذر على حنجرته أن تنطق بعضها، مثل: العين والحاء والقاف والطاء والظاء والضاد والصاد وغيرها من الأحرف الحلقية التي تخرج من آخر الفم، من الحلق. لقد أوقفها الله سبحانه وتعالى وأوقف إمكانية نطقها على الحنجرة العربية، وأغلقها أمام باقي الحناجر لدى العديد من الشعوب والأمم، تمييزاً للغة القرآن عن غيرها من اللغات والألسن. لغة القرآن التي جعلها الله سبحانه مقصورة على اللسان العربي المبين بجميع حروفه المضيئة، فكانت هيٍ الأصلِ الرباني الطبيعي الذي انبثقت عنه باقي الحروف والكلمات صوتاً ولفظاً وكتابةً وجرساً وموسيقى.

وتذكر الدراسات الصوتية واللغوية، إن الشخص الإنكليزي – مثلا- يستطيع نطق ثماني وأربعين لفظ مختلف، وهو العدد الأعلى من باقي الشعوب قدرة على النطق، بينما يستطيع العربي نطق ولفظ، مائة وأربعين حرف مختلف!.. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الإنسان العربي أسرع من غيره في القدرة على تعلم اللغات الأخرى، بينما يواجه باقي الشعوب صعوبات كبيرة في تعلم اللغات الأجنبية غير اللغة الأم الوطنية التي يتكلم بها.

كما أثبتت الدراسات المعاصرة خطأ الفكرة الشائعة عن أن الحروف العربية تم تنقيطها في العصر الأموي في زمن الحجاج، وإنه هو الذي أمر بتنقيطها أو هو الحسن البصري أو أبو الأسود الدؤلي أو غيره. فقد كشفت الوثائق والآثار عن وجود رسائل وكتابات بالحرف العربي المنقط تعود إلى زمن سابق للعصر الأموي وزمن الحجاج عامل العراق في خلافة عبد الملك بن مروان، منها رسالة عمرو بن العاص والي مصر في زمن الخليفة عمرﷺ إلى عماله في صعيد مصر والسودان. وكانت رسائل منقطة الحروف بشكل كامل. إن الحروف العربية كانت منقطة ومرسومة بالشكل الطبيعي المميز قبل عصر صدر الإسلامٍ، بينما كان القرآن قد رسمت حروفه بالرسم العثماني الشهير غير منقطة توقيفاً، ولحكمة إلهية، لاستيعاب الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن بلغة العرب العدنانية، ثم اجتهد المسلمون في العصر الأموي بإضافة التنقيط إلى حروفه ورسمه خوفاً من لحن الأعاجم وحفظاً لنصه الشريف.

تعدد الألسن والألوان يتكامل مع وحدة اللغة والأصل البشري

إن وصف الله سبحانه نزول القرآن بلسان عربي مبين، يعني أن هناك ألسنة عربية غير مبينه، أي فيها عجمة وإبهام، أو يمكن تسميتها باللسان الأعجمي. إن اللاتينية والفارسية والتركية والصينية وغيرها وما تفرع عنها هي في حقيقة الأمر ألسنة عربية غير مبينة، وذلك نتيجة انكماش الحنجرة البشرية، وعدم قدرتها، أو انغلاقها على بعض الأحرف، في مناطق معينة، وفي ظروف مختلفة، لا سيما الحلقية منها، وهكذا ظهرت اللغات واللهجات المختلفة وتنوعت وتعددت، كما تعددت الأشكال والألوان وفق سنن الله وآياته في خلقه. قال تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾[1].

وقال: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾[2]

لعله من المفيد دراسة التحولات التي طرأت على اللسان العربي المبين والألفاظ العربية الأصيلة، على غرار التحولات والتغيرات والتطور الذي حصل في أنواع الكائنات الحية من حيوان ونبات، وكذلك ما طرأ من تحولات في الألوان والأشكال في بني آدم، مما أوجد تلك القوميات والشعوب والأعراق التي تعود بالضرورة إلى أصل واحد. فقد انتقلت ألفاظ اللسان العربي المبين من المركز في مكة باتجاه المحيط في كافة الاتجاهات، ومن الضروري دراسة كيفية ظهور اللغات اللاتينية والجرمانية في أوربا على مراحل وخلال آلاف السنين، وكيفية ظهور اللغات الفارسية والتركية والكردية والهندية على مراحل أيضاً وخلال حقب طويلة وممتدة. وكذلك الصينية واليابانية، ثم تشعبت إلى باقي اللغات واللهجات في شرق وجنوب آسيا، وكذلك التحولات اللغوية التي حصلت في أفريقيا من شمالها إلى جنوبها... كيف تحولت الألفاظ، وانتقلت في رحلتها الطويلة، منطلقة

---

[1] سورة الروم/ ٢٢.

[2] سورة الأنبياء/ ٩٢.

من اللسان العربي المبين، من مركز الأرض، من مكة أم القرى، مركز الدائرة اللغوي والحضاري والديني إلى باقي الأصقاع والأقطار في المحيط المترامي الأطراف عبر الزمن. إن هذه الآلية ستيسر على الباحثين واللغويين العرب قبل غيرهم اكتشاف معاني المفردات الهاربة، أو البعيدة عن الاستخدام في العصر الحالي.

لقد اعتاد العديد من الباحثين واللغويين أن يرددوا دون وعي أو قصد وجود مفردات أعجمية في القرآن وفي اللسان العربي المبين، وهذا خطأ شائع، ينبغي الوقوف عنده ورفضه، لأنه يتعارض مع حقيقة اللسان العربي المبين وأصل اللغة الرباني الواحد، وهو ما قررناه في كتاب (عولمة اللغة والتاريخ) استنادا إلى نصوص القرآن والسنة، فتوهم هؤلاء الباحثون، أن لفظ إبراهيم -مثلاً- وهو أبو العرب وأبو الأنبياء وهو الذي سماهم مسلمين، بنص القرآن، قالوا عنه إنه لفظ أعجمي!. وكذلك قالوا عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وكذلك ادعوا- توهماً- في ألفاظ قرآنية عديدة أخرى، كلفظة زنجبيل وسلسبيل وفرعون وهامان وغيرها من الأسماء التي وردت في قصص القرآن... غير أن القرآن يعارض هؤلاء ويقول - وقوله الفصل - يقول إن القرآن نزل (بلسان عربي مبين)، وانه (قرآناً عربياً غير ذي عوج). ولذلك يمكننا أن نقرر بدون تردد ولا تحيز، أن جميع الألفاظ الواردة في القرآن هي ألفاظ وكلمات عربية مبينة؛ تجسد لغة القرآن الربانية التي أوحاها الله سبحانه في كتابه المنزل على قلب النبي الخاتم محمد ﷺ سيد العرب والعجم قاطبة.

قال تعالى: ﴿**وانه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين**﴾[1].

تذكر كتب التراث القديمة أن الفرس والروم كانوا أولاد عم العرب، كما جاء في تاريخ الطبري. وجاء في ديوان الشاعر العربي جرير أن الفرس يعود نسلهم إلى

---

[1] سورة الشعراء/ ١٩٢- ١٩٥.

النبي إسحاق بن إبراهيم وهم أبناء عمٍ العرب الذين يعود نسلهم إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم كما هو معلوم تاريخياً- وإن كان الأصح أن العرب بالمعنى العام هم ذرية آدم وبنو آدم الذين وجدوا في مكة والجزيرة بعد نزول آدم من الجنة إلى الأرض- ولكن العرب في الاصطلاح التاريخي والقومي هم ذرية إسماعيل. ويقول الفردوسي صاحب الشاه نامه (تاريخ الفرس)، إن الضحاك الملك العربي، كان يحكم إمبراطوريته من العاصمة كابل، وانه حكم ألف سنة! وكانت إمبراطوريته وسلطته ممتدة من الهند إلى بلاد الشام ووادي النيل، وتشمل العراق وفارس بطبيعة الحال.

ويؤكد الطبري وابن كثير هذه الرواية عن الضحاك ملك كابل العربي. ولكن مثل هذه الأخبار والراويات طمست وأهملت مع غيرها من الروايات والأخبار التي تؤكد على عروبة وإسلامية تراث الأنبياء كما جاء في القرآن والسنة، ومن خلال الأسماء والأحداث التاريخية المرتبطة بجغرافية الأنبياء، كاسم بنت فرعون وماشطة فرعون وامرأته أسيا بنت مزاحم، وأسماء الفراعنة والملوك في العصور القديمة، وهي روايات غنية وكثيرة في تراث الأنبياء كما وردت في الطبري وابن كثير وغيرهما. وعلى العكس تماماُ اعتمد الباحثون والمفكرون والعلماء والمثقفون العرب على معطيات التوراة، وما سطره اليهود منذ القرن الثامن عشر الميلادي حول تاريخ الأنبياء وبني إسرائيل. فهل من المنطق والمفيد الاعتماد على مصادر التوراة وما زعمه اليهود من فرضياتٍ ألفوها وعمموها على العالم، حتى باتت هي الحقيقة، الحقيقة المزيفة طبعاً. إن كتاب (قصة الحضارة) وكتاب (قصة الفلسفة) للكاتب اليهودي ديورانت- على سبيل المثال- يمثل وجهة نظر توراتية بحته حول الحضارة والفكر التاريخي كتبها (ديورانت) وفق مسطرة التوراة (المحرفة) لخدمة أغراض وأهداف اليهود، وأطماعهم في اغتصاب الأرض ونهب ثروات الشعوب والهيمنة على العالم في نهاية المطاف. وقد ترجمت كتب ديورانت وطبعت ونشرت في العالم العربي عبر جامعة الدول العربية. والأمر نفسه ينطبق على كتب أخرى، مثل كتاب (عالم صوفي) وهو رواية عن تاريخ

الفلسفة من وجهة نظر توراتية، كتبها الكاتب اليهودي بوستين جاردر. لقد عملت الأحقاد اليهودية والصليبية والشعوبية، قديماً وحديثاً، على تأليب الشعوب والأمم على العرب، كما صنع العداء الغربي والأوربي مع العرب وتم الفصل عرقيا وحضاريا بين أوربا والعرب حضارة وتاريخا، وكذلك افتعل العداء الفارسي العربي، وهو وهم ليس له وجود إلا في العقول المتغطرسة والمتعصبة والمتحجرة، فالفرس والعرب يشتركون في أصل واحد وحضارة قديمة واحدة ودين واحد سواء قبل الإسلام الخاتم أو بعده، ولكن التحالف اليهودي الفارسي هو الذي أوجد هذا الجدار الثقافي والفكري والمذهبي الذي يفصل بين الحضارتين العظيمتين، حضارة الفرس وحضارة العرب، ولعل المنصفين من الأوربيين والفرس يستطيعون التماس أوجه التشابه والتكامل والحوار الحضاري والديني الذي يعود بالجميع إلى عبادة رب العالمين بلسان مبين.

لقد اخترع اليهود فرضية الأجناس الآرية والحامية والسامية، والمجاميع اللغوية السامية والهند وأوربية لكي يبنوا خنادق فاصلة بين حضارات الشعوب والأمم. فهل ستفطن الشعوب والأمم إلى فكرة الأصل الحضاري والديني والقومي الواحد وإلى تداخل وتكامل الحضارات، وان جميع الحضارات البشرية على الأرض تعود إلى حضارة واحدة، هي حضارة الأنبياء والمرسلين؟.

وان الحضارات تفاعلت وتدخلت وتأثرت أحداهما بالأخرى، بحيث لا يمكن أن ندعي بان حضارة أوربا أو حضارة فارس مستقلة ومنفصلة عن باقي الحضارات؟ والأمر نفسه ينطبق على الأعراف والأجناس والقوميات. إن نظرية نقاوة الجنس الأبيض وتفوقه الذي تمسك بها الأوربيون، وكان أبرزهم على المستوى السياسي، هتلر ومنظروه الأوربيون الذين تحدثوا عن تفوق الرجل الأبيض والجنس الآري، وأكدها اليهود بما يسمى بالعرق السامي الراقي والمتميز، وغير هؤلاء من دعاة العنصرية القومية والنظرة الضيقة إلى تاريخ وحضارة الإنسان، بدل فكرة منتدى الحضارات القرآنية والأصل الواحد لبني الإنسان على الأرض فكلنا لآدم وآدم خلق من تراب. فهل سيعود الإنسان إلى

ربه وخالقه ويتعرف على هويته الأصيلة أنسانا ربانياً، ثم يكون بعدها من يكون وينتمي إلى منتدى الحضارات العديدة.

لا تعارض بين عروبة العقيدة والانتماء القومي

ليس دقيقاً ولا صحيحاً أن العرب يسمون عرباً لأنهم يتحدثون اللغة العربية، أو أنهم سكان الأرض العربية، أو أنهم من سلالة الآباء العرب الأوائل النجباء، كما يزعم الكثير من الباحثين في تاريخ وثقافة وتراث العرب، بحيث تم تجاهل الحقيقة القرآنية العميقة لمدلول كلمة عرب، والتعامي على الواقع الإنساني الأساسي، والطبيعي، والفطري الحنيف، وتم نقل الأنظار والاهتمامات إلى نوع من السطحية السياسية، التي لا تمت إلى الحقيقة العلمية والموضوعية بشيء، وإنما تأثراً بالثقافة القومية والعنصرية التي نشأت في أوربا، منذ العصور الوسطى، وكانت السبب وراء الكوارث والحروب والصراعات الكبرى، وآخرها الحربان العظيمتان اللتان حدثتا في القرن الماضي، وكان روادهما ومروجوهما دعاة القومية والعرقية الأوربية.

إن لفظة عرب تشير إلى الربانية والأصالة وكل ما يمت بصلة إلى الرب، رب العزة بديع السماوات والأرض رب العالمين. إنها الصفاء والاستقامة والحكم الإلهي واللسان الرباني الحكيم، فكل شيء وأمر اعتمد على الرب فهو مستدل أو يمكن أن يستدل من لفظة عرب. إنها تعني في حقيقتها المنيرة، أس الأسس وجذر الجذور وأصل كل أصيل، ومدار لكل شئ ومعنى طبيعي وفطري صحيح وحقيقي. وأمة العرب – بذلك تكون – أمة الأمم وأول الأمم التي ظهرت على الأرض منذ عصر آدم. ولذلك أشار القرآن إلى القرآن العربي واللسان العربي والحكم العربي، وكذلك أشار الحديث الشريف إلى ذلك التعريف المحكم للعربية وما تعنيه، حين قال الرسول الأعظم ﷺ: إنما العربية اللسان.

وعلى ذلك فمن الطبيعي أن يكون كل إنسان مؤمن، هو عربي الانتماء والهوية، إذا ما كان معتقداً بخضوعه وانقياده وإسلامه لله رب العالمين، وان انتسب إلى

قومية أخرى أو جنس آخر، فلا تعارض ولا صدام بين الهويتين وبين الصفتين. ويجوز للأوربي – مثلاً – أن يكون عربياً، والأعجمي أن يكون عربياً، كالهندي والتركي والفارسي والفرنسي وغيرهم، يجوز لهم أن يكونوا عرباً وفق تعريف القرآن وهدي المصطفى ﷺ في الحديث السابق، بشرط أن يكون عربي اللسان والانتماء والهوية، قرآني الثقافة والحضارة. وهذا هو بيت القصيد وعين الفكرة وأصل الخلاف المتأصل بين الكفر والإيمان وبين حضارة القرآن وحضارة الشيطان.

ترادف دلالة لفظ العروبة والإسلام في التراث الإسلامي

ذكر المؤرخون والباحثون في التاريخ الإسلامي، وفي مقدمتهم الطبري في تاريخه ، روايات تشير إلى استخدام مصطلح (عرب) وإطلاقه على المسلمين، مما يؤكد التداخل إلى حد التطابق بين مفهوم (عربي) ومفهوم (مسلم) في العقل والوجدان الإسلامي في صدر الإسلام وحتى العصر العباسي. فإذا كانت هوية المسلم وانتماؤه الثقافي تعبر عنها لفظة (عرب وعربي وعروبة)، فان وطنه الحقيقي هو بالتأكيد كل بلد ووطن يذكر اسم الله ويوحده ويعبده وفق المفهوم القرآني للعبادة والتوحيد، فأرض العرب ليست تلك الأرض الجغرافية الممتدة من المحيط إلى الخليج فحسب، وإنما كل أرض أسلمت لله وعبده شعبها وأخلص العبادة والدين لله رب العالمين.

وبذلك يصبح شعار المسلم العربي يلخصه قول الشاعر:

وأينما ذُكر اسم الله في بلد عددتُ أرجاءه من لُبّ أوطانِ

وبذلك يتسع مفهوم العروبة، منَ المحيط القومي الضيق، الذي تحدده الثقافة القومية والعرقية المعاصرة، إلى معنى الهوية والانتماء والإسلام والخضوع لله رب العالمين. فيكون عند ذاك كل بني آدم من البشر لهم الحق في الانتماء للعروبة والإسلام كحضارة وثقافة وهوية، مع احتفاظهم بهويتهم القومية والمحلية في تكامل وسلام قل نظيره في منتدى الحضارات العالمي.

يذكر الطبري في أحداث سنة ١١٠ هـ، ذلك المفهوم الذي يربط بين العروبة والإسلام، وبين العربي والمسلم، منذ وقت مبكر، فيقول:

كان الأشرس بن عبد الله المسلمي والياً على خراسان في زمن هشام بن عبد الملك الأموي.. وقد أرسل أحد رجاله إلى سمرقند، وهو أبو الصيداء صالح بين طريف مولى بني ضبة، يدعوهم إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية، فسارع الناس على الإسلام، وانكسر الخراج وقل ماله، فجاء البعض إلى الأشرس وهم يقولون: ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً. فكتب له عامله: إن الخراج قد انكسر، فكتب الأشرس إليه: إن في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني أن البعض قد دخل في الإسلام تعوذاً من الجزية، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن إسلامه وقرأ سورة من القرآن، فارفع عنه خراجه...

والذي يهمنا في هذه الرواية، إن الناس في زمن الطبري وما قبله، كانوا يسمون المسلمين عربا، ومن أسلم منهم بأنه قد أصبح عربياً، وهذه الحادثة هي مصداق عملي لقول المصطفى ﷺ: إنما العربية اللسان. فالعربية لسانٍ وهوية وانتماء وثقافة وحضارة أصيلة، قبل أن تكون جنساً أو عرقاً أو قومية. وهذا المفهوم القرآني هو مفهوم فكري حضاري، وهو أشد ما نحتاجه اليوم، للدفاع عن هويتنا وثقافتنا، وما نحتاجه في العمل الدوؤب لبناء الجيل القرآني المعاصر، وسط هذا الضجيج العولمي والغزو الثقافي والحضاري، الذي تتعرض له الأمة منذ ما يقرب من القرنيين، مصاحباً بعمليات التهويد والتنصير والتمجيس المحمومة، التي يتعرض لها شبابنا، وبشكل منسق ومنظم ومنهجي، تماما كما حذرنا النبي ﷺ ونبهنا في الحديث المشهور، للحفاظ على الهوية وعلى الفطرة. إن ذلك الخطر الفكري – خطر الهوية– هو أول ما يتهدد النشأ الجديد منذ ولادته وعبر رحلة الحياة الطويلة، في التربية والتعليم والإعلام والفكر والثقافة الموجه عموما.

قال النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[1]. وقال: لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن[2]. وفي رواية: فارس والروم؟ قال: فمن الناس إلا هؤلاء؟

وهكذا نرى اليوم في عالمنا الإسلامي ومن حولنا، مشاهد كثيرة للإفساد وتبديل الفطرة ومسخ الهوية وقتل الانتماء، ومحاربة القرآن وتهميش دوره، ومحاربة العروبة، لسانا ولغة، خطا وكتابة وتوجها، فيما حولنا من المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية، ونحن عن كل هذا غافلون، بل أحيانا نائمون حتى كاد يصدق فينا قول الشاعر العربي:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

إلا قلة قليلة من المؤمنين عافاها الله من مصيبة الغفلة ومسخ الفطرة، ثابتة وباقية على الحق والنور المبين، لا يضرها من خالفها من قريب أو بعيد، والعاقبة للمتقين.

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم.

[2] أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

جزيرة العرب موطن الحضارة الأولى الأصيلة للانسان

لم تعرف جزيرة العرب غير هذا الاسم منذ أقدم العصور، وهي موطن الأنبياء والمرسلين منذ عصر آدم ونوح وإبراهيم وبقية الأنبياء والمرسلين إلى عصر النبي الخاتم محمد ﷺ. إن أرض الجزيرة الممتدة من بحر العرب واليمن حتى أعالي نهري دجلة والفرات في بلاد الشام وبلاد الرافدين، كانت مهد الرسالة والنبوة والتوحيد على الأرض. فلماذا أطلق عليها اسم جزيرة العرب ومن أطلق عليها هذا الاسم؟ وكذا ما يحيط بها من البحار والأنهار والسهول والوديان، فهناك بحر العرب وشط العرب والخليج العربي والصحراء العربية الكبرى والبادية العربية بين الشام والعراق، وغيرها من المسميات الجغرافية التي ارتبط اسمها باسم العرب، وهي باقية حتى الآن، رغم محاولات القوى المعادية للعرب والمتعنصرة والمتعالية على العرب، في تبديل تلك الأسماء وإطلاق مسميات أخرى أعجمية عليها.ولكن كل ذلك لم يفلح في تغيير اسم الجزيرة الكبرى جزيرة العرب وطمس تسميتها القديمة والأصيلة. في الحقيقة إن عبارة جزيرة العرب أو الجزيرة العربية، هو –في الأصل– مصطلح إقليمي مكاني، وليس مصطلحاً جغرافياً محدداً بحدود جغرافية ثابتة وقاطعة، وهو مفهوم قديم، ويدل على كل الأرض التي سكنها ويسكنها العرب. لقد كان مفهوم الجزيرة العربية يعني كل الأرض الممتدة من بحر العرب وشواطئ اليمن في الجنوب إلى أواسط آسيا وهضبة أرمينيا وشواطئ البحر الأسود، والبحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي حتى الصحراء العربية الكبرى وأواسط أفريقيا. وتؤكد الأبحاث التاريخية والآثارية إن أقواما عديدة أقامت ممالك وأنشأت حضارات، كانت كلها تنتمي إلى العرب، كالآراميين والكنعانيين، والبابليين والآشوريين والحيثيين في العراق، والأنباط في بلاد الشام، والأقباط (وهم الأنباط المعروفين في التاريخ القديم وقد تم تصحيف اسمهم كما يرى بعض الباحثين) وقدماء المصريين في وادي النيل،

والبربر[1] في جبال الأطلس وشمال أفريقيا وغيرهم. مما أدى إلى إقامة ممالك وحضارات واسعة الانتشار، وصلت إلى الهند والسند[2]. وكانت جميع هذه الأقوام تنتمي للأرومة والهوية العربية، وكانت تلفظ الألفاظ العربية، وتلبس اللباس العربي.

لقد عمل اليهود والسائرون في ركاب التوراة ومعاداة العرب، على تحريض كافة الدول والأمم للتخلص من المفردات الأصيلة والمسميات التي تربطهم بالعرب، وحاربوا الحرف العربي ونبذوه واستبدلوه بالحرف اللاتيني غير المبين، وتزامن ذلك مع انحسار دور حضارة العرب وانكماشهم وتخلّفهم وتركهم لرّسالة رب العالمين، مما جعل الشعوب المحيطة بهم والبعيدة عنهم تصدق ادعاء خصومهم، بأن العرب هم سبب الصراع والخصومة والفساد والظلم والإرهاب الذي طغى على الأرض، بعد هيمنة ثقافة التوراة منذ مطلع القرن الماضي وحتى اليوم. وهكذا ظهرت نزعةٍ التخلي عن الانتماء للعرب ومحاربتهم واحتقارهم والانفصال عنهم، لغةً وديناً وحضارة وثقافة وهوية، حتى اصطبغ بتلك الصبغة أقرب الشعوب إلى العرب كالترك والفرس والكرد، وأصبح الانتماء إلى الآرية والحضارة الأوربية أو الشرقية هو الأكثر جاذبية من الانتماء إلى العرب وحضارة العرب، أو على الأقل التحالف مع العرب وتأييد قضاياهم وحقوقهم المسلوبة من قبل اليهود والغرب. ومن الغريب أن نجد أن المغالطة والتشويه قد وصلت إلى حد العنصرية القومية، التي أعمت القلوب والبصائر والعيون، عن الانتماء الحضاري والتاريخي والديني، لأقوام كانت – الى وقت قريب – ذات أثر فاعل في منجزات حضارة الإسلام في القرون المتأخرة فضلاً عما قبلها، فآثروا أن يجعلوا انتماءهم إلى حضارة الغرب، ويختاروا ثقافة التغريب والعلمانية المادية، ويتخلوا عن هويتهم وأصلهم وتاريخهم، بينما نجد في بعض المسحيين

---

[1] انظر كتاب: عروبة البربر/ محمد علي مادون.

[2] انظر كتاب: تاريخ البلوش/ د.عدنان العطار.

العرب الموجودين بيننا، قد اختاروا الانتماء الحضاري العربي، رغم الاختلاف في الدين والمعتقد، فباتوا يدافعون عن العرب وحضارتهم الأصيلة، ضد الهجمة الصليبية الصهوينة الشعوبية المتحالفة، للانقضاض على أرض العرب وحضارتهم، والعمل على إقصاء دورهم وتهميش رسالتهم الإلهية الخاتمة، التي ينبغي أن تصل إلى جميع الشعوب والأمم.

إن هذه الدول والحضارات ظهرت قبل عشرات الآلاف من السنين، وليس بالضرورة كما قدرها الآثار يون وفق المسطرة التوراتية، التي تحصر التاريخ القديم في تصور خاص، لا يزيد عن سبعة آلاف سنه كما تدعي التوراة، وهو ادعاء يرفضه العلم وحقائق التاريخ والآثار، فالإنسان وجد على الأرض كما يقول علم الانثروبولوجيا وعلم الآثار قبل أكثر من مائة ألف سنة، وهو ما يتعارض مع التوراة وينسجم مع طرح القرآن والهدي النبوي.

قال ابن دريد في جمهرة أنساب العرب: قبائل العرب العاربة، عاد وثمود وعمليق وطسم وجديس وأميم وجاسم، وقد انقضى أكثرهم إلا بقايا متفرقين في القبائل، وهم بنو إسرائيل[1]. فهل أعطت الجزيرة العربية اسمها للسكان؟ أم السكان هم الذين أعطوا اسمهم للجزيرة؟ علماً بان العلماء العرب كانوا قد أعطوا للجزيرة العربية تعريفاً يختلف عن التعريف الجغرافي الحديث، واعتبروها أوسع من ذلك بكثير، أمثال: ابن حوقل النصيبي الموصلي البغدادي الذي عاش في القرن العاشر في كتابه(كتاب صورة الأرض)، وأبو إسحاق الفارسي المشهور بالاصطخري في كتابه (المسالك والممالك)، وياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) وغيرهم من الكتاب والمؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين. وعليه يمكننا القول دون تردد أن جزيرة العرب أخذت اسمها من سكانها العرب الأوائل وهم بنو آدم وذريته الذين عبدوا الله سبحانه بديانة التوحيد التي جاء بها أبوهم آدم. وهي الجزيرة التي احتضنت الإنسان في فجر تاريخه عابدا ومعتمدا على

---

[1] انظر: تاريخ ابن كثير.

الرب، رب العالمين، ولذلك سميت جزيرة العرب المؤمنين العابدين الحامدين. وجاء في الأثر، إن إطلاق اسم العرب كان قبل خلق السماواتِ والأرض، والتعريب في اللغة، هو النقل من لسان إلى لسان، وتعرب أي تشبه بالعرب، وقال النبي ﷺ: لا تنقشوا في خواتمكم العربية، لأنه ﷺ كان قد نقش خاتمه، محمد رسول الله، نبي عربي. وفي القاموس: الإعراب البيان، والأعرابي إذا قيل له عربي هش وفرح، والإعراب عدم اللحن في الكلام، والإعراب أن يولد لك ولد عربي اللون، والعرب: الإفصاح، وعرب: نشط، والعرب الماء الكثير، يقال ماء عرب أي كثير. ونهر عرب أي غمر، وبئر عرب أي عميقة كثيرة الماء، والعرب: الوسام، أي بقاء أثر الجرح بعد البراء، والتعريب: تهذيب المنطق من اللحن، وعربت له الكلام وأعربت أي بينت، والتعريب: التبيين والإيضاح، وفي الحديث الشريف: (الثيب تعرب عن نفسها)، ومعرب أي مفصح بالحق لا يتوقاهم، ومعرب: مفصح بالتفصيل، والتعريب قطع سعف النخل والتشذيب، والتعريب: منع المنكر ومنع الغش ومنع القبيح، والتعريب: التكلم عن القوم (النيابة)، وعربت عنه إذا تكلمت بحجته أو حاما عنه أو دافع عنه، وأعرب بحجته أي أفصح بها، ولم يتقِ أحداً، والتعريب: تمريض العرب، وقال ابن النحاس: العرب: المبين المعظم، والعرب هو الكثير من الماء الصافي، وعروبة هو يوم الجمعة، وهو اسم قديم لها، كما جاء في مختار الصحاح، وفي الروض الأنف معنِى العروبة: الرحمة، والعروبة: ضروع الغنم أو البقر، ومفردها عربة وعاملها عراب، كما جاء في لسان العرب، عربت البئر إذا كثر ماؤها، والعربة: النهر شديد الجريان، ووادي عربة، في فلسطين معروف، والعربية هي اللسان المبين،الذي كان في زبر الأولين. وجاء في تاج العروس: إن العرب أنواع وأجناس وشعوب وقبائل، وهي أم الأنساب (بالنسبة) للشعوب والقبائل، وقد تفرقوا في الأرض، لا يكاد يأتي عليهم الحصر، ولا يتصور سكناهم كلهم في قرية واحدة، أو دخولهم جميعهم فيها. وقال: إن العرب اسم شامل لجميع الشعوب والقبائل، ثم إنهم لما تفرقوا في الأرضين، وتنوعت لهم ألقاب وأسماء، كقريش،

وثقيف، وربيعه، ومضر، وكنانة، ونزار، وخزاعة، وقضاعة، وفزارة، ولحيان، وشيبان، وهمد ان، وغسان، وغطفان، وتميم، وكلب، ونمير، وإياد، وبجيله، وهذيل، ومزينة، وجهينة، وعاملة، وباهلة، وخثعم، وطئ، والأزد، وتغلب، وقيس، وأسد، وعنزة، وفهد، وبكر، وذبيان، وكندة، ولخم، وجذام، وضبة، وسدوس، وتيم، وأحمس، وغيرها... وقبلها ذكر جرهم والعماليق... ثم قال: والعربية هذه اللغة الشريفة، رفع الله شأنها. ولقد كان العرب المسلمون حتى وقت قريب يعظمون لغة القرآن، اللغة العربية ويبجلونها ويحترمون كل من يعتني بها ويهتم بعلومها، ولقد حدثني شيخي المرحوم السيد كاظم ألمشايخي، انه كان يرى الشيخ أمجد الزهاوي مفتي العراق، الذي توفي في ستينات القرن الماضي، حين يسير معه في الطريق في بغداد، انه كان يجمع كل ورقة أو غلاف أو علبه من الأرض، مكتوب عليها بالحرف العربي، وكان يقول له: أفندي هذا حرام أن ترمى الأوراق التي فيها الأحرف العربية المقدسة – لغة القرآن – على الأرض، وكان لا يستثنى من ذلك علب السكائر المسماة (غازي) في حينها. وهكذا عظّم علماؤنا لغة القرآن.

مفردات شائعة الاستعمال بين العربية واللغات الأوربية

لغرض توضيح الصورة وتسليط الضوء على الصلة بين اللغة العربية وأثرها في اللغات الأوربية، قمنا بجمع المفردات أدناه على شكل قائمة مختارة من الأسماء والكلمات والمفردات الكثيرة الاستعمال في اللغة الإنكليزية والمشهورة بين الناس، والتي يمكن الاستدلال بسهولة على أصلها العربي، من خلال سماعها أو قرأتها فحسب، دون الحاجة إلى إثبات أو تدليل.. وذلك لغرض تجسيم العلاقة والصلة بين العربية واللغات الأوربية، وتأكيد المفهوم القرآني الذي يؤكد على وحدة الأصل واللغة والعقيدة لجميع الأقوام والأمم، حين بدأت حضارة الإنسان على الأرض.

ومن خلال هذه القائمة سنلمس حقيقةِ التطور اللغوي بين العربية وبين اللغة الإنكليزية وأخواتها. والأمثلة على تغير المعنى واقترابه من المعنى في اللفظ العربي أكثر من أن تحصر، كما نرى تلك الملاحظة في اللغة الفرنسية واليونانية (الإغريقية) وبقية اللغات اللاتينية:

– الله، إيل، ذو الجد (خدا)	Allah, El, God
– انسان	Human
– بشر (بشر=بشرن)ٍ، شخص	Person
– عذراء، باكر، (فرج=فرجن)	Virgin
– التوراة، الإراءة	Altaorat
– أسطورة، تاريخ	History
– حكاية، قصة، أسطورة	Story
– فنتازيا، فنطازية، فنطزة، عنطزة، مدهش	FAtastic
– الأرض	Earth
– كهف	Cave

– فلاة، أرض مستوية	Flat
– جنس (عرق)، ناس	Gens
– آدم، أديم الأرض	Adam
– حواء، احتواء	Eve
– فردوس، الجنة	Paradise
– بابا وماما	Baba & Mama
– لغة، لغةٌ=لغتن=لنغت=لانغوج	Language
– ميزان، قياس	Measure
– قسط، عدل	Just
– مومياء	Momie
– هالة، هالة القمر	Hala
– الإكسير	Elixir
– إقليم	Climat
– فنار	Fanal
– مخزن، مخازن (مكزن، مكازن)	Magazine
– صوت، صوتن = صوند	Sound
– قنبلة	Bomb
– طنين	Tenopic, toneen
– انفلونزا، أنف العنزة	Influenza
– شيخ زبير = شيكسبير	Shakespeare
– أمير حمزة= ميرهمزة= ميرزه	Merzah
– نبيل، جائزة نوبل	Nubile
– شريف	Sheriff
– أمير، الأمير، أميرال	Amiral, Amire
– الخبير، الخبيرة (الخبيرت، إكسبرت)	Exper

– قيصر ، كسرى = قصر	Caesar, kisser= casual
– ديوان = إيوان = ليوان = الليوان	Liwan
– مسجد	Mosque, Masjid
– الجبر	Algebra
– الخوارزميات	Logarithm
– قيثارة	Guitar
– جرة	Jar
– فلك	Feluqe
– القبة (أدمجت أل التعريف)	Alcove
– برج	Burg
– جسر	Bridge
– كوب أو أكواب	Cup
– طبلة	Table
– كرسي	Chair
– سار ، سيارة	Car
– قط، قطع	Cut
– قط (حيوان)	Cat,Kat
– أسد، ليث (ليثٌ=ليثن=ليون)	Lion
– غزال	Gazal
– زرافة	Girafe
– فيل	Eliphant
– أرنب (أرنبة)	Rabet
– بق، بعوض	Bug
– كعك	Cake

- نبات= نباتّ (نباتن= بلانت، نفس الحروف متفرقة)Plant
- زعفران Safran
- رز، تمن Rice
- قطن Cotton
- صابون Soop
- نارنج، برتقال، أترج Orange
- أصابع الموز، البنان(إصبع اليد) Banana
- باقة Pakail
- نرجس Narcisse
- ياسمين Jasmine
- قرنفل Girafile
- لبلاب Lablab
- عنبر Ambre
- مسك Musk
- سمسم Seasam
- سماق Sumac
- ليمون Limon
- طماطة Tomato
- بطاطا Potato
- كفر، غطى، عطاء، ستر Cover
- انتظر (اتنظر) Attend
- أنفر (أرسل)، مرسل Environment
- ريع، ركاز Raility
- كال، متر، متر، كيلو Meter, Kilo
- برك، يبرك، يقف Park, Break

– عزل، عازل	Isolate
– صك، ختّم، شيك	Chick
– كرس، علّم منظومة	Course
– وثق، رفق	Attach
– مسد، دلك، تدليك	Massage
– ناقش (فاوض)	Negotiate
– قرض، اعتماد، قرضت=كردت	Credit
– قاد، يقود	Gaid
– أتقن، تقنية	Technology, Technic
– حبل، سلك	Cable
– قناة، قنال	Chanal, Canal
– قنديل	Candel
– قمرة، كاميرا	Camera
– مرآة	Mirror
– كيمياء	Chemistry
– قطران	Goudran
– صلد، صلب	Solid
– صكّ، شرب، مص	Suce
– جبس	Gypse
– سكّر	Suger
– الكحول، الكحل	Alcohol
– مكة، بكة	Makah, Bakah
– مصر ، بلاد القبط، إيجبت	Egypt
– بغداد، بغدان، مغدان	Baghdad
– بوزق (باش بزق)، موزق، موسق، موسيقى	Music

(إبدال الميم بدل الباء)

– فرشاة، فرش، براشز	Brushes
– فراش= فراشن، فرشن = فرنش	Furniture
– أوربا، يورب، غرب، يغرب، غروب	Europe
– هامبورج، برج	Hamburg, Burg
– برج، بطرس بيرج	Berg, Betrisberg
– جبال الألب، جبال القلب (تقع في قلب أوربا)	Alb mountains
– نهر الدانوب، الذنب	Danube River
– هونالولو= هنا لؤلؤ	Honalolo
– مانيلا (أمان الله) الفلبين	Manilla
– آسية بنت فرعون، قارة آسيا	Asia
– صين، صن، سن، سنا	China
– يابان، يبن، يمن، يمان	Japan, Yemen
– قبيلة الأشبين العربية، اشبانيا، أسبانا	Spain
– اللاتين، إلهة اللات	Latin
– أصحاب الرس، الرسيين	Rasana
– مستور، غامض، خفي	Mystry
– جريمة، جرم = كرايم	Crime
– أحدى عشر، ألفان (أأ)	Eleven
– اثنا عشر، تويلف (ألف واثنين)(أ٢)	Twelve
– ثرثار	Fanfare
– الأرقام العربية، عرب	Arabic Numbers, Arab
– صفر (رقم)	Chiffer
– صفر	Zero
– واحد، اثنان (اثنتان)	One, Two

– ثلاثة، أربعة	Three, Four
– خمسة، ستة	Five, Six
– سبعة (سبت)، ثمانية	Seven, Eight
– تسعة، عشرة	Nine, Ten
– تم من التمام (تمام أصابع اليد)	Ten
– كتاب المناخ	Almanac
– نجم فم الحوت	Eam elhaut
– نجم الراعي	Elrai
– نجم الشمس (سمس، سنس، سن)	Sun
– القمر، سن (آمون، أمن)	Moon
– نجم النسر الواقع (الفيكا)	Vega
– نجم الشعرى	Siruuis
– نجم الدب	Dubhe
– نجم رجل الجوزاء	Rigel
– نجم الثعبان	Thuban
– نجم الكاس	Alkes
– نجم الغول	Algol
– نجم آخر النهر	Acer Nar
– نجم الطائر	Altair
– نجم الأقرب القنطوري	Centauri

إن هناك كلمات كثيرة في لغات العالم ذات أصل عربي، ففي اللغة الإنكليزية على سبيل المثال، إضافة الى ما ورد في القائمة أعلاه، وحين نمعن النظر في المعاجم اللغوية، نجد أن لفظة (راية) عند العرب تعني الأمام وتعني اليمين، وفي الإنكليزية صارت (رايت) Right، وكذلك الالتفات واللفت، أصبحت (لفت)

فـان الالتفـات يعنــي الـوراء واليمـين واليســار. وكـذلك كلمــة (موسـيقى) Left Music. وكذلك الزقزقة والسقسقة، ومثل لفظة (بزق)، الآلـة الموسيقية المعروفة قديماً، والتـي كانـت تلفظ (موسـق) ثـم قلـب الميم بـاء (مثل مكـة وبكـة). وكذلك لفظـة الأساطير. والأسطورة، فهـي عربيـة حميمـة، وأصلها الفعل سطر أي سجل، قال تعالـى: ﴿إذا تتلى عليهم آياتنا قالوا أساطير الأولين﴾[1]، انتقلت إلى اللغات الأوربية ومنها الإنكليزية، وأصبحت تعني التاريخ History وتعني أيضاً القصة والرواية Story ، وكذا لفظـة (الجزار) العربيـة التـي تـدل علـى البطش (بـتش = بتشـر) وهي القصـاب أو اللحام في الإنكليزيِـة، وكذا اللحم تحول المعنـى في الانكليزيـة مـن اللحـم (عمومـاً) إلـى اللحـم الميـت أو الجثـة الهامـدة فاقـدة الحيـاة، فأصـبح (ميـت) Meet، ونلاحـظ لفظــة (طاولــة) كيـف تحولــت إلــى (تيبــل) Table، وكذلك (طبل) أصبح (تبل)، بسبب عدم قدرتهم على لفظ حرف الطـاء كما هو معلوم، فتحـول إلـى تـاء وجوبـاً. وكذلك تحولـت لفظـة الحبـل إلـى كبـل Cable، والبنان وتعني الأصبع تحولت إلى إصبع الموز Banana.

إن العـالم –فـي حقيقتـه وممارسـته اللغويـة– لا يسـتطيع تجـاوز الألفـاظ العربيـة، لأنهـا الأصـل الحقيقـي لجميـع اللغـات القديمـة والحديثـة،وهي المرجـع والأصـالة ومركـز الانطـلاق اللغوي والحضـاري والـديني، فـإن الله رب العـالمين هو ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[2].. فكما بدأ الخلق بآدم وبدأ العقيدة بالتوحيد الخـالص الـذي أوحـاه إلـى آدم أبـي البشـر، كـذلك بـدأ الألسـن باللسـان العربـي المبين، ليدلل على وحدانية الخلق والعقيدة ووحدة اللغة والأصل الذي انبثقت منه باقي لغات العالم أجمعين... إنها بديهية قرآنية دينية توحيدية، تجمع الناس كلهم في حضارة واحدة وعقيدة واحدة ولغة واحدة وأصل واحد، ثم تعددت الحضـارات

---

[1] سورة المطففين/ ١٣.

[2] سورة طه/ ٥٠.

واللغات والأديان والمذاهب والشعوب والأمم، فلا فضل لأحد على أحد، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والانتماء إلى عقيدة التوحيد، والرجوع إلى رب الوجود، رب العالمين من الإنس والجن أجمعين. قال تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون﴾[1].

وقال: ﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه..﴾[2].

ونؤكد ثانية أن الأرقام كالألفاظ العِربية، أصلها واحد في جميع أنحاء العالم، فهي عربية، لفظاً وكتابة، لفظة هنيدة باللسان العربي تعني مائة من الإبل أو الغنم، والهنادي هي المئات، وأصبحت في الإنكليزية (هاندرد)، والتعشير في العربية هو التمام، وتمام الأمور تعشيرها، وهو تمام أصابع اليد، والعرب قديما تقلب النون ميماً والميم نوناً، فقلبت لفظة (تم) إلى (تن) Ten، وهكذا في الكثير من الأرقام كما هي في الألفاظ، نستطيع إرجاعها إلى العربية، بإعمال الفكر ودراسة ظروف تطور الكلمات والألفاظ ولغات الشعوب وقدرتها على نطق أطقم الحروف، لاسيما الحروف الحلقية، التي تواجه بعض الشعوب الأعجمية، صعوبة في نطق معظمها خلافاً للحروف اللسانية الأخرى. وكذلك يمكننا دراسة الألسن، فيما يعرف بفقه اللغة المقارن، بحذف أحرف العلة (الصائتة) والأحرف الزائدة في الكلمات العربية وما يقابلها في باقي اللغات[3].

ملامح ومميزات لغة آدم (عليه السلام)

إن أهم الملامح والمميزات التي يمكن استنتاجها من لغة آدم، استناداً إلى النصوص القرآنية والملكات الخاصة التي زود بها أبو البشر، حيث خلقه الله من

---

[1] سورة الأنبياء/ ٩٢.

[2] سورة البقرة/ ٢١٣.

[3] راجع كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث-الأردن.

تراب ونفخ فيه من روحه، تكريماً وتميزاً له عن باقي مخلوقات الله، ويمكن حصرها وايجازها في النقاط التالية:

١- ملكة النطق والقدرة على الكلام المفهوم والمسموع.

٢- ملكة البيان والقدرة على التعبير عن الأفكار والتصورات التي يحس بها والتي يمكن أن يتصورها من خلال محاكاة الطبيعة والتعايش معها.

٣- الأسماء والكلمات والحروف التي علّمها الله له بعد أن خلقه وعرضه على الملائكة، وأمر الملائكة بعد أن رأوا ذلك السبق والتكريم بالسجود له احتراماً وتكريماً له ولرسالته على الأرض.

٤- إيحاء الرسالة التي كلّف بها والدين الذي أنزله الله عليه، واثراء مفاهيم التوحيد للغة آدم. اذ لابد لآدم النبي أن استعان بتلك اللغة للتبشير بعقيدة التوحيد وتعليمها لذريته، لكي يعبدوا الله ويكونوا جديرين بدور الخلافة في الأرض وإعمارها وبناء الحضارة البشرية على مر العصور والأزمان، وسنرى أن تلك الملامح والمميزات هي التي ساعدت بني آدم لاستخدام وتفعيل لغة أبيهم ونشرها في الأصقاع وتطويرها وتطويعها حسب المكان والزمان والثقافة التي كانت تتميز بها كل بقعة من بقاع الأرض في العالم القديم. وقبل الاستطراد في لغة آدم وملامحها الأصيلة والفطرية، لابد من الإشارة إلى عنصرين مهمين في صياغة اللغة وبنائها وتطويرها في أي أمة أو بقعة في الأرض، وهما عنصر المكان ودور الحرف اللغوي وجرسه الموسيقي في تكوين اللغة البشرية، ابتداءاً من لغة آدم إلى اللغات واللهجات العروبية الحنيفية القديمة، ثم اللغات الشرقية والغربية ومنها الأوربية في العصور القديمة، وأخيراً اللغات المعاصرة في العالم أجمع.

لقد لاحظ العلماء أن هناك جدلية وعلاقة وثيقة بين النطق بالحروف الأولى في لغة آدم والمكان والبيئة التي يعيشها الإنسان. والحقيقة العلمية التي اكتشفها علماء اللغة والإنسان، هي أن أرض مكة والجزيرة تتميز بقدرة الإنسان على النطق بجميع الحروف الحلقية واللسانية، التي وهبت إلى آدم (عليه السلام) عند خلقه، وكلما ابتعد الإنسان عن مركز مكة بالاتجاهات الأربع قلّ عدد الحروف التي يستطيع

أن ينطق بها، مما ينعكس على شكل اللغة وملامحها وتطورها، وهذا العامل هو أحد أسباب ظهور اللهجات العروبية في الجزيرة وخارجها واللغات الشرقية في إيران وتركيا والمغرب والحبشة وغيرها، وهكذا في اللغات الأوربية والصينية والهندية، وهكذا الأبعد فالأبعد..

إن المتابع لعلم الصوتيات واللسانيات واللهجات واللغات الشرقية والغربية، يلاحظ الفرق الواضح في الأصوات والأحرف التي تميز كلّ لغة عن أختها، كما يلاحظ تكرار النغمات والأحرف في اللغات بشكل يميزها عن غيرها في اللغات العالمية الأخرى. فنجد أن الهندي حين يتكلم العربية في الخليج أو السعودية وغيرها في البلدان العربية، هناك ما يميزه ليس فقط عن العربي وإنما عن الصيني والأوربي أو التركي والايراني على سبيل المثال، وكذا نفس الملاحظة نجدها مع الإنسان الإفريقي أو السوداني أو الحبشي، هناك أصوات وأحرف معينة تميزه عن غيره من الشعوب التي تعيش في أماكن أخرى، كما نلاحظ التميز في حركة اللسان بشكل مغاير لإنسان آخر في بقعة أخرى في الأرض تفصل بينهما مكانياً فضلاً عن الفصل الزماني والثقافي والبيئي الذي نعرفه، وسنلاحظ لاحقاً تميز اللغات عن نظيراتها لدى شعوب العالم، في اختفاء عدد من الحروف والأصوات، وغالباً ما يكون الحاء والخاء والقاف من أشهرها، باستثناء الضاد والظاء اللذين تميزت بهما لغة الضاد العربية عن غيرها من اللغات منذ نشأتها، وسنبحث فيما اذا كان الضاد وبقية الحروف العربية الثمانية والعشرين من بقية حروف لغة آدم، اعتماداً على أطروحة ظهورها وانطلاقها من مكة (القرآنية) وما لمنطقة مكة والجزيرة من أثر واضح في تحرر الحروف والقدرة على النطق بها، بما يميزها عن باقي بقاع الأرض. ولكن يمكننا الاستنتاج دون أدنى شك، بأن المجموعة الكاملة أو طقم الأحرف في لغة آدم، نجدها واضحة وبارزة في الجزيرة العربية وتحديداً أرض مكة.

هناك حقيقة أخرى تخص الحرف العربي في لغة آدم، اذ أن لكل حرف عربي جرس موسيقي ومعنى طبيعي يميزه عن غيره من الحروف ويعطي له

استقلالية شبيهة باستقلالية العناصر الكيميائية في الطبيعة، وكما يتميز تركيب المركبات الكيميائية والمواد الطبيعية في الأرض على سبيل المثال، للحصول على مركب مكون من عدد من العناصر الكيميائية، فالماء مثلاً مكون من ذرة أوكسجين متحدة مع ذرتين من الهيدروجين، فكذلك الأمر في تكوين الكلمة من عدد من الحروف، فالحرف العربي بجرسه وموسيقاه وصوته قادر على صناعة الكلمات والأسماء من مجموعة من الأحرف المنتخبة بطريقة خاصة تعتمد السماع والعلم والاجتهاد، ويكون لشخصية الحرف وجرسه الموسيقي ومعناه الطبيعي الأثر الواضح في صناعة الكلمة والاسم في لغة آدم، كما سنرى ذلك واضحاً في الأمثلة المختارة. ولعل أصوات الطبيعة من حركة المياه والأشجار والصخور والرمال والحيوانات والطيور وما نسمعه في المراعي والجبال والوديان والأنهار والبحار من أصوات لمخلوقات الله في الطبيعة المسخرة للإنسان، أثر كبير في إغناء لغة آدم بالمفردات والأفعال والأسماء، كما سنرى ذلك في الجداول والأمثلة التي سنتطرق إليها. أما إغناء المفردات والأسماء التي علّمها الله تعالى لآدم، وأثر الرسالة الإلهية والدين الذي أنزل على آدم باعتباره أول نبي على الأرض، فكلٌ ذلك الارث الديني له الأثر الكبير في إغناء لغة آدم وتعزيزها لتكون لغة رسالة وهدف، وهذا الاثراء والإغناء والدور الديني هو الذي أوجد علاقة جدلية وأصيلة بين لغة آدم ولغة القرآن، وهذا الذي يفسر لنا أيضاً الآثار والنصوص العديدة في الأدبيات الإسلامية التي تؤكد على أن لغة أهل الجنة هي اللغة العربية واللسان العربي المبين. ليكون مبدأ الإنسان ومنتهاه مرتبطاً تاريخياً وحضارياً ودينياً باللغة الفطرية والتوقيفية، التي علّمها الله سبحانه للإنسان حين خلقه ووضعه في أشرف وأكمل مكان، تلك هي اللغة التي اصطلحنا على تسميتها بلغة آدم.

لغة القرآن بين الأصالة والتجديد والحيوية

اللغة العربية لغة البشر المطلقة وهي أم اللغات، وذلك يجعلها متمتعة تمتعاً أصيلاً بمزايا خاصة، طبعت عليها وعرفت بها. هذه المزايا الخاصة هي: القدم،

الكمال، الجمال، القداسة، الخلود. قال الله تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾**[2]. وقال النبي ﷺ: أحب العرب لثلاث: لأني عربي، ولأن القرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي[3].

هناك نظرة وحقيقة قرآنية متميزة حول اللغة، تنبثق من الآية: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**[4]. ومعنى ذلك، أن الله سبحانه قد علم آدم اللغة البشرية تامة كاملة. وتتمثل هذه النظرية أو الأطروحة القرآنية، في أن اللغة لدى الإنسان هي – في الأصل – توقيف إلهي محض. وهو توقيف تعليمي تلقيني مطبوع. بالنسبة لآدم عليه السلام أبي البشرِ، ومن ثِم أصبح ملكة فطرية مجبولة بالنسبة إلى بني البِشر. وتكون فيهم ذاتياً، في حيز القوة والإمكان والإستعداد، ثم تكون فيهم وجودياً في حيز الفعل والتحقيق والإعداد.

وهكذا فليست اللغة في أطروحة القرآن مثلما هي في النظريات اللغوية الوضعية السائدة الأخرى، ناشئة عن اصطلاح بشري موضوع، أو عن محاكاة بشرية لأصوات الطبيعة، أو عن تطور تدرجي للأصوات البشرية، أو عن تصويت طبيعي لقوة الدماغ الإنساني أو غير ذلك من نظريات مماثلة. وهذه الرؤية القرآنية تنسجم مع الرؤية الحضارية والعلمية الحقة للإنسان، وأهم ركائز تلك الرؤية هي:

١- إن الإنسان هو كائن أسمى، إلهي النشأة، وليس كائناً أدنى ذا أصل حيواني، قال تعالى: **﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾**[5].

---

[1] سورة البقرة/ ٢١٣.

[2] سورة يونس/ ١.

[3] رواه الطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرك.

[4] سورة البقرة/ ٣١.

[5] سورة ص/ ٧١-٧٢.

٢- إن الإنسان مخلوق تام الخلق، كامل الخَلُق، منذ أن وجد، كما هو في الحقيقة والواقع، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[١].

٣- إنه خليفة الله في أرضه، قال تعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة﴾[٢].

٤- أنه ذو منزلة رفيعة عند الله، منزلة تفوق في رفعتها حتى منزلة الملائكة المقربين، قال الله تعالى:

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾[٣].

٥- إن الإنسان مخلوق امتاز على غيره من المخلوقات بالعلم والبيان، قراءة وكتابة، قال تعالى: ﴿إقرأ بسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾[٤]. وقال: ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾[٥].

لقد كان للغة القرآن، في زمن ما قبل الإسلام، نوعان من اللهجات الفصحى: لهجات خارجية ولهجات داخلية.

اللهجات الخارجية: هي التي نشأت خارج الجزيرة العربية، عبر أقوامها النازحة منها والمستوطنة حولها، والتي أطلق عليها خطأ (اللغات السامية) كالبابلية والآرامية والكنعانية والسبئية والحبشية والمصرية والعبرية.

اللهجات الداخلية: هي اللهجات التي نشأت داخل الجزيرة العربية، عبر شعوبها وقبائلها المتعددة، القاطنة في جميع أرجائها الشاسعة. من بائدة وعاربة

---

[١] سورة التين/ ٤.

[٢] سورة البقرة/ ٣٠.

[٣] سورة البقرة/ ٣٤.

[٤] سورة العلق/ ٣-٥.

[٥] سورة الرحمن/ ١-٤.

ومستعربة وجاهلية. لم يكن بين هذه اللهجات العروبية الحنيفية سواء الخارجية أم الداخلية سوى اختلافات طفيفة وهي اختلافات كانت تتباين اتساعاً وضيقاً، تبعاً لتباين أوطان هذه اللهجات بعداً أو قرباً من قلب الجزيرة عامة، ومن مكة خاصة[1].

– إن الأرقام بنوعيها العربية وما يسمى بالأرقام الهندية هي أرقام عربية صرفة تعود إلى لغة القرآن ولغة آدم الأولى. وهي جزء أصيل من اللغة التوقيفية الشاملة والكاملة منذ ظهورها في عصر آدم. وليس صحيحاً أنها أرقام هندية أو ذات أصل هندي كما يشاع خطأً، والحقيقة إن الأرقام الهندية، إن كان هناك تشابه بينها وبين الأرقام الهندية، مقتبسة قديماً من الأرقام العربية (البابلية)، التي هي شكل من أشكال الأرقام العربية الأولى الأم (الحنيفية). أما الأرقام الأوربية الحالية، التي تسمى بالأرقام العربية Arabic Number فهي وإن كانت ذات أصل عربي إلا أن الأوربيين حين اقتبسوها من عرب الأندلس حوروها بشكل يتلائم مع طبيعة لغاتهم. وأصبحت تختلف عن الأرقام العربية التي احتفظ بها العرب والمسلمون إلى اليوم.

– من صفات اللغة العربية ولغة القرآن أنها لغة منطوقة ملفوظة ومكتوبة مقروءة، معاً وسواء بسواء. نطقها عين لفظها، ولفظها عين كتابتها، وكتابتها عين قراءتها، ومن ثم نطقها ولفظها وكتابتها وقراءتها شيء كلي واحد، تتماثل عناصره دونما أية زيادة أو نقصان، ودونما أي تبدل أو تغير، وهذه الصفة نادرة بين بقية لغات العالم، التي غالباً ما تحشى كلماتها بحروف لا تلفظ أو على العكس تلفظ ولا تكتب.

– ليست اللغة العربية لغة العربِ فحسب، بل هي أيضاً لغة الإسلام والمسلمين، فهي لغة دينية مقدسة فضلاً عن كونها لغة قومية. ما من لغة من اللغات العالمية الشهيرة التي تتمثل اليوم في اللغات الإنكليزية والفرنسية

---

[1] راجع كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

والألمانية والإيطالية والاسبانية والروسية والصينية والهندستانية واليابانية والتركية والفارسية والكردية وغيرها، تحمل ما تحمله اللغة العربية من مزايا القدم والكمال والجمال والقداسة والخلود، مجتمعة مطلقة، وهي المزايا التي تحملها هذه اللغة المعجزة.

– لقد قامت أوروبا بمحاولات عديدة متكررة في العصر الحديث لوضع لغة عالمية تنتظم البشرية جمعاء، وذلك من بين لغاتها الكثيرة المتباينة، غير أن محاولاتها باءت كلها بالفشل، وكان أبرز تلك المحاولات الفاشلة، هي المحاولة المسماة (لغة الإسبرانتو) وهي تتكون من خليط تجميعي تركيبي محدود ومقنن من ألفاظ ومصطلحات وقواعد اللغات اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهي لهجة أوربية خالصة، كما أنها لهجة آلية، لا تكاد تكون لها علاقة صحيحة باللغة الإنسانية الحية المبدعة. إن البشرية والعالم ليسا بحاجة إلى أية لغة كانت، وإنما هم بحاجة إلى خير لغة كانت، بحاجة إلى لغة روحانية مثالية أخلاقية حضارية إنسانية مثلى، تحمل إليهم من قيم الحق والخير والصلاح والجمال والسلام والعدالة والمساواة والمحبة والإخاء، ما يجعل البشرية وحدة كلية تامة متكاملة، وما يجعل العالم فردوساً حياتياً آمناً سعيداً. إنها اللغة العربية لغة القرآن ولغة آدم في الدنيا والآخرة.

لقد هيمنت اللغات الأوربية على البشرية والعالم حوالي ثلاثة قرون، فماذا حملت إليها؟ لقد حملت إليها ضروب المذاهب الفلسفية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السالبة والهدامة، من رأسمالية وشيوعية وميكافيلية ودارونية وماركسية وفرويدية ووجودية ووضعية وذرائعية وعبثية وفوضوية وعنصرية وأخيراً عولمة احتكارية استعمارية شيطانية.. بجميع ما تشتمل عليه المذاهب من وثنية وإلحادية ومادية وإباحية ولا إنسانية طاغية. وكان أن أغرقت البشرية في بحر لا قرار له من المفاسد والرذائل والشرور، وجعلت العالم نهباً موزعاً للكوارث والمصائب والنكبات..

أما اللغة العربية فقد حملت إلِي البشرية والعالم على مر الأزمنة، الرسالات والنبوات والكتب السماوية المقدسة الخالدة، التي كانت وستبقى منارات هادية لهم، إلى سبيل الخير المطلق والصلاح الخالص والفلاح الأكيد. لكل ذلك يؤكد العلم والقرآن أن لغة القرآن واللغة الحنيفية العروبية (التي تتفرد بأنها إلهية المصدر) هي أم اللغات قاطبة، ومن ثم فإنها جديرة بأن تكون لغة البشرية جمعاء.

الجغرافية التاريخية لأقوام الأنبياء ورسالة التوحيد

إن جغرافية الأقوام والشعوب والأمم في التاريخ القديم، منذ عصر آدم وحتى عصر المسيح، وجغرافية القصص القرآني، التي تعنى بالأماكن والمواطن التي احتضنت حركة الأنبياء التاريخية ونشاطهم الحضاري في عصورهم وعصور الأقوام، التي واكبت حياتهم على الأرض، لها أهمية خاصة في تدوين النشاط الحضاري والديني للانسان على الأرض. إنها في الواقع تعد أحد جناحي الحقيقة التاريخية لذلك النشاط الانساني. ومن المؤكد أن تحديد جغرافية النشاط البشري تحديداً دقيقاً مبنياً على أسس علمية وآثارية غير خاضعة للفرضيات التوراتية أو الإغريقية، التي أبعدت الباحثين عن الوصول إلى كبد الحقيقة بسبب الانحياز والتعصب الديني والعرقي، هو أمر عسير وغير ميسر، بسبب ندرة المعلومات والآثار التي تخص تلك الحقب الموغلة في القدم من جهة، والانحياز التوراتي الإغريقي الذي كان يحكم منهجية الباحثين والآثاريين الأوربيين خلال تلك الفترة، ولكن ذلك لا يعني أننا غير قادرين على الإدلاء بدلونا وتحديد الملامح العامة لجغرافية الأنبياء، وفق أطروحة القرآن وإشاراته الهامة، بعيداً عن ادعاءآت التوراة والخضوع لفرضياتها الأسطورية التي ضللت الكثير من الباحثين، بسبب الأحكام المسبقة التي اعتمدتها في تحديد الأماكن والأحقاب والشخصيات، بما ينسجم مع الأطروحة التوراتية عن العرق السامي والأرض المقدسة والإله الخاص بالشعب المختار، لاستلاب التاريخ واغتصاب الأرض في غفلة من الزمن، وبسبب

انسحاب أصحاب الحق والعلم والعدل من الساحة الفكرية والعلمية في القرنين الماضيين بشكل خاص. وسنذكر أمثلة عديدة تدلل على الهيمنة التوراتية والإغريقية على حساب الحقيقة العلمية الآثارية والتاريخية، فيما يخص النشاط البحثي والآثاري الذي جرى وأنتج في المراكز البحثية والارساليات الآثارية والجامعات الغربية، طيلة المرحلة التي أعقبت عصر النهضة الحديثة، بما لا يدع مجالاً للشك في الانحياز الاستشراقي اللاهوتي الأوربي في عمومه – عدا استثناءات محدوده ومعروفه – في النظرة إلى التاريخ القديم، وفي البعد عن العلمية والموضوعية في دراسة بدايات نشوء التاريخ والحضارة، وصلتها بالفكر والعقيدة وتطور اللغات وظهور الأقوام والأمم والحضارات.

لقد تعمد الفكر التوراتي والفكر الإغريقي صياغة حركة التاريخ القديم بما يتناغم مع أطروحة التوراة الخرافية وريادة الفكر الإغريقي وتفرده في صناعة الحضارة الأولى، ونتيجة لذلك ضاعت الحقيقة والموضوعية في جغرافية الأنبياء بين حدي المسطرة التوراتية والمسطرة الإغريقية، المدعومتين من القوى المهيمنة على الفكر الغربي في أوربا وأمريكا. وانعكس ذلك الخلل في النظرة إلى التاريخ القديم بالمنظار التوراتي الإغريقي سلباً على التوحيد والدين عموماً، وعلى الحقيقة العلمية التي يسعى لها الباحثون والناس أجمعون، وأخيراً على هوية الشرق ودوره الفاعل في صياغة العقل الإنساني الأول وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وفق تعاليم السماء والحنيفية الإبراهيمية التي احتضنت تراث الأنبياء وهذبته وبلورته في حركة وحدوية توحيدية شرقية، كانت جغرافيتها منطقة الشرق العربي، التي مثلت مركز العالم القديم والحديث ونقطة ارتكازه وبؤرة الاشعاع المتلألئة فيه، والتي هيأها الله سبحانه لتضيء العالم بنور الهداية والتوحيد، التي رفع لواءها الأنبياء والمرسلون على مدار التاريخ البشري، ممثلة بأرض الجزيرة العربية واليمن وأرض الرفدين وبلاد الشام ومصر، وهي الأرض التي كانت الميدان الحيوي والإطار الجغرافي والمهد الأصيل، الذي تحرك فيه إبراهيم الخليل (أبو الأنبياء) وذريته من بعده، متخذاً من مكة والمدن الأخرى المحيطة بها في بادية الجزيرة والشام حتى أعالي

العراق شمالاً، وبحر العرب وشواطيء عدن جنوباً، فقد كانت تلك الأرض التي باركها الله، والتي تتوسطها مكة وتقع في مركزها، تنشأ على شكل واحات حضارية ومراكز تجمع للأقوام والشعوب التي كونت العالم القديم، في شكل دوائر متشابكة مع غيرها من القرى والمدن، وفيما حولها من السهول والجبال والهضاب والسواحل والصحارى.. وهي المحيط الحيوي لجغرافية الأنبياء التي أشارت إليها العديد من الآيات والنصوص القرآنية والإسلامية الصريحة، كصلة حضارتي بابل وسبأ بالنبي سليمان (ﷺ)، وأهمية تحديد مصر القرآن، التي تشير الدلائل التاريخية والآثارية الى تمايزها عن مصر النيل، وصلة إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) بأرض مكة وأرض الرافدين وأرض الشام وفلسطين، وصلة السيدة مريم وعيسى المسيح (ﷺ) بأرض النخيل، حين يعرض القرآن مشهد ولادة السيدة مريم البتول أم المسيح، ويذكر حادثة أكلها من رطب التمر وهي تلد عيسى (ﷺ)، وغير ذلك مما سنأتي على ذكره. إن هذه الحقائق والاشارات القرآنية لها أهمية خاصة في التعرف على جغرافية الأنبياء، ويمكن اعتبارها نقاط توجيه وارشاد وأعلام مضيئة في فهم التاريخ التوحيدي، ولذلك نرى أنها أُستبعِدت عن قصد من قبل بعض المستشرقين والمستغربين التوراتيين، وهم يبحثون في جغرافية الأنبياء ويفتشون عن كل ما يؤيد مقولات التوراة، بسبب النفس المضاد لثقافة القرآن وآليات المنهجية العلمية المفترضة، وبسبب روح التعصب والانحياز ومعارضة أطروحات القرآن، ذلك الكتاب الرباني المعجز الذي جاء بالحقائق الكونية والروحية للإنسان في كل زمان ومكان، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك الاحتضان المنهجي والفكري لأطروحات التوراة، ومن ذلك –على سبيل المثال لا الحصر– محاولات المستشرق الإنكليزي مستر وولي في عشرينيات القرن الماضي في البحث عن مكان الطوفان وسفينة نوح في مدينة أور جنوب العراق، محاكياً بذلك ادعاء التوراة عن موقع الطوفان، والضجة الآثارية التي افتعلها حين اكتشف مقبرة مملكة أور الثالثة، وقد تبين خطأه –بعد ذلك– في ما ذهب اليه من تفسير توراتي، لا يمت بصلة إلى الحقيقة العلمية والآثارية، ومنها أيضاً الضجة التي

حصلت بعد اكتشاف لفائف البحر الميت، التي سميت أيضاً (لفائف قمران) وصلتها بالتوراة ونصوصها وتاريخ تدوينها، وكذلك محاولة توظيف آثار مصر وبابل في خدمة التوراة زوراً وبهتاناً، وغير ذلك من التفاصيل التي لابد من تسليط الضوء عليها، للوقوف على حقائق التاريخ وتدعيم البحث العلمي الآثاري الموضوعي النزيه.

أما الجناح الثاني الجوهري في تحديد هوية الأقوام والشعوب والأمم التي عاشت في التاريخ القديم، فهو اعتماد عنصر اللغة التي كان يتحدث بها كل شعب من شعوب العالم القديم، بدلاً من اعتماد الأساس المموه والافتراضي الذي اتّخذه الباحثون الغربيون، وهو علم الإناسة (الإنثروبولوجيا)، فاللغة التي يتحدث بها الناس، هي التي يمكن أن تشير إلى هويتهم وإنتمائهم وصلتهم بأمة معينة وقوم من أقوام التاريخ، **فاللغة والجغرافية** هي التي تحسِم الهوية والانتماء، وتدعم الحقيقة الموضوعية لتراث الأنبياء، أما المواصفات الخلْقية والشكل واللون والطول والعرض، فهي لا تكفي من الناحية العلمية والتاريخية، في فحص الأمم والشعوب ومعرفة انتماءاتهم العرقية والحضارية، للتداخل الكبير بين الصفات والملامح التي تربط شعوب التاريخ القديم.. وكذلك بسبب وحدةِ الجنس البِشري أصلاً ورجوعه إلى أرومة واحدة، كما يؤكده العلم والدين معاً، ومن ثمَّ تداخل الأجناس والأعراق المتشعبة من الجنس الأول الذي يعود لآدم أبي البشر. إن نظرية النقاء العرقي باتت اليوم أسطورة من الأساطير التي يلوك بها العنصريون والمتعصبون دون مبرر علمي أو أخلاقي. كما إن تأثيرات المناخ والمكان والزمان والبيئة على الإنسان وشكله وبنيته وحجمه، وغير ذلك من الموازيين التي تحيط بالمجتمعات، لها أثر كبير في اختلاط الصفات والملامح الخلْقية في دعوى الأناسة.. إن الانثروبولوجيا لا تنفع في هذا المجال[1]، وإنما يمكن أن تنفع في دراسة الأحقاب الطويلة المتباعدة، وفي تقدير أعمار الحقب والآباد الجيولوجية، وفي دراسة

---

[1] مجال الجغرافية التاريخية للأقوام التي عاشت وتحركت في التاريخ القديم.

المتحجرات والحيوانات القديمة التي عاشت دهوراً طويلة قبل الإنسان وبعده في علمي البايولوجي والانثروبولوجي، اللذان يحاولان دراسة وتقصي الحياة وآثارها على الأرض.

إن الشعب السومري مثلاً لا يختلف عن الشعب الأكدي سوى في استخدام نوعين من الكتابة، كما يذكر الدكتور نائل حنون المختص بالكتابات المسمارية (سومرية وأكدية) في بحث علمي له فيقول: إن الشعب السومري والشعب الأكدي هو شعب واحد، فيما عدا أنهما استعملا نوعين من الكتابة، فالكتابة السومرية هي كتابة رمزية، والكتابة الأكدية بفرعيها الآشوري والبابلي هي التي تكتب وتلفظ، وقد أيد بحثه بأكثر من خمسين شاهداً علمياً، فضلاً عن أن كلمة (سومر) هي كلمة عروبية أكدية، وقد اتخذ السومريون اللهجة الأكدية أساساً لغوياً في حضارتهم، تمثّلت في دولة أور الثالثة. ورغم أن اللغة السومرية لغة ملصقة غير قابلة للتعريف، فإن هناك مفردات كثيرة فيها مأخوذة من حضارة العبيد (٤٩٠٠ – ٤٠٠٠ ق. م) العروبية، وفي مقدمتها كلمة (سومر) وتعني الحراس، ومنها السمير والسمر والسمَّر، ثم انتقل السمير الحارس إلى مدلول السمير ذي الكلام الجميل، ومنها كلمة (نجار) تلفظ بالتمييم وليس التنوين[١]، أو (نجاروم) أي (نجار) وكلمة قصار أي نساج، وكلمة حرث أي محراث، وكلمة أكّار أي فلاح[٢]. إن هذه الكلمات ذات مدلول حضاري (النجارة، الحياكة، الحراثة..) وذلك يعني أن هناك حضارة عروبية سبقت حضارة سومر، وكانت لها حضارة راقية تمارس الزراعة والحياكة والنجارة والصناعة خلال الألف الخامس قبل الميلاد. وقد أشار بعض العلماء الآثاريون إلى حضارة العبيد التي سبقت حضارة سومر وأكد. وفي الوقت نفسه نستطيع أن نعطي اللغات الحنيفية العروبية سقفاً أعلى في القدم، يصل إلى الألف الخامس قبل الميلاد، ومن خلال المفردات أعلاه. إن هناك نقش آثاري

---

[١] إن التنوين يوازي التمييم، أي يستخدم لنفس الغرض في بعض اللهجات العروبية.

[٢] في لسان العرب أكّار تعني الفلاح.

يذكر كلمة (عرب) ويعود إلى الأف الثالث قبل الميلاد، وهو دليل آثاري تاريخه أبعد بكثير من التاريخ المعروف بين الآثاريين وقبل النقش الآشوري الخاص بـ (جنديبو العربي) سنة (٨٥٣ ق.م) الذي تحاول ثقافة التوراة أن تجعله أبعد تاريخ وأعلى سقف في ذكر العرب تاريخياً وآثارياً، نكاية بهم وطمساً لدورهم التاريخي والحضاري في التاريخ القديم[١].

لقد كتب التاريخ القديم بنفس مادي ومتحيز، مناويء للعرب والمسلمين، وحسب رؤية الفكر التوراتي والفكر الإغريقي، بحيث جعل المصطلح التوراتي من كلمة عرب تعني البداوة والصحراء، في حين تقول المعاجم والقواميس العربية ومنها (لسان العرب لابن منظور)، إن كلمة عرب تعني الماء وكل ما يخص الماء وايحاءاته والمعاني المرتبطة به، كالنقاء والصفاء والطهر والأصالة والفطرة والزرع وغير ذلك، ومن تلك المعاني: عربة إسماعيل هي بئر زمزم، ووادي عربة هو وادي الماء، وامرأة عروب وهي المرأة المتوددة لزوجها كالماء الصافي (وقد حرفتها بعض القواميس المشبوهة والمتأثرة بثقافة التوراة، وجعلتها تعني المرأة اللعوب والخائنة لزوجها، فشتان بين المعنيين). وعراب الكنيسة هو الذي يعمد الطفل بالماء، وغيرها من المعاني التي تليق بلفظ عرب، وربما كان أهمها وأجدرها بالاشارة والتقديس هو المعنى القرآني لكلمة عرب، وهو أنها مرادفة لكل ما له أصل رباني أو ما أتى الإنسان هبة من الله الخالق (أي من الرب) وما هو مسخر للإنسان بشكل طبيعي، سواء أكان معنوياً وروحياً، كاللغة واللسان والعقيدة والدين والشعر والأدب أم مادياً وبشرياً، كالطب والصمغ واللباس والحصان والحساب وغيرها من المفردات المادية التي ارتبطت بلفظ العرب والعربي، ولذلك ارتبطت هذه المعاني والمفردات بإضافة العربي اليها مثل: الطب العربي، والشعر العربي، والحصان العربي، والصمغ العربي، والحساب العربي.. وهكذا كما أشرنا سابقاً.

---

[١] انظر: حضارة واحدة أم حضارات/ د. محمد بهجت قبيسي، ص ٢٥.

ولتأكيد أهمية اللغة في تحديد هوية القوم وانتمائهم وتحديد صلتهم بالشعوب والحضارات المجاورة، يضع لنا النبي العربي قانوناً عاماً ودستوراً قومياً وثقافياً في الانتماء إلى اللغة والقوم فيقول ﷺ في الحديث الشريف: إنما العربية اللسان[1]. وهو تأكيد وتفسير لقوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[2].

لقد كانت دلالة كلمة عرب وعربي – كما أشرنا سابقاً – تشمل جميع المسلمين في العصر الأموي والعباسي، فقد روى الطبري وغيره قول أحد الأمراء وقادة الجند في تخوم الهند حينما طلب منه قائده في المشرق، أن يجمع منهم الخراج، فأجابه: كيف لي أن أجمع الخراج من الناس هنا، وقد أصبحوا كلهم عرباً – أي بدخولهم في الاسلام – وهو يقصد أنهم أصبحوا مسلمين طبعاً[3]. كما تدل كلمة تركي اليوم في أوربا[4] على المسلم وما يتصل بالمسلم من الأكل والشرب والعادات عموماً، بسبب الصراع الحضاري الذي كان سائداً بين المسلمين والأوربيين في العصر العثماني.

إذن، فان هناك دلائل كثيرة تؤكد على أن التاريخ القديم قد كتب حسب الفكر التوراتي والفكر الإغريقي الغربي، وربما وجدنا تناغماً واتفاقاً بينهما أحياناً. وربما احتاج هذا الموضوع إلى صفحات كثيرة وبحوث معمقة لتغطيته، والى الإشارة إلى الأيادي الخفية والمشبوهة، التي حاولت تحريف الكلم عن مواضعه، وهي تحاول كتابة التاريخ بطريقة عنصرية مزورة تجانب الحق والحقيقة العلمية، بل ربما تتعمد في إخفائها وطمسها للحقائق، كما حدث في الكثير من المكتشفات الآثارية المناقضة لثقافة التوراة ومسطرتها، والمناهضة لثقافة الوحدة والتوحيد ورسالة

---

[1] رواه أصحاب السنن.

[2] سورة الشعراء/ ١٩٢.

[3] فقرة ترادف دلالة لفظ العروبة والإسلام في التراث، ص ٧٩

[4] وكذا الحمام التركي والقهوة التركية والأكل التركي عموماً في المطاعم الغربية وغيرها.

الأنبياء والمرسلين. تلك المنهجية المنحازة للتوراة، والتي رسمها الكهنة والحاخامات عبر القرون، ويحاول اليهود وأعوانهم السير خلفها، لتمكين الفكر التوراتي اللاهوتي والغربي المادي من السيطرة على مقدرات العالم. لقد استلب التاريخ القديم وتراث الأنبياء واستلبت الهوية، قبل أن تستلب الأرض والدولة والقوة في عصرنا الراهن، وهي نتيجة طبيعية لصدام الحضارات الذي خطط له الغرب الامبريالي والاستعماري بجناحيه التبشير والاستشراق[1].

إن خرافة السامية والعرق السامي واللغات السامية التي تسربت إلى كتب الآثار والتاريخ وليس كتب اللاهوت فحسب، هي إحدى الدلائل على أثر الفكر التوراتي على علماء التاريخ والآثار، وكذلك الصورة المشوهة لسيرة الأنبياء وتصويرهم في التوراة الحالية، بأنهم زناة وكذبة ويشربون الخمر ويفعلون المحرمات (حاشاهم)، بل وصل الأمر الى حد الافتراء ممارسة بعض الأنبياء الزنا بالمحارم بعد السكر، كما في قصص نوح ولوط وشعيب وداود المروِية في ما يسمونه ظلماً وزوراً بالتوراة (أي العهد القديم)، وحاشا لكتب الله المنزلة من عنده، أن تحوي مثل تلك الأكاذيب والافتراءات، فضلاً على المنهج الأسطوري في سرد سيرتهم، والوثني والشركي في تصوير دينهم وعقيدتهم، كما في مصارعة يعقوب لله سبحانه من الغروب حتى طلوع الصباح، وحصوله على البكورية والنبوة بدل أخوه الأكبر (عيسو) بالكذب والتزوير، وكذا تأثر النبي سليمان بالعقائد الوثنية وعبادة الأصنام.. وغيرها من الاكاذيب والأساطير، التي حكتها التوراة على لسان الأنبياء والمرسلين، وهي موجودة في العهد القديم ولا تحتاج إلى برهان[2].

ومن الأدلة الأخرى على التلاعب في التاريخ القديم: أنهم قسموا ساحل بلاد الشام على البحر المتوسط إلى قسمين وكيانين تاريخيين وحضاريين، هما (كنعاني وفينيقي) وحددوا ذلك التقسيم –جغرافياً– من مدينة صور باتجاه الجنوب حتى

---

[1] راجع كتاب: التبشير والاستعمار/ عمر فروخ والخالدي، وكتاب: الغارة على العالم الاسلامي/ تحقيق محب الدين الخطيب.

[2] انظر للتوسع في كتاب العهد القديم، وكتاب الظاهرة القرآنية والعقل/ للمؤلف.

سيناء، فقالوا الساحل الكنعاني (حسب المنظور التوراتي) ومن مدينة صور باتجاه الشمال حتى جنوب تركيا، فقالوا الساحل الفينيقي (حسب المنظور الإغريقي). وكلا الاستنتاجين يفتقر إلى الحقيقة التاريخية واللغوية والجغرافية بما يخص الحضارة الكنعانية، وذلك لأن: صور هي أم الممالك الكنعانية وعاصمتها، فكيف نقسمها إلى قسمين شمالي وجنوبي، وهي مدينة واحدة وتعود لحضارة واحدة، بل هي مركز تلك الحضارة الكنعانية الراقية؟!!.

إن كلمة (فينيقي) هي كلمة تصحيفية اخترعها الباحثون الغربيون المعاصرون، بسبب خطأ في قراءة النصوص والنقوش القديمة. وإن أصل الكلمة الموجودة في النقوش الكنعانية هي (بني كنعان) وفي نقوش أخرى (بني كنع) ووجدت أيضاً (بني ك) ثم وجدت في النقوش المصرية (فني خو) أي: (تحويل الباء إلى فاء) وأخذتها اليونانية من المصرية وأضافت اللاحقة الإغريقية (os)، فأصبحت (فينيكوس)، ثم رخمت وأُبدلت في ايطاليا فأصبحت (بونيقي) ثم (بوني).. أي إن كلمة فينيقي هي يونانية الأصل ومأخوذة من (فني خو) المصرية، وهي نفسها كلمة (بني كنعان)، ويؤكد ذلك عدم وجود شعب غير الشعب الكنعاني على الساحل الشامي في تلك الحقبة من التاريخ، فلا وجود للشعب الفينيقي تاريخياً إلا إذا مثّل الشعب الكنعاني نفسه[1].

ونرى أثر الفكر التوراتي أكثر وضوحاً وتأثيراً على المسميات الآثارية والتاريخية فيما يخص تراث الأنبياء وهويتهم وانتماءهم العرقي في مصطلح شاع في القرنين الأخيرين، وهو مصطلح (السامية) الشهير، فيما يخص الشعوب القديمة، حيث ظهر هذا المصطلح التوراتي في القرون الأخيرة لتدعيم أسطورة (الشعب المختار) و (أرض الميعاد) التوراتية، والتي يراد منها تهويد تراث الأنبياء، وجعل اليهود محور النشاط الديني والتاريخي والحضاري في التاريخ القديم، وفي الوقت نفسه محاولة طمس تاريخ التوحيد الرباني المرتبط بالأمم والشعوب القديمة، والذي ظهر

---

[1] انظر: للتفصيل كتاب حضارة واحدة أم حضارات د. محمد بهجت قبيسي ص ٢٧-٢٨.

على مسرح الأحداث، منذ عصر آدم والعصور التوحيدية التي تلت، مروراً بعصور الأنبياء والمرسلين كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) كما جاء في القرآن، والغريب في الأمر أن التوراة لا تعترف بنبوة الأنبياء الأوائل، كآدم ونوح وأدريس، وتسميهم الآباء، وتسمي عصرهم عصر الآباء الأوائل، لكي تنفي عالمية رسالة التوحيد وصلتها بباقي الأمم والشعوب والأقوام، التي عاصرت الأنبياء الأوائل وتبعت رسالتهم وهديهم. وقد حرصت التوراة على حصر النبوة والرسالة في إبراهيم وذريته وهم أجداد اليهود –بزعم التوراة– وشعب الله المختار، الذين اختارهم اله إسرائيل من شعب إسرائيل فقط (وهم اليهود بزعمهم) لهداية بني جلدتهم دون غيرهم من الأقوام والشعوب، فهم لا يستحقون التكريم والرسالة والهداية الإلهية، وانما دورهم وعلّة وجودهم وخلقهم، هو لخدمة شعب الله والعمل على تحقيق أهدافه، وأهمها –بنظرهم– تحقيق الوعد الإلهي المزعوم بالعودة إلى أرض الميعاد، وتأسيس دولتهم وجعلها مركز العالم والقوة المسيرة والمسيطرة عليه. وقد جعلوا من بني إسرائيل[1] ومن تراثهم وأنبيائهم كموسى وهارون وداود وسليمان، فضلاً عن إبراهيم وبنيه، تراثاً خاصاً باليهود واحتكروا نبوتهم زوراً وبهتاناً.

وقد استطاع اليهود بعد فرض مصطلح (السامية) التوراتي أن يحصروه بهم فقط، وأن يخرجوا باقي شعوب التاريخ القديم من الأصل السامي، رغم أن العلم أثبت بأن مجموعة الأقوام التي سميت بالمجموعة السامية، تعود إلى أصل لغوي وحضاري واحد، وفي مقدمتهم العرب القدماء والأكديون والكنعانيون والآراميون والعبريون والسبأيون والأحباش، وبقية شعوب الشرق القديم الذين تشابهت لغاتهم

[1] وقد ادّعت التوراة أنهم الأسباط من ذرية يعقوب عليه السلام، وهو خطأ تاريخي كبير، فلا إسرائيل هو يعقوب ولا لبني (إسرائيل) صلة وعلاقة باليهود، ولا هم ورثة بني إسرائيل أو جاؤوا من نسلهم كما يزعمون. انظر: الخبر بالبرهان الدليل على أن يعقوب غير اسرائيل/ سويد الأحمدي، وكتاب: عولمة اللغة والتاريخ/ للمؤلف.

ولهجاتهم، وأكد العلماء أنهم يعودون إلى لغة أم واحدة هي اللغة الحنيفية التي ورثت لغة آدم، أو اللغة العربية القديمة ولغة القرآن.

وقد ادّعت التوراة أن سام بن نوح هو الجد الأعلى لبني إسرائيل، ومن ثَمَّ ورثتهم وأحفادهم اليهود!.. وإن سام بزعم التوراة هو أحد أولاد نوح الثلاثة، سام وحام ويافث. وقد ادعت أسطورة التوراة أن الروم والترك من نسل يافث بن نوح، أما حام بن نوح فهو أصل العرب والكنعانيين، ورغم أننا نعلم أن الكنعانيين هم من العرب القدماء، إلا أن التوراة زعمت أنهم من نسل كنعان بن حام بن نوح، الذي استحق لعنة الله عليه وعلى ذريته وجعلهم عبيداً في خدمة سام بن نوح وذريته من اليهود بزعم التوراة، بحجة انكشاف عورة نوح أمام ابنه حام وهو في حالة سكر شديد، كما ورد في سفر التكوين.. وهكذا أراد اليهود بتلك الأساطير التوراتية تقسيم البشر إلى شعوبٍ وأقوام، تكون في خدمة شعب الله المختار، الذي جعله الله –بزعمهم– عرقاً مقدساً دون غيره من الأعراق والأجناس، وادّعت التوراة أن باقي الشعوب والأعراق هم دون مستوى البشر وفي خدمة اليهود، وهم من أطلقت التوراة عليهم اسم (الجوييم). وقد أُعتبرت هذه الشعوب والأقوام مستباحة الدم والعرض والمال أمام الشعب المختار. إن هذه العقيدة الأسطورية المزيفة تجسم ثقافةِ التوراة ونظرتها لشعوبِ الأرض، وتبين نظرتها لعصور الأنبياء وتاريخهم المقدّس، الذي جعلوه مختصاً برسالتهم وبالشعب المختار، فهم بعثوا من قبل إله اليهود (يهوا) إلى بني إسرائيل واليهود حصراً، أما باقي الشعوب والأقوام فإنها لا تستحق ذلك التكريم، وهي أقلُّ شأناً من أن ينزل عليهم وحي السماء، وتحيطهم رسالة الأنبياء بالعناية والرعاية والهداية. أما إله اليهود (يهوا) فهو ذو مواصفات خاصة وأسماء وصفات تختلف عن أسماء الله الحسنى وصفاته الكريمة المقدسة، فهو إله عنصري وعرقي قاسي جداً يحب الدماء والقرابين البشرية، وهو يسكن بجوار البراكين والنيران، ويغار على شعبه المختار وينتقم من باقي الشعوب والأقوام، إذا ما فكروا بالاعتداء على شعبه أي على اليهود. إن هذه الصورة الأسطورية التي تطرحها التوراة، تناقض أطروحة القرآن فيما يخص رسالة التوحيد

وشمولها لكافة البشر، وصفات الله رب العالمين وأسمائه الحسنى، الذي وصفه القرآن بأنه اله العدل والخير والرحمة والهداية والنور. إن أنبياء القرآن هم –قطعاً– غير أنبياء التوراة، ولهم رسالة ومنهج وتاريخ مختلف كلياً عما جاء في التوراة.

أما قصة مصطلح (السامية) الذي وضع ليكون (شعب الله المختار) الذي يمثله اليهود هو الشعب المقدس الذي لا يدانيه شعب في الأرض، فهو فوق باقي الشعوب والأقوام التي ينبغي أن تكون في خدمته. ولعل مصطلح (معاداة السامية) ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد قصة محرقة اليهود (الهلوكوست) التي قام بها هتلر، وضخمها اليهود، وجعلوا منها الشماعة والبرهان على إثبات مظلوميتهم عبر التاريخ، ورمي خصومهم بالظلم والعداء للسامية، وكذلك في تبرير كافة مساوئهم وكافة الفتن التي قاموا بها في أوربا وغيرها في العصور الوسطى والحديثة، والتي أدت إلى اضطهادهم خلال عصور الشتات اليهودي –كما يزعمون– منذ عصر السبي البابلي وحتى العصر الحديث، ولقد حاول اليهود تقديم تاريخهم المخزي المليء بالمؤامرات والفتن، على أنه صراع ضد الظلم والعدوان الذي قامت به الشعوب والأمم عبر التاريخ على الشعب المختار.. ويجدر الاشارة الى كتاب مهم في هذا المجال كان قد طُبع في أمريكا سنة ١٩٤٩م، يحمل اسم (تاريخ الشتات اليهودي من عصر موسى إلى العصر الحديث). وقد كتبه أربعة كتّاب متخصصين اثنان منهم يهود واثنان مسيحيون بروتستانت. وقد طبع اليهود منه أكثر من ٢٠ مليون نسخة في أمريكا وأوربا، واستطاع هذا الكتاب – كما كان مخططاً له – أن ينجح في تغيير الرأي العام العالمي في أمريكا وأوربا، واعادة ترتيب أولوياته وفق المنظور التوراتي، تجاه تاريخ اليهود ودينهم وشخصيتهم الكارزمية، من حالة الكره والازدراء والاحتقار التي كانت شائعة –لاسيما في الغرب المسيحي– إلى حالة الاحترام والتقديس المثالي والنموذجي، باعتبارهم شعب الله المقدّس وذرية الأنبياء والمرسلين، مما جعل الأمريكان والأوروبيين يتعاطفون مع اليهود الصهاينة وقضيتهم الأساسية في قيام دولة إسرائيل ومسنادتها، ويقومون بدور أكثر فاعلية في دعم مشروعهم

المقدس بالمال والسياسة والإعلام. لقد كان لهذا الكتاب وغيره من الكتب والمقالات والبحوث نشرت ولازالت تنشر في الإعلام الغربي، أثر فاعل وحاسم، أدى إلى خلق رأي عام مناصر للمشروع الصهيوني الاستعماري، الذي كان يستهدف المشرق العربي والعالم الاسلامي برمته، وكان لذلك النشاط الاعلامي المحموم الأثر الفاعل والسبب الأساس في ظهور التيار المسيحي الصهيوني المتطرف في أمريكا والغرب عامة، وفي تعبئة العالم المسيحي ليدافع عن المشروع الصهيوني ويتبناه بل ويقاتل بالنيابة عنه، كما يحصل الآن فيٍ أكثر من مكان في العالم الاسلامي[1]. وهكذا نجد أن الفكر التوراتي كان له جذوراً عميقة ونفوذ كبير في ثقافة الغرب المعاصرة.

إن سياسة دعم وتصديق الأساطير التوراتية بما يخدم المشروع الصهيوني اليهودي، هي سياسة دينية أيدولوجية متعصبة، تسعى إلى إنشاء ثقافة عالمية ورأي عام عالمي يشجع الخرافة والأسطورة (الدين الافيوني) والانحياز لثقافة التوراة (الدين اللاهوتي المدعوم بالهرطقة) ومسطرتها المتحيزة وتوجهاتها المغرضة، التي كتبوها بأيديهم لبناء مجدهم الأسطوري والمادي على حساب الحقيقة العلمية والدينية ومصلحة الأمم والشعوب في الأرض.

ان الحقيقة العلمية المتفق عليها، أن كلمة (سام) ليس لها وجود في النقوش الآثارية نهائياً وكذلك كلمة حام أو يافث، كما أنها لم تذكر في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وإنما هي كلمة توراتية بحتة. وحين ظهر هذا المصطلح الذي جير لصالح اليهود، كان في البداية مصطلحاً توراتياً عادياً في نظر الباحثين، وكان حينذاك غير مثير للجدل أو الريبة، ولم يفطن العلماء لخطورته إلا في العقود الأخيرة، حين ارتبط بالمشروع الصهيوني، وأصبح العرب الكنعانيون والآراميون والأكديون.. لا ساميين، رغم أن لغاتهم تشهد بخلاف ذلك.

---

[1] انظر كتاب: صناعة اللوبي الصهيوني في أمريكا ط. بيروت، المقدمة.

لقد أسس لهذا المصطلح العالم اللاهوتي بوستيل في باريس سنة ١٥٣٧م، وأوجده المستشرق الألماني اليهودي شلوتزر ١٧٨١م، ثم أطلقه المستشرق الفرنسي أرنست رينان في القرن التاسع عشر، وأصبح العلماء والآثاريون والمؤرخون ومنهم العرب والمسلمون يرددونه بحسن نية. ولقد آن لنا اليوم بعدما عرفنا أبعاد هذا المصطلح التوراتي وأهدافه الخطيرة، كما عرفنا خطأه من الناحية العلمية والتاريخية، أن نرفضه ونستبدله بالمصطلح العلمي الدقيق، الذي ينبغي أن يعبر عن شعوب الشرق العربي بما كان يسمى (الشعوب السامية) فنسميها الشعوب العروبية أو العربيات، باعتبار أن اللغة العربية القديمة كانت هي اللغة الأم لهذه الشعوب، كما أثبت علماء التاريخ واللغة والآثار، أو ربما نسميها بمصطلح (الشعوب الجزرية) نسبة إلى موطنها الأصلي جزيرة العرب، ولكن المصطلح الأصلح والاسم الأكثر علمية –برأيي– هو الاسم القرآني الذي سمى تلك الأقوام بأقوام ملة إبراهيم أو الأقوام الحنيفية الإبراهيمية، ولغته باللغة الحنيفية الإبراهيمية أو اختصاراً **اللغات الحنيفية.** ويمكن تسمية اللغة العربية الفصحى، اللهجة العربية العدنانية، وكذا اللهجة العربية الأكدية، والكنعانية والآرامية وهكذا..[1].

إذن فقد استلب التاريخ فعلاً قبل أن تستلب الأرض، وكُتب التاريخ حسب الفكر التوراتي والفكر الإغريقي، وقد أثّر في تاريخنا وتراثنا نحن المسلمين والمسيحيين في آن واحد، فمن جهة المسلمين نجد الكثير من تفاسير القرآن القديمة والحديثة تحتوي الكثير من الروايات الإسرائيلية لأهل الكتاب، فيما سمي في أدبياتنا بـ(الإسرائيليات) والقليل من مصادرنا ومؤرخينا من أشار إلى ذلك، وقال أنها من الإسرائيليات، ويمكن استثناء تفسير الألوسي وتفسير المنار (محمد رشيد رضا) من ذلك التأثر، فقد نجيا من تلك الآفة، أما المفسر (ابن كثير) فقد نبه عن تلك الإسرائيليات وهو يوردها في تفسيره. أما باقي المفسرين وفي مقدمتهم الطبري، فقد شحنت كتبهم وتفاسيرهم بتلك الروايات. وقد مشّى الكثير من الكتاب

---

[1] انظر: حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي/ د. محمد بهجت قبيسي، ص ٢٥.

والمفكرين والدعاة والاعلاميين العرب والمسلمين المعاصرين على أثرهم وأثر المستشرقين واللاهوتيين الغربيين، دون انتباه لخطر الإسرائيليات والتوراتيات على الفكر والثقافة والدين والهوية.

أما الفكر المسيحي، فقد استطاع اليهود إقناع المسيحيين بأهمية ضم الإنجيل إلى التوراة، بما يسمى اليوم (الكتاب المقدس) فضلاً عن تغلغل الفكر التوراتي وأساطيره في الفكر المسيحي البروتستانتي، منذ تأسيسه في القرن السادس عشر على يد الكاهن الألماني (مارتن لوثر)، ومنذ ذلك العصر والمسيحيون يقرؤون التوراة مع الإنجيل تلقائياً بعد جمعهما في كتاب واحد منذ خمسة قرون، ولا يزال اليهود يحاولون جمع الكتب السماوية الثلاثة في كتاب واحد، وهو حلم توراتي قديم، بشّر به –تحت شعار وحدة الأديان– العديد من القادة والزعماء المسلمين، وكذلك بعض فرق الغلو والباطنية، التي أقامها المستعمر في العصور الأخيرة، كالبهائية والقاديانية والماسونية وغيرها. ولابد من الإشارة إلى أن شعار وحدة الأديان لا علاقة له بالحقيقة القرآنية التي تؤكد على وحدة الدين والرسالة، قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾[1] والإسلام بمعناه القرآني هو رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء منذ عصر آدم وحتى عصر محمد ﷺ، أما محاولة طرح مفهوم وحدة الأديان التوراتي تحت مسمى وحدة الدين، بأسلوب التدليس تارة والعلمانية والمساواة بين الأديان تارة أخرى، فهو محاولة رخيصة مزيفة لجمع النسخ المحرفة والمزيفة مع النسخة النقية الأصيلة والصافية من رسالة التوحيد، وهو تشويه وتضييع للرسالة الخالدة التي بعثها الله تعالى إلى الناس كافة في نسختها الخاتمة، ألا وهي كتابه المبين (القرآن الكريم) الذي تكفل بحفظه وبقائه في شكله وصورته التي أُنزِلت، والحفاظ على صحته المطلقة ومفاهيمه المنيرة الصافية ليكون هدى ونورا ورسالة الله الصالحة لكل زمان ومكان.

---

[1] سورة آل عمران/ ١٩.

أثر لغة القرآن في اللغات الأوربية

ابتداءاً وكما ذكرنا سابقاً فان العروبة في المنظور القرآني ليست قومية أو عرقاً معيناً، وان كان قد اصطلح على تسمية شعوب العالم العربي والقاطنين فيه بأنهم عرب. وانما العروبة هي كل شيء أصيل وصاف ورباني المنبع والانتماء، فالحكم العربي والطب العربي واللسان العربي والدين العربي هي مفاهيم وأشياء صدرت عن الله جل جلاله، حين خلق آدم (عليه السلام) وعلّمه الأسماء كلها، وبعثه نبياً بعقيدة التوحيد الى نسله من بني آدم. ومن هنا تأتي الصلة بين لغة آدم الفطرية والربانية وبين لغة القرآن العربية. فلا تناقض ولا تعارض وفق هذا الفهم القرآني، في أن يكون الأوربي عربياً والأفريقي عربياً والآسيوي عربياً، ما دام منتمياً الى حضارة التوحيد الأصيلة ورسالة الوحي الصادق، التي جاء بها الأنبياء والمرسلون (عليهم السلام) في عصور الأنبياء وتاريخهم. ذلك التاريخ المجيد الذي قصه القرآن علينا والذي رفع لواءه الأنبياء، وما دام الناس يؤمنون ويشعرون بوحدة الأصل البشري واللغوي والديني، مهما تعددت الأعراق والقوميات والأديان والمذاهب والحضارات، اذا كان أصلها واحد هو أدم ولغته وعقيدته، وموجدها واحد، وهو الله سبحانه.

عروبة اللغات الأوربية

تعد اللغة اللاتينية أم اللغات الأوربية، لاسيما اللغات الأربع المشهورة، وهي الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية. وهناك من العلماء من يصنف اللغتين الانكليزية والألمانية على أنها تعود الى مجموعة اللغات الانكلوسكسونية، لكننا هنا سنفترض الأصل اللاتيني لمعظم اللغات الأوربية المعروفة، نظراً للتشابه الكبير فيما بينها، وتماشياً مع أطروحة الأصل اللغوي الواحد لجميع اللغات البشرية القديمة والحديثة ورجوعها الى لغة آدم أبي البشر. يمكن للدارس أن

يلتمس عروبة اللغة اللاتينية من خلال المفردات الكثيرة ذات الأصل العربي التي سيتم عرضها في الفقرات التالية، ومن خلال مصادر أخرى عديدة[1]، ويمكننا أن نستنتج الفكرة المتسقة مع أطروحة وحدة الأصل البشري القرآنية، وذلك بالتأمل في أطروحة أن اللاتين هم شعب أو مجموعة شعوب عروبية نزحت من منطقة أو مناطق عربية في فترات تاريخية قديمة، كما يمكن لنا أن نستنتج –كنتيجة لتلك الأطروحة– أنهم جزء من العرب البائدة التي ازدهرت في التاريخ القديم.

كما نلاحظ أن هناك تأثيراً كبيراً في تطوير الألفاظ ومعانيها، وذلك لبعد الزمان والمكان واختلاف الثقافات للشعوب والأمم التي شكّلت الحضارة الإنسانية في تاريخها الغابر. وكذلك نلمس تأثير اللغات الأخرى التي احتكوا بها في تاريخهم الطويل، والتي يفترض أن يكونوا قد اخذوها منهم. كما ينبغي أن لا ننسى الركام الضخم من الكلمات الأدبية والفلسفية والتكنولوجية التي أضيفت إلى الفرنسية منذ عصر النهضة، وخاصة الكلمات العلمية، وهي –في معظمها– كلمات اغريقية زحفت على الكلمات اللاتينية القديمة.

وهناك ملاحظات يمكن أن نلمسها خلال متابعتنا للأصول اللغوية للغة اللاتينية القديمة واللغة الفرنسية (والتي هي ابنتها أصلاً) فنجد حين نتفحص الكلمات اللاتينية والفرنسية المرادفة لها، أن الفرق في الألفاظ والمعاني بين الفرنسية واللاتينية هي – في كثير من الأحيان – أكثر وأكبر من مثيلاتها بين اللاتينية والعربية، وأ ن الفروق تقل كثيراً بين الكلمات الفرنسية ذات الأصل العربي المباشر، كما يحددها القاموس والمعجم الفرنسي لاروس larousse وبين أصولها العربية[2].

---

[1] انظر كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

[2] انظر كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

الأدوات والبادئات اللغوية

١- إن أداة التعريف في الفرنسية هي (LE) للمذكر، (LA) للمؤنث، وفي الايطالية (IL) للمذكر وفي الاسبانية (EL)، واللغات الثلاث هن بنات اللغة اللاتينية أم اللغات الأوربية.

ونرى أن هذه الصيغة وأدوات التعريف في هذه اللغات الأوربية هي نفسها أداة التعريف في العربية (أل)، فنرى أن (LE) الفرنسية مثلاً هي مقلوبة عنها. وعليه يمكن الاستنتاج -بدون تردد- بأن (LE) و(LA) الفرنسية هما متحدرتان من (أل) العربية مع قلب لفظها. وكذلك حين نتفحص أداة التعريف الإنكليزية (THE) نجد أنها جاءت من كلمة الاشارة (ذا) و(هذا).. وكذلك الكلمات (THAT) و(THIS) و(THOSE) و(THESE) كلّها منحدرة من أدوات الاشارة المعروفة: هذا وذاك وتلك وذلك، والأصل في الاقتباس من العربية إلى الإنكليزية أن (THE) أصلها (ذا).

١- إن أداة التنكير في الفرنسية(UN) للمذكر، و(UNE) للمؤنث، وفي الإنكليزية (AN)، نجد أ نها نفس التنوين العربية، التي تمثّلها نون التنوين، انتقلت من آخر الكلمة العربية إلى أولها في الفرنسية والإنكليزية.

٢- تستخدم أداة الإضافة(DE) لإضافة إسم إلى آخر في اللغة الفرنسية، ونجد في المندائية واللهجات اليمنية الجنوبية القديمة، أداة التعريف (أد) وتظهر أيضاً كأداة إضافة.

٣- إن اختلاف أداة التعريف أو التنكير في الفرنسية باختلاف جنس الاسم أو عدده، لا يوجد ما يماثله في العربية، وهو أمر عادي في تطور اللغات واستخداماتها المختلفة. حسب تطور الألفاظ والمعاني عبر الزمان والمكان وتغير الثقافات وظروف وآلية الاحتكاك باللغات الأخرى. أما اللغة اللاتينية فهي - كما نعلم - اللغة الأم لمعظم اللغات الأوربية، وانها تطورت واختلفت عن لغتها الأم (وهي العربية) أو بالأحرى اللغة الحنيفية الأصيلة، التي ورثت لغة آدم (عليه السلام)،

وتناغمت مع لغة القرآن. إن اللغة العربية الفصحى القديمة عمرها يمتد إلى ما قبل عصر إبراهيم، وقد ترقى إلى عصر الأنبياء الأوائل آدمٍ ونوح لاقترابها الكبير مع لغة آدم الأولى التي تكلّم بها في مكة، ولا نعلم تحديداً كم مضى من الزمن وكم تطاولت الأحقاب والقرون على انفصال اللغة اللاتينية عن أصلها العربي القديم، وقد بعد بها المكان وتنوعت الثقافات التي مرت بها. ثم انحدرت منها الفرنسية وبقية اللغات اللاتينية، فمن البديهي أن يكون هناك تطور بين الألسن واللهجات ويوجد اختلاف في تصريف الأفعال وفي طريقة التلفظ والكلام. إن مثل هذا الاختلاف موجود أيضاً بين اللهجات العربية القديمة، فمثلاً نجد في لهجة سبأ، أن العرب كانوا ينطقون الهاء كسابقة من أول الفعل المتعدي، مثل: أقام وأقعد.. تصبح هقام وهقعد. وفي اللهجات الأوسانية والمعينية والقتبانية والحضرية، كانوا في الغالب يضيفون السين، بينما في اللهجات العروبية الشمالية (عربية مكة والطائف وامتداداتها) تضاف الهمزة، كما في المثال: أقنى = سقنى = هقنى.

وفي السريانية تتحول الكاف في الكلمات العربِية إلى خاء، ففي كلمة (أكل) تصبح (أخل)، والأمر من هذا الفعل هو: خُل أو اخُل = كُل، وفي عامية العراق والشام (اُكُل).. وحين نلمس الاختلاف الكبير في تصريف الفعل بين السريانية وشقيقتها العربية العدنانية، يكون من البديهي ومن باب أولى، أن يوجد اختلاف في التصريف في الفرنسية أو الإيطالية وغيرها من اللغات اللاتينية.

٤- أما الضمائر بين العربية والفرنسية، فهناك اختلاف - وهو أمر طبيعي - وهناك ائتلاف، وهو ما يهمنا هنا في هذا المبحث.

ان الضمائر في المخاطب بقيت ثابتة في الفرنسية -TE-TU-TOI ومثلها نون المتكلم: NOUS. ويوجد في الفرنسية سين الغائب \ SINEN \ SES \ AS \ SON\ SE \ SOI بدلاً من هاء الغائب في العربية وهي موجودة في اللهجة الأوسانية العربية الجنوبية، ففي عبارة (أقنى سيده) تكون في الأوسانية (سقنى مراس) حيث تكون السين في (مراس) هي الضمير الغائب (مرء = سيد في

الأوسانية والسبئية، وهي مرء العربية تعني رجل). وقد ذكر الكاتب محمد عبد القادر بافقيه[1] عبارة (محرمس نعمن) والتي هي في اللهجة العربية العدنانية (الحجازية) تعني (محرمه نعمان) أي أن السين في (محرمس) هي في اللهجة الأوسانية بدل من هاء الغائب في اللهجة الحجازية. وذكر أيضاً (أبوس ودَّم بما سألس) أي (أبوه ودَّ بما سأله) في الحجازية، أي أن السين في (أبوس) هي ضمير الغائب، وهي بدل من هاء الغائب في عربية الحجاز، وكذلك السين في (سألس) هي ضمير الغائب بدلا من الهاء الحجازية. وهكذا يتضح أن السين كضمير للغائب في الفرنسية لها أصل في لهجة عربية جنوبية هي الأوسانية، وربما في لهجات عربية أخرى ليس لدينا مصادر عنها كالأوسانية، قد تكون سين الغائب الفرنسية انحدرت منها، بعد أن انتقلت إلى أول الكلمة في الفرنسية. كما سنجد سين الكسكسة في لهجة بكر وهوازن، التي كانت تستعمل ضمير مخاطب، ومثلها شين الكشكشة في لهجة بني أسد وربيعة التي تزيد الشين بعد الكاف المجرورة مثل : عليكيش، والكيش، بدل عليك وإليك الحجازية، وأما سين الكسكسة فهي إضافة السين بعد كاف المؤنث مثل: أعطيتكس، منكس، اليكس، بدل أعطيتك، منك، إليك.

٥- إن القواعد اللغوية النحوية تختلف باختلاف اللهجات العربية المختلفة، ومن البديهي ومن باب أولى، أن تختلف القواعد النحوية بين العربية واللغات الأوربية ومنها الفرنسية وبقية اللغات اللاتينية.

٦- أحياناً نجد ميم التمييم مثبتة في بعض الكلمات اللاتينية والفرنسية، كما سيظهر في الفقرات اللاحقة. وهو أمر موجود في الكلمات السبئية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى، ويذكر عبد القادر بافقيه من الكلمات السبئية (محرثاتمهمو) وهي مركبة من الضمير (همو) مضافاً إلى (محرثاتم) التي هي في الحجاز المحرثات، أي أن الميم هي ميم التمييم، التي هي بدل من نون

[1] انظر كتاب: تاريخ اليمن القديم/ محمد عبد القادر بافقيه، ص ٢٣.

التنوين الحجازية، وهي جمع (محرثة) بمعنى مزرعة، ونلاحظ أن ميم التمييم ثبّتت في آخر الكلمة (محرثات) ثم أضيف اليها ضمير الغائب (همو) فصارت (محرثاتمهمو).

٧- أما علاقة نون التنوين المثبتة في بعض الكلمات اللاتينية والفرنسية بأصلها العروبي[١]، فيمكن أن نأخذ الكلمة السبئية (شعوبنهن)، وهي آتيه من كلمة (شعبن) التي توجب من السياق أن تكون قراءتها (شعوب) وهي (شعوبن) حيث النون هي نون تنوين التعريف في السبئية. ويلاحظ هنا أيضاً أن نون التنوين التعريفية ثبتت في آخر الكلمة ثم أضيف اليها ضمير الجمع الغائب (هن) فصارت (شعوبنهن).

٨- لا توجد الحروف العربية الحنيفية المتحدّرة من لغة آدم، في اللغة الفرنسية كما في معظم اللغات الأوربية، وهي طقم الحروف الكاملة (الحلقية واللسانية) والتي وجدت في مكة المكرمة وتعلمها آدم حين تعلم الأسماء كلها، والحروف المفقودة في اللغات الأوربية هي: (ح ع ق ث خ ذ ض ظ ص غ) الموجودة مع بقية الطقم الذهبي في اللغة العربية، وفي نفس الوقت هناك حروف أخرى لا وجود لها في عربية الحجاز بالشكل الموجود في اللغات اللاتينية ومنها الفرنسية، وهي (E, G, O, P, U, V) وهذا الاختلاف في حروف اللغة وارد الحدوث في أية لغة أخرى، عندما تترك شفوية مرسلة لتتطور عبر الزمان والمكان أو بتغير الثقافات، ومثل هذا موجود في اللهجات العروبية، ففي المندائية مثلاً لا توجد الحروف (ث، خ، ذ، ض، ظ، ع) كما أن الحاء تكتب وتلفظ هاء، والعين تكتب وتلفظ همزة[٢].

ونرى ظاهرة زوال بعض الحروف في اللهجات العربية العامية أيضاً، لاسيما حرف القاف والجيم والثاء.. حيث أبدلت بحروف أخرى، ففي عامية الشام زالت

---

[١] انظر للتفصيل كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث.

[٢] انظر للتفصيل كتاب: اللغة الفرنسية لغة عروبية/ محمود عبد الرؤوف القاسم.

الحروف (ث، ذ، ظ، ق) فصارت الثاء سيناً والذال زاياً والظاء زاياً مفخّمة والقاف همزة. وفي عامية الحجاز ونجد واليمن.. وغيرها زال حرف الضاد وصار يلفظ ظاء والجيم يلفظ مفخماً كالجيم المصرية (G).

ان ظاهرة زوال بعض الحروف الحلقية من اللغات اللاتينية -ومنها الفرنسية- هو أمر وارد الحدوث، بسبب تأثير المكان والزمان والثقافة على نشوء وتطور اللغات، إضافة إلى سبب مهم آخر، هو تأثير البيئة المكانية والمناخية على اللسان والقدرة الطبيعية على نطق بعض الحروف، حيث ثبت علمياً أن القدرة على نطق جميع الحروف الحلقية للإنسان على الأرض تتأثر، من حيث نوع الحروف وعددها، بالابتعاد عن مركز اليابسة ومركزة القوة المغناطيسية الأرضية، التي تتمركز في مكة وما حولها من أرض الجزيرة. وهذا الأمر ينطبق على أوربا، كما ينطبق على أقاصي آسيا وأفريقيا، في الهند والصين واليابان والحبشة ودول أفريقيا الوسطى والجنوبية. ويعد ذلك أحد المؤثرات على النبرة الصوتية للشعوب التي تقطن في أماكن مختلفة وبعيداً عن مركز القشرة الأرضية وموطن لغة آدم في مكة.

٩- يمكن أن نأخذ أمثلة على تطور الأسماء والألفاظ. وهي نماذج من أسماء الأنبياء والملائكة وبعض المفردات الدينية التي وجدت منذ عصر آدم (عليه السلام):

مثل اسم النبي (يحيى) أوٍ يوحنا وكيف تطور اللفظ إلى جون ثم إلى خوان عبر سلسلة من الألفاظ ابتداءاً من موطنه في المشرق وحتى أفريقيا وأوربا:

يحيى = يوحنا = جان = جوان = خوان = يان.

وكذلك اسم النبي إسماعِيل:

إسماعيل = صمؤيل، شميل.. واسماعين = شمعون.

وإبراهيم = ابراهام وابرام وابراهما وأبرهة وبرهم.

وإسحاق = ايزاك وهو اضحاك أو الضحاك في عربية قريش.

ويوسف = جوزيف، ويعقوب = جاكوب، هاكوب.

وموسى = موشي وبوذا، ويونس = جونس، جون.

وداود =دافيد وديفد ..وسليمان = شلمنصر = سليمان الناصر.
وكذلك عيسى = جيسس. ومريم = ماريا.
ومحمد = مهمد، الفارقليط، الباركليت (الكثير الحمد، أحمد).
وجبرائيل = غابريل.. وميكائيل = ميخائيل وميخا ومايكل.
وإسرائيل، بني إسرائيل= اشرائيل بني= آشور بني إيل= آشور بني بال
والله = ئيل وكود وخدا وذو الجد.
ونوح = نوه.. وادريس = هرمس وأخنوخ.
وآدم = آدم من أديم الأرض أي ترابها
وحواء = ايف، والاسم جاء من (احتواء) الذرية ومن جذر حوى حاوية.
هكذا باقي الأسماء الشريفة.

ان عملية تغير الأسماء وتبدل الحروف في الاسماء والمفردات اللغوية والأعلام وردت في القرآن الكريم، وهو يتحدث عن أقدس اسم وأول بيت وضع للناس، انها بكة التي أصبحت مكة بنص القرآن، وهي إشارة إلى إمكانية تبديل الباء بالميم في بعض أسماء المدن والقرى والأماكن والأعلام فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم. ونجد تطبيق هذه الظاهرة اللغوية في أسماء عديدة، كموسى وبوذا، ومصر وبصرى وبصرة، وبغداد وبغدان ومغدان، ومكان وبكان.. وهكذا.

أدوات التعريف العربية

إن أدوات التعريف في اللغة العربية وحسب لهجاتها العديدة، هي على عدة أشكال، وأشهرها (أل) التعريف في بداية الكلمة (الاسم) - كما هو معروف - في عربية الحجاز أو عربية قريش العدنانية. وتستخدم بعض اللهجات في قبائل سبأ وحمير وغيرها، أداة تعريف أخرى هي (ام) وبعض اللهجات الأخرى تستخدم (التنوين) للتعريف بالكلمة. وهناك لهجات أخرى -كالسريانية- تستخدم الهمزة في آخر الكلمة. أما أدوات التنكير في اللهجات العربية فهي (نون التنوين أو ميم التمييم) حسب اللهجة المستخدمة.

وفي الحديث النبوي المشهور الذي يشير إلى أداة التعريف اليمنية (ام) ما يوضح الصورة، ويعد شاهداً على تلك الأدوات التعريفية، حينما أتى النبي ﷺ رجل من اليمن يسأله ويستفتيه بلهجته اليمنية، فقال للنبي ﷺ: هل من ام برم ام صيامن فيم سفر؟.. فأجابه النبي العربي ﷺ بنفس لهجته، فقال: ليس من ام برم ام صيامن فيم سفر.

اي: هل البر الصيام في السفر؟.

والجواب هو: ليس من البر الصيام في السفر..

وذلك يعني أن القبائل اليمنية كانت تبدل الميم بدل حرف اللام الموجود ب (أل) التعريف، والهمزة بالكسر (إم) بدل الهمزة بالفتح. . فكانوا يقولون: (إم ليل) بمعنى (الليل) و(إم شمس) بمعنى الشمس.

وللتعرف على تعدد اللهجات بين قبائل العرب، وتسليط الضوء على هذا الموضوع، نستأنس ببعض ما جاء في كتب الأدب والتراث العربي. يروى أن أحد شيوخ قبائل نجد، كان قد استعجم بعض الألفاظ القرآنية ولم يتصور عروبتها، وهي الكلمات القرآنية: يزدري، وكبارا، وعجاب، وكان هذا الشيخ حاضراً في مجلس النبي ﷺ في المسجد النبوي، وقُدِّر أن جاء أعرابي تقدم به العمر إلى المجلس، فقال له النبي: اجلس، فجلس، ثم قال له قم، فقام، وكرر النبي أمره له بالجلوس والقيام عدة مرات، فثارت ثائرة الأعرابي وقال بسليقته

العربية: يا رسول الله أتزدري بي وأنا من كبار قوم؟.. إن هذا لأمر عجاب؟!..

فتعجب الشيخ النجدي من كلام الأعرابي وكأنه في قلبه، ويجيبه على ما استشكل من كلمات سمعها في القرآن. وبغض النظر عن درجة صحة هذا الحديث، فانه يشير إلي وجود بعض الألفاظ القرآنية، التي قد لا يفهمها عرب القبائل الأخرى، وتبعاً للهجات المتداولة في أنحاء الجزيرة. ومن هنا جاءت القراءات والأحرف القرآنية التي نزل بها القرآن، لكي يفهمه جميع العرب الأقحاحٍ وأصحابِ اللهجات العربية الفصيحة، التي أجاز النبي أن يقرأ القرآن بها تيسيراً وتسهيلاً وإدراكاً لمعانيه الجامعة، وبحسب اللهجات والقراءات التي كانت موجودة لدى القبائل والغنية بالمعاني والدلالات اللغوية.. وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه[1]. وعند مسلم من حديث أُبيٍّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: إن ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فأرسل إليَّ أن اقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فأرسل إلي أن اقرأه على سبعة أحرف.

والجدير بالذكر أن من الأمور المتفق عليها في علم اللسانيات ودراسة اللغات العروبية الحنيفية، إن اللغة العربية العدنانية هي أخت اللغات العروبية الأخرى، التي كانت في الأصل لغة واحدة، وهي التي اصطلحنا عليها باللغة الحنيفية الإبراهيمية، ثم تفرعت الى لغات عديدة، بسبب تعدد القبائل والأقوام أو تباعدها المكاني عن بعضها بالنسبة لذلك الزمن، وبسبب الهجرات العديدة التي انطلقت من الجزيرة إلى خارجها.

وقد اصطلح التوراتيون والغربيون تسمية تلك اللغات بـ (اللغات السامية)، كما اصطلح البعض الآخر من العلماء واللغويين على تسمية هذة اللغات الأخوات بـ (اللغات العروبية) وهي: العدنانية والأكدية (ومنها البابلية والآشورية) والآرامية (والأصح الإرمية) والفينيقية (والأصح الكنعانية) والسبئية والحميرية والثمودية

[1] رواه البخاري ومسلم.

والأوسانية والمندائية والمهرية، وغيرها من اللغات واللهجات التي عاشت أقوامها في الشرق العربي منذ عصر إبراهيم حتى عصر المسيح وما بعده.
وبالنسبة للقبائل العربية في الجزيرة، فقد كانت القبيلة العربية عندما تبتعد عن أخواتها، بسبب ما يحصل من تغيرات مع الزمن ومن تعاقب الأجيال. ينتج عنه بعض التطور والتغير في ألفاظ بعض الكلمات أو في معانيها، وكلما طال الزمن وتعاقبت الأجيال كلما ازدادت التغيرات في الألفاظ والمعاني عدداً وعمقاً.
إن وجوه التغير الأساسية في الألفاظ والمفردات يمكن حصرها بـ:

١- الابدال: قيام حروف بعضها مقام بعض.
٢- الحذف: حذف حرف أو أكثر من الكلمة.
٣- الإضافة: إضافة حرف أو أكثر إلى الكلمة.

ووجوه التغيِّر هذه تشمل الحروف الصامتة، وحروف المد الصائتة (الألف والواو والياء) وكذلك الحركات (رفع ونصب وجر) إضافة إلى الجزم.
وتوجد ظواهر لغوية في اللهجات العربية ينبغي الالتفات اليها، لفهم تطور باقي اللغات القديمة وعلاقة تطورها باللغة العربية، ومنها العجعجة والعنعنة والكشكشة والكسكسة، ويصفها العرب باسم القبيلة التي تستخدمها، كعجعجة قضاعة، الذين يحولون الياء إلى جيم مثل: علج بدلا من علي، والعشج (أي العشي). ويحولون الجيم إلى ياء أيضاً. وعنعنة تميم، حيث يجعلون الهمزة عيناً، مثل: أن يجعلونه (عن يجعلونه) وقرآن يلفظونها (قرعان). كما يبدلون اللام بالنون في (لعنك بدلاً من لعلك). أما الكسكسة والكشكشة فقد سبق الاشارة اليها في الفقرة السابقة، صفحة ١٢٢.
لقد كانت القبائل العربية، لاسيما قبائل شمال الجزيرة تتكلم العربية بلهجات متباينة، فيها: الفصيح المقبول والوحشي المرذول، وذلك بتأثير التحضر والبداوة، فسكان الحواضر كانوا يتكلمون بلهجات رقيقة لطيفة، وأهل البوادي اتسمت لهجاتهم بالخشونة والجفاوة، ويؤكد الباقوري في كتابه (أثر القرآن في اللغة

العربية) فيقول: إن لهجات بعض القبائل تميزت بسمات معينة مثل (الكشكشة) لدى (أسد وهوزن) و(الكسكسة) عند (ربيعة ومضر)، و(الفحفحة) في لهجة (هذيل). أما (العنعنة) فهي من نصيب (قيس وتميم)[١]. ومن القبائل من يبدل العين واللامِ في (لعلك) بهمزة ونون، فتصير (لأنك) أو بعين معجمة ونون، فتصير (لعنك)، وقبيلة تيم الله تجعلها (رعنك) بابدال اللام الأولى براء والثانية بنون. وهناك من القبائل العربية من يحول القاف غيناً والعكس أيضاً مثل: استغفر الله = استقفر الله، وغائب = قائب، وغلط = قلط، وكذلك قلم = غلم، وقبر غبر. وبعض القبائل –ومنها بعض اللهجات العامية الحالية في مصر والشام– تحول القاف إلى همزة، مثل (قوي) إلى (أوي) و(قلت لك) إلى (ألت لك). وقد تحول القاف إلى غين معجمة كـ (فغير) و(برتغال) و(غميص) و(غمر).

والبعضِ يحول الجيم إلى ياء، كما في لهجات دول الخليج مثل: رجل ورجال = ريل وريال، ودجاجة = دياية.

وقد يحولون السين إلى شين أو العكس أيضاً، كـ (سمس) و (شمش) و (سمسم) و (شمشم) و (شجر) و (سجر). وكذلك الأمر في اللهجات السبئية والمندائية والسريانية (الآرامية) وغيرها. ولما كان هذا التبديل يجري في اللغة العربية وبين لهجات قبائلها المختلفة، وفي انزلاقها إلى العامية أيضاً، وبينها وبين أخواتها اللغات العروبية العديدة. إذن من البديهي أن يحصل مثل هذا التبديل في انزلاق الكلمات من العربية إلى اللاتينية والفرنسية والإنكليزية، وكذا من انزلاق اللاتينية إلى الفرنسية. وتلك قاعدة عامة تحكم تطور اللغات وتجري في كل لغات العالم قديماً وحديثاً، وهي سنة من سنن الله في لغة الإنسان، التي بدأت توقيفية ربانية وأصبحت اجتهادية متطورة متفاعلة، فيما بينها، وبين اللغات المحيطة بها،

---

[١] انظر كتاب: أثر القرآن في اللغة العربية/ أحمد حسن الباقوري، صفحة ٣٧.

ومتأثرة بالمحيط الزماني والمكاني والثقافي الذي يؤثر على نشاط الإنسان ولغته ما دام يقوم بدوره الحضاري على الأرض.

أن ظاهرة وجود حروف في العربية لا وجود لها في الفرنسية وأمها اللاتينة، يحتّم تبديل أو حذف هذه الحروف، في انتقال الكلمة من العربية إلى الفرنسية، سواء عبر اللاتينية أم عبر غيرها. ومن خلال الدراسات الأحصائية للكلمات الفرنسية ذات الأصل العربي، فانه غالباً ما ينقلب الحرف (خ) إلى (X)، كما قد ينقلب إلى (ك).. والحرف (ع) ينقلب إلى همزة أو قد يحذف، إن كان في أول الكلمة، وقد يقلب إلى مد (u) أو يحذف وقد يستبدل بحرف أخر، فيما اذا كان في وسطها أو آخرها. أما الحرف (غ) فيستبدل غالباً ب (g أو r). والحرف (ق) ينقلب غالبا إلى (ك) بأنواعها الفرنسية G, C، K أو إلى (G). أما الحروف العربية الأخرى الموجودة في الفرنسية أو اللاتينية، فان تبدلها ممكن لكنه غير الزامي. وغالباً ما ينقلب اللام إلى راء والراء إلى لام وكذلك اللام نوناً.. إلى آخره.[١].

التنوين والتمييم

التنوين هو إضافة نون ساكنة إلى آخر الاسم المجرد من (أل) التعريف، مثل: رجلٌ = رجلن، وبطلن ورطبن ويابسن. أما حين تدخل النون على الفعل فتسمى نون التوكيد، وهي نوعان الخفيفة (الساكنة) والثقيلة (المشددة). مثل: أعلمن، وأسمعن، وأدرسن، وهذه النون مستخدمة في عامية العراق، لا سيما في جنوبه. أما التمييم، فهو يقابل التنوين في لغة سبأ وجاراتها الجنوبية وفي اللغة الأكدية وغيرها، وهو إضافة الميم إلى آخر الاسم، مثل: مرثدم (مرثد) ذو حظرم (ذو حظر)، بنو حضنم (بنو حضن).

ومن الظواهر التي نجدها في اللهجات العربية الجنوبية لاسيما السبئية، إضافة الهاء إلى الفعل بعد حرف المضارع، مثل: يهنعم (ينعم)، يهرعش (يرعش)،

---

[١] انظر للتوسع: اللغة الفرنسية لغة عروبية/ محمود القاسم، المقدمة.

يهأمن (يأمن)، يهصدق (يصدق).. وذلك لأن ماضيها هو: هنعم، هرعش، وما بقى من تلك الظاهرة في العربية المعاصرة يهريق (يريق) وهو ما يزال يستخدم حتى الآن. وقد تضاف التاء في بعض اللهجات مثل: يمنت من يمن وشامت من شام وهكذا.

ومن البديهي أن يحصل مثل ذلك (أي انتقال الظاهرة) في اللاتينية والفرنسية كما في كل لغات العالم. إن أكثر الحروف التي تقحم على الكلمة العربية في اللاتينية والفرنسية والإنكليزية: هي التاء والنون ثم الميم ثم (P) في أول الكلمة اللاتينية، ثم باقي الحروف الأخرى[1].

إن غالبية الكلمات التي تضاف إليها حروف النون، هي في الواقع كانت تنويناً في الأصل العروبي إن كانت الإضافة في الأسماء، ونون التأنيث (النسوة) أو نون التوكيد إن كانت في الأفعال، وكذلك حروف الميم غالباً ما يكون أصلها تمييماً، وقد كانت بعض اللهجات التي تستعمل التمييم للتنكير، وكانت تستعمل التنوين للتعريف بدلاً من (أل). أما حرف التاء المضافة إلى الأفعال فغالباً ما تكون في الأصل العروبي تاء التأنيث الساكنة، والمضافة إلى الأسماء تكون تاء التأنيث المربوطة، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك سنأتي على ذكرها لاحقاً. ومن

الظواهر اللغوية الأخرى في أثر اللغة العربية في اللغات الأوربية وتطور اللغات، هي تغير موقع حرف أو أكثر في الكلمة الواحدة، ومن الأمثلة على تلك الظاهرة في اللغة العربية ما يلي:

جذب = جبذ، حصب = بحص، قفز = فقس، لف = فل، فزر = فرز، غرب = غبر، أمعن = أنعم، لبك = بكل، عاقر = راقع، الصاعقة = الصاقعة، ملعقة = معلقة، بوش = وشب، أوباش = أبواش = أوشاب، تسكع = تكسع، صر =

---

[1] انظر فصل: مفردات الحداثة والتقانة في اللغات الأوربية ذات الأصل العربي في صفحة ١٧١. وكتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث- الأردن.

رص، غفا = فغا، جاث = ثاج، مسك = كمش، فردة = درفة، سجد = جسد، رفرف = فرفر، عربون = رعبون، لقب = لبق، حدق = دحق... الخ.
ونماذج أخرى من السبئية وأخواتها:
بارك (عربية قريش) = كرب (سبئية وحميرية) ومنها اسم الملك معدي كرب = هبني بارك.
حرس (قريش) = شرح (سبئية). ومن المندائية، ترك (قريش) = كتر (مندائية) شتم (ع) = شمت (م)، كتف (ع) = كفت (م)، رجز (ع) = زحر (م) قرطاس (ع) = قرصتا (م)، برك (ع) = ربك (م)، رس (ع) = راز (م)....
إن سبب هذا الاختلاف في الألفاظ هو اختلاف مناطق القبائل والأقوام، فمن البديهي في باقي اللغات أن يوجد مثل هذا التبديل في مواضيع الحروف من الكلمة في كل لغات العالم، عندما يتطاول الزمان ويتبدل المكان وتتغير الثقافة، ان اختلاف اللسان سنة كونية كاختلاف الألوان والأجناس. ولعلنا نحاول أن نأخذ مثلاً من خارج اللغات الأوربية، مثل كلمة بيتاك (سنسكريتية هندية) = كتاب (عربية) والكلمة مقلوب كلمة كتاب، ولها شبه بكلمة بوك book الإنكليزية، كما انها كلمة (بطاقة) ذاتها، مما يدل على أن أصل اللغة البشرية واحد سواء في الشرق أم الغرب، كما في كلمة بابا وماما التي تشترك فيهما كل لغات العالم، ويدل أن التداخل في اللغات هو الأصل والقاعدة التي تحكم تطور اللغات، وليس الاستقلال والانفصال، كما يدعي أصحاب نظريات نقاء العرق واللغة من دعاة العنصرية والفوقية والشوفينية في حضارة الغرب اليوم.

تطور المعاني والدلالات اللغوية

عند انتقال الكلمات من العربية الى اللغة اللاتينية، قد يتغير المعنى وتتغير دلالة الكلمة، وفي الحالات المحتملة التالية:

- بقاء المعنى ثابتاً دون زيادة أو نقصان.
- انتقال المعنى من التعميم إلى التخصيص.
- انتقال المعنى من التخصيص إلى التعميم.
- احتفاظ الكلمة الفرنسية أو اللاتينية بإحد المعاني التي تدل عليها الكلمة العربية (اذا كانت متعددة المعاني).
- انعكاس المعنى، فقد تأخذ الكلمة في اللاتينية أو الفرنسية معنى، هو عكس معناها في اللغة العربية، وهذه الحالة تشير إلى صورة من صور ثبات المعنى، وهي (الصورة السالبة) لثبات معنى الكلمة، وذلك للاسباب أدناه:
- سهولة التعرف فيها على أصل الكلمة وسرعته.
- إن حالة عكس المعنى لها أمثلة في اللغة العربية ولهجاتها العديدة.

حيث توجد كلمات كثيرة تحمل المعنيين المتعاكسين (الأضداد) ويعلل علماء اللغة أن السبب في ذلك هو انعكاس مدلول الكلمات بين قبيلة وأخرى، أو بين بلد وآخر. ومنها كلمة (بصير) التي تعني المبصر والأعمى في آن واحد، وكلمة (الطهارة) التي تعنيٍ معنيين متعاكسين وكلمة(حنيفية) التي تعني الاستقامة وتعني الميل ايضاً، وغيرها من الأمثلة.

- وجود كلمات سبئية كثيرة ذات مدلولات تعاكس مدلولاتها في عربية الحجاز.
- تقارب ايحاء المعنى في الأضداد في تداعي الأفكار في الذهن والعقل البشري، فمثلا كلمة: وفاة = حياة. . نور = ظلمة. . حار = بارد. . أبيض = أسود. .قوي = ضعيف. وهكذا فإن وجود الكلمات المتعاكسة المعنى (الأضداد) هي من أسباب تطور اللغات وتفاعلها وتأثرها وتأثيرها[1].

---

[1] انظر كتاب: اللغة الفرنسية لغة عروبية، ص ١٥٠.

ونستطيع أن نجد أمثلة كثيرة على تغير المعاني في اللغة العربية. ويقول الباحثون أن سبب تعدد المعاني للكلمة الواحدة، هو اختلاف القبائل والأماكن وتغير الثقافة والدين. والجدير بالذكر أن اللغة العربية هي أغنى لغات العالم بالمترادفات والمعاني العديدة للكلمة الواحدة.

مميزات اللهجات العروبية مقارنة مع اللغات الأوربية

١- كثرة المرادفات: ويمكن أن نتلمس تلك الميزة في الأمثلة التالية:

- السيف: من أسمائه: الصمصام، الهندي، المهند، الحسام، القاطع، البتار..
- الأسد: من أسمائه: الباسل، الخطار، الضرغام، الليث.
- نظر: في معناها: رمق، رنا، لمح، لحظ، حدق، شغن، بصر..

وغيرها، ولكن مع ذلك نجد أن كلاً منها يعبر عن حالة خاصة للنظر تختلف عن الحالات التي تدل عليها الألفاظ الأخرى.

فرمق تدل على النظر بمجامع العين، ولحظ تدل على النظر من جانب الأذن، ولمح تدل على النظر السريع والخاطف، وحدقه تعني رماه ببصره مع حدّة، وشغن تدل على نظر المتعجب الكاره، ورنا تدل على إدامة النظر في سكون[١].

٢- تعدد أساليب النحو في العربيات وخاصة التقديم والتأخير، ففي الآرامية سلما نصر، تعني في العدنانية نصر السلم، حيث الألف بكلمة سلما هي أداة تعريف آرامية(سريانية)، وكذا (جملين مكسا جبي) تعني (جبى مكوس الجمال) في العدنانية. كما دخلت هذه الأداة (أداة التعريف العربية الآرامية التي دخلت أيضاً على الآشورية المتأخرة) وهي الألف بآخر الكلمة إلى اللهجة العربية العدنانية التي نتكلمها، وكأمثلة على ذلك: نمت بدوما، ومررت بحرستا، وسبحت ببردا (بردى)، ولا نقول نمت بالدوما ومررت بالحرستا سبحت بالبردا، بينما نقول

---

[١] انظر: فقه اللغة/ للثعالبي، والمخصص/ لابن سيده، عن علي وافي/ فقه اللغة ص ١٧٤.

نمت بالقاهرة أو الموصل ومررت بالروضة أو البستان، وسبحت بالنيل أو الفرات. فقد احترمت العدنانية أختها الآرامية واستعملت أداتها لتعريف (دوما وحرستا) وهي أسماء مدن قرب دمشق، وبردى هو نهر دمشق الشهير، وتعني دوما: الدوام، وحرستا: الحراسة، وبردى: البرد.

٣- الجذور الثنائية والثلاثية للكلمات التي حافظت على اللهجات العروبية الحنيفية، والتي تفتقر إليها المفردات اللاتينية والجرمانية الحديثة، حيث اقتربت من اللغات الملصقة بدلاً من المتصرفة. إن تمتع اللغات الحنيفية بأسلوب للصرف، يكاد يندر في أكثر اللغات العالمية المنتشرة الآن، رغم تأثرها الكبير في الأصل باللهجات العروبية. ولذلك فإن المجال التصنيفي لعلم اللغات (اللسانيات) الحديث سيجد مرتعاً سهلاً ومنهلاً خصباً في أرضية (اللهجات العربيات) لسعة المادة، وهي بحاجة إلى من يعمل بها فأكثرها مليء واستوفى دراسته من قبل علمائنا وفقهائنا الأوائل، وإنما يحتاج إلى التصنيف ليس إلا[١].

ونذكر أمثلة على تعدد المعاني للكلمة:

هل = فد (لغة قريش) = حرف استفهام في غيرها.

شحط = ملأ (الاناء) = سبق وتباعد = لدغ (العقرب) = ذبح (الجمل).

فرش = بسط (الشيء) = كشف (الأمر) = رفرف (الطائر).

فطحل= السيل العظيم= ضخم (الجمل)= زمن قديم جداً. وفطاحل العلماء، كبارهم.

وكذلك نذكر أمثلة على الكلمات التي لها معان متضادة.

شعب = جمع، فرق.. قعد = جلس، قام

أضب = سكت، تكلم.. غبر = مضى، مكث

المعن = الطويل، القصير، وكذلك الكثير، القليل.

ذربت المعدة = فسدت، صلحت..

عزر = بجل وعظم، أدب وضرب، ومنها التعزيرفي الشريعة الإسلامية.

---

[١] حضارة واحدة أم حضارات/ د. محمد بهجت قبيسي.

باقَ = ظهر، غاب.. باكَ = باع، اشترى.. صعب = قرب، بعد.. السدفة = النور، الظلمة.. أفزع = أخاف، أزال الخوف.. المفزع = الجبان، الشجاع.. الطاعم = الكريم، البخيل.. مزع = أبطأ، هرب بسرعة.. زعل = نشط، ضجر.. الشوهاء = القبيحة، الجميلة.. الصرد = القوي على البرد. الضعيف على البرد.. البسل = الحلال، الحرام.

ومن الأمثلة على تغيير المعاني بسبب الثقافة والدين:

- الصلاة = الدعاء والتسبيح ←——— الصلاة الإسلامية

(انتقال المعنى من التعميم إلى التخصيص).

- الصيام = إلامساك عن الفعل ←——— الصيام الإسلامي

(انتقال المعنى من التعميم إلى التخصيص).

- الحج = القصد، القدوم ←——— الحج الإسلامي.
- الجهاد = الجهد والمدافعة ←——— الجهاد الإسلامي.
- العربي = مصدر نبع الماء الصافي، كل شيء مصدره الهي رباني ←——— كل مسلم في عصور الاسلام الأولى/ العصر الأموي والعباسي.
- التركي = الجنس التركي المعروف ←——— المسلم العثماني في نظر الأوربيين، ومنها القهوة التركية والحمام التركي والأكل التركي، التي تعني الآن في أوربا وأمريكا الشيء الإسلامي، بتغير الدلالة من الجنس والقومية إلى الدين والعقيدة.

وفي مجال المصطلح الحضاري يتغير معنى الكلمة أيضاً:

- باب (باب البيت) = باب (من أبواب الكتاب وفصوله).
- فصل (الحاجز بين شيئين) = فصل (من فصول الكتاب أو فصول السنة).
- جلد (جلد الحيوان) = جلد الكتاب.
- بحر (الماء المعروف) = بحر (من بحور الشعر)
- عقرب (حشرة) = عقرب الساعة.

وكذلك الكلمات التي ظهرت بعد الحداثة: سيارة، طيارة، غواصة، مدفع، سديم، تابع. ذرة، جزيئة، مذياع، مسجل، هاتف، حاسبة.. وهكذا بقية الكلمات التي انبعثت من التطور الثقافي والحضاري.

أما الأمثلة بين اللغات العروبية الحنيفية فمنها:

- وثب (عدنانية) = قعد (في الحِميرية والمندائية) انعكس المعنى.
- أدفأ (أسخن من البرد) = قتل (الحميرية).. وقد روي أن هذا التعاكس في المعنى، كان هو السبب المباشر في قتل مالك بن نويره في حروب الردة، حين كان أسيراً وطُلب من الحرس أن يدفّأه، فظن أن يقتله فقتله.
- لحم (من لحم الحيوان) = خبز (في السريانية) = خبز، طعام، لحم (في المندائية) مع تغير اللفظ، فأصبح (لخما) في السريانية، و(لهما، لهم) في المندائية، وربما منه جاءت لفظة (لهوم) العامية في العراق، وتعني ما يؤكل لهماً من خليط السمسم والجوز والسكر.
- دار = دوارا (في المندائية وهو ساكن الدار).
- جور = زنى، فحش (مندائية).
- ذُهل = دهل (مندائية أي خشي الله).
- صَبر = زبر (مندائية ومعناها تحمل واحتمل).
- فقرة = خرزة الظهر صارت تعني (جسد، بدن) في المندائية.
- فرع = في المندائية (فرا) معناها: فرع، برعم، أثمر ومنها (فيرا) = فرع، برعم، ثمر ويمكن الربط بين كلمة (فير) وكلمة (Fruit) الفرنسية وكذلك الإنكليزية كما أن كلمة (فرا) المندائية التي تعني (أثمر، برعم) يقابلها في العربية العدنانية كلمة (فرخ) وفروخ تقابل (Fruit). وأما (فرا) بمعنى (فرع) فيقابلها (فرع) ذاتها، ومنها فرع الشجرة وفرع العشِيرة وفرع الأصل.
- كراع = كرايا (مندائي)، وتعني (قدم)

ومن تلك الأمثلة الكثيرة نستنتج أن مثل هذه الاحتمالات والتغيير والتطوير في المبنى والمعنى هو من الأمور الواردة في اللاتينية والفرنسية وفي كل لغات

العالم، وذلك ما يمكن أن نلمسه في الأمثلة الكثيرة في الصلة بين العربية وبين باقي اللغات وأثر اللغة العربية في لغات العالم[1].

وهناك ملاحظة مهمة في مقارنة الفرنسية بالجذر العربي، هي أن الأفعال الفرنسية، سترد في الفقرة اللاحقة بصيغة المصدر في الغالب. وصيغة المصدر في الفرنسية تنتهي دائما بحرف الراء (R أو Re)، وهذه الراء المصدرية ليست من صميم الفعل، لذلك من البديهي أن لا نجدها في الأصل العروبي، والملاحظة نفسها في اللغة اللاتينية، حيث ينتهي المصدر براء ليست من صميم الفعل، كما نرى تلك الملاحظة في اللغة اليونانية الأغريقية بإضافة (US) للكلمة.

ونذكر أدناه قائمة من كلمات مختارة من المعجم الفرنسي لاروس Larousse ذات الأصل العربي، تصور لنا عمليِة تغيير المعنى لبعض الكلمات حين تنتقل من العربية إلى الفرنسية وكذلك تغير اللفظ:

- العصارة ⟵ Alizari أصبحت تعني (جذر القوة).
- قالب ⟵ Caliber أصبح معناها (عيار، قطر اسطوانة مفرغة، قطر الرصاصة)
- ديوان ⟵ Duane وأصبح معناها (الجمرك)
- زهر ⟵ Hazard وصار معناها (صدفة أو مخاطرة)
- سفر ⟵ Safari وأصبح معناها (رحلة قنص أو صيد) نزهة دغلية.
- مسخرة ⟵ Masque = قناع (من مسخ بعد حذف الراء والتاء).
- تمر ⟵ Tamaris = أثل (شجر، طرفاء، المن)
- شمل ⟵ Smala = عشيرة، أسرة كبيرة، قبيلة

---

[1] انظر كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

- صفر ⟵ Chiffre = رقم، عدد
- الحصان ⟵ Alezan = الحصان الأشقر، اللون الأشقر
- فرس ⟵ Hors = فرس، حصان
- بلد ⟵ Bled = بلِد، منطقة، وفي الإنكليزية:
- Belding = بناية، عمارة، تغير المعنى من التعميم إلى التخصيص.
- قنطار (١٠٠رطل) ⟵ Quintal = ١٠٠ كيلو غرام.
- ترجمان، ترجمة ⟵ Tournament = ممثل، لسان الحال.

أسماء دينية وتاريخية تبين الصلة بين العربية واللغات الأوربية

نأخذ أدناه أمثلة لأسماء دينية وتاريخية تبين الصلة بين العربية واللغات الأوربية:

حواءِ = EVE (حذفت الحاء وجوباً وتحولت إلى ما يشبه الهمزة، وتحولت الواو المشددة إلى VE، وحذفت الألف والهمزة).

آدم = ADAM (لم يتغير الاسم، وآدم من أديم الارض أي ترابها، كما جاء في القرآن والسنة أن خلق آدم (عليه السلام) من تراب).

عيسى = JESUS، مريم = MARI

يوشع = JOSE، يحيى = JEAN..

مسجد = MOSQUE، أمير البحر = AMIRAL

الخوارزمي= ALGORITHME،ابن سينا= AVICENNE

صلاح الدين = SALA DIN ، ابن رشد = AVERROES

ابن الصائغ = IBEN ALSAIRH، الجبر= ALGEBRA

الهيثم (ابن) = ALHAZEN ، ابن زهر = AVENZORA

القبط = EGYPTE ، القاهرة = LECAIRE

فلسطين= PALESTINE، أردن = JORDAN

دمشق = DAMAS ، تدمر PALMYRE

دجلة = TIGER ، فرسخ = PARSEC

وهناك ظواهر أخرى في تطور بعض الألفاظ أثناء انتقالها من لهجة إلى أخرى، وكذلك من اللغة اللاتينية إلى العربية، وهي ظاهرة اندماج أداة التعريف بالكلمة لتصبحا كلمة واحدة تحتاج من جديد إلى أداة تعريف. مثل كلمة (ماس) العربية، صارت (الماس) في اللهجة العامية، وصارت عند تعريفها تلفظ (الألماس). وكلمة (ايوان) صارت (الايوان) ثم صارت (ليوان) وأصبحت بعد التعريف (الليوان)، ومنها أيضاً (ديوان) بعد قلب اللام إلى دال ثم أصبحت تعرف بالديوان. ومنها كلمت (قصر)، أدمجت أداة التعريف (أل) في الفرنسية فصارت (ALCAZAR) ومع أداة التعريف الجديدة تصبح (LALCAZAR).
الحضارة: أدمجت فيها أداة التعريف عند انتقالها إلى الفرنسية، فصارت (ALIZARI) ومع أداة التعريف الجديدة صارت (LALIZARI).
الحصان أصبحت (LAEZAN) ، ثم صارت (LALEZAN).
الاكسير: صارت (ELIXIR) ثم مع اداة التعريف الجديدة (LELIXIR).

عروبة اللغة اللاتينية

يؤكد الكاتب العربي محمود عبد الرؤوف القاسم في كتابه(اللغة الفرنسية لغة عروبية)، إن اللاتين هم شعوب عروبية نزحت من منطقة أو مناطق عربية، وهم جزء من العرب الذين سمو (العرب البائدة). وأن اللغة اللاتينية (وابنتها الفرنسية)، ليست منحدرة من لهجة عربية واحدة، وإنما من عدة لهجات، وهي:
-لهجة أداة التعريف فيها هي (أل) كعربية قريش والحجاز عموماً.
-لهجة أداة التعريف فيها هي (إم) وتوجد الآن في عسير وما حولها.
-لهجة تستخدم التنوين للتعريف والتمييم للتنكير، كاللهجة الأوسانية التي كانت عاصمة دولتها في اليمن. وكذلك اللهجة السبئية التي يرى بعض المؤرخين أنها انتقلت من جنوب الشام إلى اليمن في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، أي أنها كانت قبل ذلك إلى الشمال من مدينة الطائف بينما الأوسانية كانت إلى الجنوب منها.

- هناك كلمات لاتينية كثيرة وفرنسية بدرجة أقل، تنتهي بمد الألف، ويمكن القول أن بعضها كان في الأصل أداة تعريف، وهذا يعني أن في الأصول اللاتينية أداة التعريف فيها هي مدّ الألف في آخر الكلمة كالسريانية (الآرامية) التي كانت موجودة في شمال الحجاز أو لهجة أخرى تشبههافي أداة التعريف هذه.

وهناك لهجتان عربيتان، لهجة أداة التعريف فيها هي (هاء) الثمودية والمصرية الفرعونية (شمال غرب الحجاز) ولهجة أداة التعريف فيها هي (أد) وهي المندائية، وفي الفرنسية كلمات كثيرة مبدوءة بـ (AD). ترى هل هي (أد) أداة التعريف المندائية؟ أم هي (AD) البادئية اللاتينية؟..

إن أدوات التعريف العروبية هي في الحقيقة عبارة عن أعلام ولافتات يمكن أن تمتاز بها اللهجات، كما يمكن أن تكون هذه الأدوات التعريفية عناوين اللهجات، فيقال (اللهجة (أل)) ولهجة (إم) ولهجة (أد)... الخ.

اللهجات العربية في لفظ حرف القاف

- لهجة عربية الحجاز ونجد تلفظ القاف قافاً، والكلمات اللاتينية والفرنسية المنحدرة من هذه اللهجة، تحول حرف القاف إلى كاف (Q,C,K) ويختلط مع هذه اللهجة اللهجة التي كانت تلفظ كافاً.

- ولهجة تلفظ القاف(كالجيم المصرية)، كما في اللهجة اليمنية المعاصرة، (كالجيم المصرية)، وقد أصبح في اللاتينية والفرنسية يلفظ كما هو (G) رغم أنه قاف في الأصل.

- لهجة كانت تلفظه غنياً، ولهذا اللفظ صدى في السودان، وتحولت هذه الغين في اللاتينية والفرنسية إلى (G) رغم أنها هي قاف في الأصل. علماً بأن هذه اللهجة تلفظ الغين قافاً أيضاً، فتحولت قافها إلى كاف رغم أنها غين في الأصل.

- لهجة كانت تلفظه جيماً، وقد بقي في اللاتينية والفرنسية جيماً رغم أن أصله هو القاف. ويمكن الاستنتاج أيضاً من تعدد اللهجات التي انحدرت منها

اللاتينية، تلك التي تظهر جلية في الكثير من مفرداتها، انه تم امتزاج هذه اللهجات في لغة واحدة، وأن هناك قبائل متعددة ذات لهجات مختلفة نزحت معاً من بلاد العرب، وإن هذه القبائل كان يجمعها جامع قوي، غير قبلي، جعلها تمتزج مع بعضها امتزاجاً، جمع بين لهجاتها ووحدها في لغة واحدة وشعب واحد هو شعب اللاتين.

- هناك ملاحظة أخرى وهي أن هذه اللهجات العربية التي انحدرت منها اللاتينية كانت تهيمن عليها صيغة التأنيث! وقد ظهر ذلك في الجداول التي أشارت إلى مفردات كثيرة، يلاحظ فيها:

- التاءات المقحمة على كثير من الأفعال والتي تفسر أنها كانت في الأصل تاء التأنيث (الساكنة في اللغة العربية).

- التاءات المقحمة على بعض الأسماء، مما يشير أنها كانت في الأصل تاء التأنيث (المربوطة في اللغة العربية).

- حروف النون المقحمة على بعض الأفعال، والتي كانت في الأصل نون النسوة.

إن ظاهرة هيمنة صيغة التأنيث على المفردات اللاتينية ذات الأصل العروبي، توحي إلى أن هناك سبباً موحداً لهذه القبائل العربية ذات اللهجات المختلفة لنزوحها معاً، ثم جعل لهجاتها تمتزج في لغة واحدة، وجعل شعوبها تنصهر في شعب واحد، ألا وهو الدين الذي كانت تعتنقه، وهو دين وثني يرتكز على إلاهة أنثى هي إلهة صنم (اللات) الذي كان مركزه في الطائف[1].

---

[1] أنظر للتفصيل: كتاب اللغة الفرنسية لغة عروبية/ محمود القاسم، الخاتمة.

عروبة شعب اللاتين

اللاتين هو اسم سكان لاتيوم Latium وهو إقليم وسط إيطاليا من جهة الغرب (أي بحر تيران)، ومدينته الأولى هي (روما) كما هو معروف لكل متابع لتاريخ الشعوب اللاتينية. إن المعجم الفرنسي لاروس Laruosse يعرف اللاتين القدماء بأنهم فرع من الشعوب الهندوأوروبية الذين غزوا إيطاليا في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، حيث شكّلوا دول مدن تجمعت في اتحادات، كان الاتحاد الرئيسي فيها هو التجمع اللاتيني (القرن الخامس قبل الميلاد) الذي خضع أولاً لسيطرة الأتروسكيين (الرسانيين) وهم شعب أقدم من اللاتين، وكان يسكن إقليم تروسكانا الواقع شمال لاتيوم، ومنذ سنة ٣٣٥ ق.م سيطرت روما على الإقليم كله.

إن عروبة اللغة اللاتينية تفرض علينا قبول فرضية عروبة الشعب اللاتيني، وبناء على تلك الفرضية أو القناعة، فإننا إذا أردنا معرفة أصل الاسم (لاتين) أو (لاتيوم) فعلينا الرجوع إلى تاريخ العرب القديم ولغتهم.

إن كلمة اللاتين حسب المدلول التاريخي واللغوي للعرب القدماء، هي من الإلاهة الأنثى (اللات) التي كان يعبدها العرب قبل الإسلام، والنسبة لها هي (لاتي) للمفرد، وجمعها (لاتيون) أو (لاتيين) ومن الممكن جداً الاستنتاج إنها تطورت قليلاً لتغدو (Latin) أو (Latium)

ونستنتج من ذلك ومن فقرة (مفردات الحداثة والتقانة في اللغات الأوربية ص ١٧١)، والدراسة المقارنة للغة اللاتينية وصلتها بأصلها العربي:

١. إن عروبة اللغة اللاتينية تدل على عروبة اللاتين، وذلك يدل على نزوح اللاتين من بلاد العرب في زمن قديم، قد يكون أبعد من النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، أي قبل سنة ١٢٠٠ ق.م.

٢. إن هؤلاء العرب الذين نزحوا كانوا قبائل مختلفة كانت تسكن أقاليم مختلفة أو منطقة واسعة تتسع لعدة قبائل، وكانت لهجات هذه القبائل العربية المختلفة هي الأصول اللغوية التي انحدرت منها اللغة اللاتينية.

٣. إن صيغة التأنيث كانت تهيمن على لهجات تلك القبائل والأقوام العربية القديمة، فلو فرضنا أن نسأل شخصاً منهم على معنى (قدم) لقال: (جاءت) بصيغة التأنيث.. يتضح هذا من كثرة التاءات التي نجدها مقحمة على الأفعال والأسماء وكذلك حروف النون، وهي لا تفسر الا على أنها تاءات التأنيث ونونات النسوة، وذلك يعني أن دين هذه القبائل كان يفرض عليهم استعمال التأنيث في صلواتهم وأدعيتهم وابتهالاتهم واستغاثاتهم، فهيمنت هذه الصيغة على لغتهم[١]. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لهذه الظاهرة، ظاهرة الآلهة الأنثى وذكر العديد من اسماء الآلهة الأنثى. وهناك ظاهرة لها صلة بموضوع استعمال التانيث لدى بعض الشعوب الشرقية، وهي استخدام الأخوة الكرد، حين يتكلمون العربية، صيغة التأنيث في الغالب، عند التحاور مع المذكر أو الاشارة اليه، فهل لهذه الظاهرة صلة بأصل الشعب الكردي ونشئته وثقافته الأولى، أم انها ظاهرة عرضية سببها التباين والفروق اللغوية بين العربية والكردية، وكذلك التركية والفارسية؟..

انها ظاهرة لغوية جديرة بأن تدرس.

٤. إن اسم (اللاتين) يتطابق بشكل كبير مع كلمة (اللات) بل هو نسبة إلى (اللات).

إذن، فإن القبائل أو الأقوام والشعوب اللاتينية التي نزحت كانت قبائل وثنية تعبد إلاهة أنثى هي (اللات) وبديهي أن تكون مع (اللات)- وهي الإلاهة الرئيسية- آلهة أخرى هم شركاؤها وأتباعها أو شريكاتها وتابعاتها، كما نعلم أن أسم (عثتر)

---

[١] انظر فصل: مفردات الحداثة والتقانة في اللغات الأوربية ذات الأصل العربي في صفحة ١٧١.

[Astre] أو عشتار كما تسمى أحياناً، وارد في اللغة اللاتينية، مما يدل على أنها كان لها شأن بين معبوداتهم. ويخبرنا القرآن عن شريكتين لها هما (العزى ومناة) قال تعالى: ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ألكم الذكر وله الأنثى** ﴾[1]. كما ذكر القرآن آلهة أخرى عبدت في عصور التاريخ القديم، في عصر نوح وما بعده.. مثل: ود وسواع.. وبعل وإرم. قال تعالى: ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم، ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً. وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً** ﴾[2] وقال: ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد.** ﴾[3].

تاريخ صنم اللات

لقد أُطلق على هذه الشعوب اسم (لاتين) نسبة إلى اللات كما يطلق الآن اسم (مسيحيين) نسبة إلى المسيح واسم (بوذيين) نسبة إلى بوذا. وكان اللاتين يتوجهون في عباداتهم إلى الإلاهة الأنثى الرئيسية، وقد يشركون معها شريكاتها مما جعل نشاطهم الديني بصيغة التأنيث، فطغت هذه الصيغة على ألسنتهم وهيمنت على لغتهم. ووجهت سلوكهم الاجتماعي وحياتهم العامة توجيهاً يتمشى معها. ولقد كانت مدينة الطائف هي مركز صنم اللات، أي أن الطائف هي مركز المنطقة المتأثرة بعبادة اللات، ولهذا نرى اللهجة التي تستعمل (أل) أداة التعريف، وهي لهجة أهل الحجاز ومنها الطائف، لها حضور وتأثير في اللغة اللاتينية، وقد كانت هذه اللهجة سائدة حول الطائف وشمالها وحتى بلاد الشام،

---

[1] سورة النجم / ١٨-٢١.

[2] سورة نوح / ٢٣-٢٤.

[3] سورة الفجر / ٦-٨.

كما نلحظ أثر اللهجة التي تستخدم (إم) أداة تعريف في اللغة اللاتينية، وكانت هذه اللهجة موجودة عند ظهور الإسلام جنوب الطائف وشمال اليمن، وكذلك لهجة التعريف بالتنوين (لهجة الأوسانيين) التي كانت عاصمة دولتهم في اليمن، ولهجة السبئيين الذين يعتقد أنهم كانوا في الشام، قبل هجرتهم إلى اليمن، كما لا تخلو اللاتينية من مفردات كثيرة انحدرت من اللهجة السريانية (الآرامية) وغيرها التي كانت مستخدمة في جنوب الشام[1].

ومما يدعم أطروحة الأصل العربي لشعب اللاتين ولغته، إن هناك حقيقة تاريخية مهمة حول صنم اللات وموقعه، وهي خلو مكان الصنم في الطائف من جسم الصنم نفسه (اللات) في عصر النبي ﷺ. وعندما جاء المغيرةِ بن شعبةٍ بجيشه ليهدمه بتكليف نبوي لم يجد الصنم، وإنما وجد صخرة مربعة مكتوباً عليها نقوشاً قديمة. إن هذه الصخرة المربعة المنقوشة، كانت– في الأصل– قاعدة صنم اللات، وإن قبائل اللاتين عندما نزحواخارج الجزيرة حملوا لاتهم معهم ، وبقيت قاعدتها لتعذر حملها معهم. ومع تقادم الزمن نسي الصنم وبقي اسمه على قاعدته التي عبدوها على أنها هو، ويذكر التاريخ وجود صنم في أَحد جبال روما اسمه اللات، كان يعبده الرومان لفترة طويلة، لاسيما الأباطرة العرب منهم، الذين حكموا روماخلال تلك الفترة، كما أكده الباحثون والمؤرخون ومنهم الدكتور محمد بهجت قبيسي وآخرون.

وذلك يعني أن هناك أطروحة متكاملة عن أصل الشعوب اللاتينية تقول:

أنه في عهد ما وبحدود ١٧٠٠ ق.م كانت اللات (ومركزها الطائف) وهي الإلاهة الرئيسية، في جملة آلهة وثنية أبرزها إناث، يعبدها أهل الطائف وما حولها من منطقة الحجاز، وما جاور من منطقة الحجاز، ويذكر القرآن اللات وشريكاتها الآلهتان الاثنتان (العزى ومناة)، كما مرأعلاه.

---

[1] انظر كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

وهذه الآلهة كانت سائدة عند ظهور الإسلام، لكنها منحدرة من عصور سابقة وقديمة، كما إن الإلاهة عثتر (عشترة) كان لها شأن بين معبوداتهم، وكان لها شأن كبير في بلاد الرافدين وبلاد الشام. وقد كانت اللات من أشهر آلهة الجزيرة في العصر الجاهلي، مما يدعم فكرة الإلاهة الرئيسية (أورئيسة الآلهة) في زمن سابق. وقد نزح اللاتينيون من مواطنهم في عهِد ما، بحدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ولسبب ما قد يكون مجاعة أو تغير في المناخ أو بسبب اضطهاد ديني أو سياسي. وتقتضي العقلية الوثنية وطبيعة مجتمعاتهم، أن يأخذوا معهم إلههم الرئيس (أو كبير الآلهة كما يسمى) الذي هو أنثى، هي اللات، كما يأخذون معه ما يستطيعون من بقية الآلهة[1].

وعندما تبلورت المفردات التي نقلتها الشعوب والقبائل العربية النازحةفي صيغة الثقافة الأنثوية، تشكلت اللغة اللاتينية. وكان عدد ملحوظ من أفعالها وأسمائها، قد تجمد على تلك الصيغة التي نسيت أنها في الأصل صيغة التأنيث، وصارت تعطي المعاني التي تحتاجها طبيعة البشر للتخاطب، حسب السنة والآلية الفاعلة في نشأة وتطوِر اللغات. لقد كانت هذه العقيدة الوثنية الأنثوية ومحنة النزوح الجماعي قد وحدت عواطفهم وأفكارهم، رغمٍ أنهم من أصول قبلية متنوعة ولهجات مختلفة، مما جعلهم يمتزجون امتزاجاً كلياً في شعب واحد ولغة واحدة.

[1] والملاحظ أن العزّى أيضاً لم يكن لها صنم في جزيرة العرب، فهل حمله النازحون أيضاً؟.. أم أنه كان قد نقل إلى بلاد القبط، وحرف اسمه إلى (إيزه)!؟..

بيت اللات في روما القديمة

إن زمن النزوح إلى إيطاليا لم يكن قصيراً، وإنما يفترض أن قبائل اللات قضت عقوداً عديدة أو ربما بضعة قرون في طريق الهجرة، حتى وصلوا بعد عناء وصعوبات، وربما حروب وصراعات مع الشعوب والأقوام التي مروا بها، قبل استقرارهم في إيطاليا. وأخيرا وبعد رحلة عذاب ونزوح طويلة، وصلوا إلى اقليم في وسط ايطاليا، أطلقوا عليه اسم اللاتيوم. نسبة إلى (اللات) أو إلى (اللاتين). من المنطقي إذن، أن تكون اللات قد وصلت معهم سالمة، لأنهم كانوا يتفانون في الدفاع عنها، حسب ما تقتضي غريزة التدين، وكانوا يحيطونها بكل ما يستطيعون من رعاية وحماية. ومن المنطقي أيضاً أن يعملوا قبل كل شيء على بناء بيت لها يليق بمقامها، كما أن المتوقع أن تكون مساكن علية القوم بالقرب من بيت الإله. يوجد في روما القديمة جبل يحمل اسم بلاتي Palatin، والاسم نسبة إلى بلات أو بالات. وجبل بلات هو أحد التلال السبعة التي كانت روما القديمة قائمة عليها، وتقول الروايات المتوارثة أن أوائل السكان هم الذين عمروه. وكان في عهوده الأولى يمثل الحي الأرستقراطي في روما، ثم كان مقر القياصرة في العهود الأمبراطورية. إن كلمة (بلات) مركبة من البادئة (ب) أو (با) ومن (لات) أو (اللات). إن أطروحة عروبة اللغة اللاتينية، تبيح لنا أن نبحث عن معنى هذا التركيب في اللهجات العربية. إننا نجد في اليمن أسماء العائلات ما يشبهها، مثل: بافقيه، باكثير، باعلوي، كما نجد مثل هذه الصفة في المغرب العربي، مثل: بومدين، بورقيبه، بومحمد.. وهي تعني في اليمن: ابن الفقيه، ابن كثير، ابن العلوي، حسب لهجتهم. وفي العراق نجد ما يشابه ذلك في بعض أسماء المدن القديمة مثل: بعقوبه وبعشيقا وبامرني.. وكما نجد في لبنان ما يشابه ذلك في أسماء القرى، مثل: بحمدون، بكركي، بعبدا، برمانا، بكفيا.. والتي تعني في الظاهر، بيت حمدون، بيت كركي، بيت عبدا.

ولما كان أسم Palatin هو اسم مكان، لذلك يحق لنا القول: إن معنى (بلات) هو (بيت اللات). وربما نجد ما يشابه هذا التخريج في أصل كلمة (بابل) وهي باب ئيل أو بيت ئيل. ولعل التشابه في(ألفاظ ئيل واللات والله) ما يوحي أنها ذات أصل توحيدي واحد وثقافة توحيدية واحدة، ولا نستبعد أن تكون كلمة ئيل من بقية لغة آدم، وكذلك الله، أما اللات فربما هي تصحيف لكلمة الله في أصلها، ثم جسدت في الثقافة الوثنية لتعني صنم اللات، الذي هو كبير أو رئيس الآلهة في الحضارة الوثنية القديمة، وفي ثقافة اللغات الحنيفية، في زمن ارتكاس رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء الأوائل وتحريفها ، إلى ثقافة الشرك والوثنية وعبادة الأصنام في الحضارات السبئية والبابلية والكنعانية قبل ظهور شعب اللاتين. وفي تخريج لغوي آخر لأصل كلمة اللات، أنها جاءت من تأنيث كلمة لفظ الجلالة الله، فتكون بتلك الصيغة (اللات) زوجة الله في الفكر الوثني القديم (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا).

إن وجود هذا الجبل المقدس لدى الشعب الوثني اللاتيني في روما، يؤكد وصول صنم اللات سالماً إلى مدينة روما القديمة. ويؤكد بناء بيتاً للات فوق ذلك التل، سمي بلات أو بالات أي بيت اللات، ثم جعلوا اسم التل منسوباً إلى هذا البيت فصار بلاتي Palatin، وكان بناء الحي الارستقراطي لعلية القوم حول المعبد الأكبر وبقربه، وجود رأس الآلهة في روما، هو الذي أعطاها زعامة الاقليم وجعل من مدينة روما أم قرى شعب اللاتين، وكل ذلك يشير إلى أن صنم اللات كان موجوداً في جبل بلاتي.

إن ظاهرة دول المدن التي سادت الوضع الاجتماعي والسياسي لشعب اللاتين منذ ظهوره في شبه جزيرة ايطاليا في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، هي ظاهرة مشابهة لما كانت عليه القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية والعراق والشام، اذ كانت الأنظمة قائمة على أساس دول المدن مثل: مكة والطائف ويثرب وتيماء وإيلياء ودمشق وماري وبابل سواء قبل تاريخ ظهور اللاتين أو بعده... وكذلك دول القبائل بالنسبة لقبائل البادية كبكر ووائل وتغلب

ومضر وتميم وطي وغيرها، في ديار بكر وربيعة والجزيرة الفراتية ونجد والحجاز واليمن وحضرموت وغيرها، من أنحاء المشرق العربي القديم. ويبدو أن اللاتيين في زمن النزوح قد أخذوا بتلك الأنظمة التي جاؤوا بها معهم من موطنهم الأصلي في الجزيرة والشام واليمن. كما يبدو أن الروح القبلية والبدوية لم تفارقهم بل أضافت رحلة النزوح الطويلة التي يمكن افتراضها على أنها أعقبت ظاهرة القحط العام الذي أصابهم وغيرهم من شعوب الشرق العربي في عصر النبي يوسف (عليه السلام)، وكذلك الصراعات والصدامات التي رافقت هجرتهم، أضافت لهم روحا متمردة وعصبية وتحدياً، ربما كان من بين ما ورثه الرومان والجرمان وغيرهم، من شعوب أوربا في العصور التي أعقبت عصر اللاتين.

لقد كانت حياة شعب اللاتين تدار من قبل مجلسُ شكل (تلقائيا) من شيوخ القبائل وكبار الكهنة، وهو يعكس تلك الروح القبلية والدينية (الوثنية) لهذا الشعب، الذي بدأ من روما لإقامة الحضارة الأوربية بمراحلها العديدة التي تلت عصر النشأة.

وبديهي أن تكون الكلمة الأولى لرئيس سدنة اللات أو كاهنها الأكبر، إن سدنة اللات هم الذين أعطوا لجبل بلاتين Palatin اسمه هذا نسبة إلى (بيت اللات)، ولابد أن سكان روما الأوائل منهم، ولابد أن يكون انتماء هؤلاء لثقافة القوم الذين أعطوا أسماء بعبدا وبرمانا في لبنان. ولعل ذلك التاريخ يلتقي مع قبيلة أخرى مجاورة لقبائل اللات، هي قبيلة (الإشبين) التي أعطت اسمها إلى أسبانيا بعدما هاجروا اليها من سواحل الشام في مطلع الألف الأول قبل الميلاد أو قبل ذلك، وهم الذين كانو سدنة معبد (حدد) في دمشق، ثم طردوا منه بعد صراع ديني وسياسي جرى بينهم وبين السلطة الدينية والسياسية في الشام آنذاك.

كما إن الرسانيين (الأتروسكيين) المجاورين للاتين من الشعوب القديمة التي ورد اسمها في القرآن باسم (أصحاب الرس)، من الشعوب التي تركت بصماتها على تاريخ ولغة أوربا القديمة في العصر اللاتيني، وهم كغيرهم مشرقيين، وذلك يثبت

أن الحضارة الأوربية مشرقية سواء قبل المسيح أو بعده، كما يثبت وحدة الحضارة واللغة والعقيدة والجنس، وهو مطلبناوأبرز مايرمي إليه هذا الكتاب. واللاتين هم الذين أعطوا لروما اسمها العربي، إحياء لاسم المكان العربي الذي كانو ينتمون اليه، ولعل جذر كلمة روما يلتقي مع كلمات مشرقية وقرآنية معروفة كـ: (رم، إرم، آرامي...) ويستطيع الباحث في جغرافية وتاريخ أوربا القديم أن يجد الكثير من الأسماء والأماكن والمدن والجبال والأنهار الأوربية ذات الأصل العربي، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أوربا Europe = غروب (غرب) وهي قريبة أيضاً من اسم يعرب جد العرب القحطانيين.

جبال الألب = جبال القلب، وهي تقع في قلب أوربا كما هو معروف.

نهر الدانوب = نهر الذانوب أو الذنب، وهو نهر أوربي شكله كشكل الذنب، وهو يصب في البحر التيراني في ايطاليا.

نهر تيبرز = نهر التبري.. يقع في شمال ايطاليا والى الشرق من فرنسا(والتبر هو الذهب، واسم وادي الذهب متكرر في الجزيرة وبادية الشام).

وغيرها من أسماء الأماكن والمدن التي يمكن تعقبها واستخراجها.

ولعل منطقة السبع الشداد في شمال الحجاز وجنوب الشام تحتوي الكثير من المسميات المشتركة مع مسميات شعب اللاتين، والمتصلة بعبادة اللات والعزى وبعل وعشتر وغيرها من الآلهة الوثنية، والتي هي قطعاً ذات صلة بالتراث التوحيدي الحنيفي، انحرفت وتبدلت عبر الزمن وانتشرت في العالم القديم شرقاً وغرباً ، كما أنه من المتوقع جداً أن تكون الكثير من الأسماء العربية التي نقلها شعب اللاتين وغيره من شعوب المشرق العربي إلى أوربا قد حرِّفت وتبدلت مع تقادم الزمن وتغير الثقافات وتبدل الأماكن. مع بقاء قسم منها محتفظاً بلفظه الأصيل أو قريباً منه حتى الآن، وهو مدار البحث في تتبع الأسماء والمفردات الموجودة في الواقع الثقافي والجغرافي والتاريخي لشعب اللاتين. وعليه فان:

لاتين، لاتيوم، بلاتي، كلها تصلح أن تكون نسبة إلى اللات، الإلاهة العربية القديمة.

إن إسم روما له صدى لغوي وحضاري في منطقة السبع الشداد أي شمال الجزيرة وما حولها، ولنأخذ بعض الكلمات أمثلة على ذلك: رم (بئربمكة القديمة)، رم (ماء بالحجاز)، رومة (قرية في طبرية)، رامة (بالعقيق في المدينة وذكرت أيضاً في الطائف أو في تهامة)، ريمة (وادي في المدينة (عن قاموس المحيط)، ورومة (بالمدينة وهي منزل قريش في غزوة الخندق (سيرة بن هشام). أليس في ذلك دليل قوي على عروبة اسم روما، فضلاً عن الإيحاء القرآني في الآية الكريمة: (إرم ذات العماد)

ان الجبال السبئية Mountains Sabins هي سلسلة جبال قريبة من روما عاصمة شعب اللاتين. ونهر التبر (وهو باللاتينية Tiberi) هو النهر الذي يمر من روما ويصب في البحر التيراني، وفي الجزيرة العربية هناك أكثر من نهر أو وادٍ يحمل اسم (وادي الذهب) وهو نفس معنى التبر. فهل سمي نهر التبر أو التبرى بهذا الاسم إحياء لنهر أو واد في بلاد العرب؟ أو في بلاد السبع الشداد (جَنوب الشام وشمال الحجاز) كان اًسمه كذلك؟.

خارطة الهجرة والنزوح لشعب اللاتين

إن ما سمي تاريخياً بالرعاة (الهكسوس) هم في الحقيقة قبائل عربية من العرب البائدة، كانت تعيش في شمال الجزيرة وفي شبه جزيرة سيناء نزحت وهاجرت، وغزت مصر النيل (بلاد طاوي والقبط)، بسبب القحط العظيم الذي حل بهم ، وبسبب حرمان السنين العجاف والسبع الشداد التي وطئتهم في صحراء الجزيرة وبلاد الشام وصحراء سيناء. ولعل معظمهم كانوا قبائل وثنية كثيرة يجمعهم رابط اللغة الحنيفية والدين الوثني وعبادة الأصنام، وربما كان رئيس الهتهم هو إلهة اللات التي كانت تعبد في الطائف، حيث مركز صنمها وما حولها من الانحاء ممتدة إلى الشام وبلاد كنعان على الساحل، حتى اليمن وساحل البحر العربي،

والخليج العربي من مسقط إلى البصرة ، ولابدٍ أن تكون من ضمن هذه الأنحاء، غرب بابل وماري وحران (غرب الفرات) نزولاً إلى دمشق وصور وإيلة (العقبة) وإيلات، وهي المدن التي مارست عبادة اللات فيها أو قربها أولامست صدى عبادته وثقافته الوثنية. ونلاحظ القرب بين لفظتي اللات وايلة أو ايلات، فهل جاءت تلك المفردات من كلمة أيل التي تعني الله تعالى أم من اللات؟ وهل هذا التقارب في الأصل يشمل جميع المفردات باعتبارها، صدى التوحيد الرباني القديم قبل انحرافه؟.. كما يشمل صدى عبادة اللات مدناً ومناطق أخرى قريبة من مصر القرآن مثل: مدين وسيناء وساحل البحر الأحمرٍ (القلزم) وتيماء وتبوك ويثرب، ومن أرض الطائف مركز صنم اللات نزولاً إلى أرض اليمن وحضرموت، وتلك هي حواضر بلاد العرب التي كانت تطل على بادية الجزيرة، تلك الأرض المباركة التي شهدت بزوغ تاريخ الإنسان ولغته وحضارته، بدءاً من بداية الإنسان في مكة (أم القرى) وأرض الجزيرة، ثم سياحته في الأرض التي باركها الله حول مكة والجزيرة، لتشهد الميدان الحيوي لرسالة النور وحضارة التوحيد وجغرافية القرآن، وهو يصور لنا كيف كان فجر الإنسان، وكيف تعلّم الحرف وقاوم الشرك والوثنية، لكي تزهر حضارة التوحيد وتشع النور على الأرض، رغم الكبواتٍ والعقبات التي وضعها الشيطان في طريق الإنسان، ورغم انتشار الأصنام ردحاً من الزمن، في الحقب التي تغلّب فيها أتباع الشيطان على كتائب الايمان. وهكذا يمكن أن نستنتج – دون مجازفة – أن شعب اللات كان من ضمن قبائل (الهكسوس) التي غزت مصر النيل، ثم انطلقت باتجاه الغرب، أثناء حكم الهكسوس أو بعد سقوطهم وزوال دولتهم، ولعل أسماء ملوك الهكسوس العربية هي أحد الشواهد على عروبتهم، وليس المجال هنا مجال تقصي ذلك.

إن طريق وصول اللاتين إلى ايطاليا (روما وما حولها) طريق غامض متعدد الاحتمالات. لقد غزا الهكسوس بلاد القبط (أو طاويٍ) بحدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وحكموا بلاد النيل لمدة قرنين تقريباً، وقد قلنا أن غزو (طاوي) كان

بسبب السبع الشداد والتي واجهتهم في شمال الجزيرة وصحراء سيناء، ومن جراء ذلك القحط الذي دفعهم لإيجاد بديل للعيش والكلأ وكل ما هو ضروري لاستمرار الحياة. واذا كانت قبائل اللاتين، التي افترضناها انها كانت مع قبائل الهكسوس أو جزءاً منها، قد مكثوا معهم حتى نهاية حكمهم وخرجوا معهم، فإن ذلك الفرض يلزم منه، وجود تأثر ثقافي ولغوي بينهما، ووجود آثار في اللغة اللاتينية من لغة القبط، رغم إن منطق الأحداث يقضي بأن يكون اللاتيون قد عاشوا تلك الحقب منغلقين على أنفسهم بسبب ديانتهم التي تخالف ديانة القبط وتخالف ديانة الهكسوس، لاسيما في تسمية الإله الرئيس. ولكن تسرب بعض الكلمات القبطية إلى لغتهم أمر وارد، ومن تلك الكلمات كلمة (دشرطا) التي تعني (صحراء) والتي صارت في اللاتينية (Desertu) ثم أصبحت في الفرنسية والإنكليزية (Desert)، وفي عامية العراق في أقاليم الوسط تستخدم لفظة (دشر) بمعنى الأرض الخربة أو المتروكة.

لقد توغل اللاتين غرباً في الشمال الأفريقي إلى المغرب أثناء حكم الهكسوس أو بعد سقوطهم، ومن المعقول جداً ضمن تصور خارطة طريق الهجرة لشعب اللاتين، أنهم وصلوا فرنسا قادمين من أسبانيا الأندلسية، وأخيراً استقروا في لاتيوم. وهو إقليم يقع غرب إيطاليا، مما يعزز فرضية وصولهم إليه من جهة الغرب (أي من جهة فرنسا وأسبانيا).. ولعل احتمال أن يكون اللاتين فرقة من الهكسوس النازحين من شمال الجزيرة، يصبح أقوى، كلما كثرت المفردات القبطية في اللغة اللاتينية، وكذا بالنسبة للمفردات البربرية المغربية التي مروا بها أثناء نزوحهم.

وهكذا بالرغم من تعدد احتمالات طريق النزوح والهجرة الذي انتهجه شعب اللاتين، الا أنهم وصلوا أخيراً إلى اقليم (لاتيوم) وسط ايطاليا الغربي واستوطنوه وبنوا مدينة (روما).

الحروف المقحمة في الكلمات اللاتينية ذات الأصل العربي

إن إقحام الحروف على الكلمات أمر متكرر في اللغات اللاتينية، لاسيما إقحام حرف (p) في أول الكلمة أو حرف (N) بين حروفها أو في آخرها أو (S) سين الاعراب التي توازي الضمة في الأصل العربي، أو إضافة (OS) كما في الإغريقية وغيرها من حالات الإقحام. وقد يضاف الحرف (T) أو الحرف (R) أو الحرف (S). وغالباً ما يكون الحرف (T) المضاف هو تاء التأنيث في الأصل العربي، وحرف (N) في الأصل نون التنوين أو نون النسوة، ومثله ميم التمييم وسين الرفع اللاتيني[1].

ان نسبة اللاتين إلى معبودهم (اللات) ليست فريدة في الدلالة والاصطلاح اللغوي، فهناك العديد من الأقوام ممن يدعى باسم معبوده، وهناك تسميات مشابهة في عصرنا تستخدم نفس الطريقة، كالمسيحيين والبوذيين والزرداشتيين وغيرهم.

ولعل اسم (الآراميين)، هو تصويت مغلوط لكتابة خالية من الحروف الصوتية نجهل لفظها الأصلي، من الجذر (رم) ، وربما يكون اللفظ الأصح (الإرميون) نسبة إلى الإلاهة (إرم) ذات العماد المذكورة في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذي جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد**﴾[2]. والآيات تشير إلى أن قبيلة عاد كانت تسكن في أودية الإلاهة (إرم)[3]. ويعتقد العلماء والمؤرخون أن

---

[1] انظر: كتاب عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

[2] سورة الفجر/ ٦–١٤.

[3] إن إرم في كتب التراث الاسلامية والمعاجم العربية تعرف أحياناً بأنها الحجارة الجبلية الكبيرة التي كانت قبيلة عاد تستخدمها لبناء البيوت والقصور العظيمة في الجبال، ويروي الطبري أن إرم هو والد عاد أو جدهم الأعلى، وقيل أيضاً إن إرم هي اسم لصنم أو معبود، عبده قوم عاد في الجاهلية الأولى بعد عصر نوح، والله أعلم.

هذه القبيلة الكبيرة من العرب البائدة، كانت تسكن في أرض تقع في شمال الجزيرة، وتعرف الآن بوادي (رم) في جنوب الاردن، ولم تكن قبيلة عاد القبيلة الإرمية الوحيدة بطبيعة الحال، وإنما كانت هناك قبائل أخرى، وربما قبائل كثيرة، كلها إرمية، لا سيما القبائل التي كانت تسكن منطقة (حسمى) التي توجد في أودية إرم والمناطق المحيطة بها والقريبة منها، وربما بعض القبائل الأخرى التي هي أبعد أيضاً. وحين هلكت عاد الأولى بالحسوم، لم يهلك معها باقي الإرميين، الذين كانوا أكثر عدداً من عاد بكثير، وهم الذين سموا تاريخياً بالآراميين. وبعد هلاك عاد، الذين ظهروا بعد عصر نوح مباشرة كما يشير القرآن، وفي زمن لاحق قد يكون قبل عصر إبراهيم أو بعده، في زمن القحط العظيم (السبع الشداد)، لأن منطقةُ حسمى وما حولها تشكل بطقسها وبيئتها الجزء الشمالي من منطقة (السبع الشداد)، قد تكون القبائل الإرمية نزحت، سواء باتجاه الشمال أو باتجاه الجنوب حتى منطقة عسير أو جنوبها. ويبدو أن كل واحد من قسمي الإرميين، الشمالي والجنوبي، استطاع أن يكون له وجود ملحوظ في بعض المناطق في بلاد الشام وشمال الجريرة. وتبقى قصة الإرميين الذين سيطروا على بلاد الشام، واللغة الآرامية التي قيل عنها انها لغة السوريين القدماء فيها نظر. وهي قصة توراتية مضخمة، وأسطورة من الأساطير التي فرضت على الثقافة والتاريخ. وقد ضخمت تلك القصة مرتين.. مرة في رواية القصاصين القدماء، ومرة أخرى في الشروح المتأخرة للعهد القديم. وأُخذت قصة التوراة كالعادة، كحقيقة تاريخية رغم أنف التاريخ، شأن الأساطير الأخرى كأسطورة السامية والشعب المختار وقصص تعاطي الخمر وممارسة الفواحش التي ألصقت بتراث الأنبياء زوراً وبهتاناً وغيرها من الأساطير والأكاذيب التوراتية.

والجدير بالذكر أن الحجر الأسود، كان قد نقل إلى روما، لمدة مائة وخمسين سنة، وكانت شعوب أوربا خلال هذه المدة تحج إليه. وقد حدث ذلك في عصر أحد الأباطرة العرب الذين حكموا روما، ثم ما لبثت روما أن انقلبت على حكم هذا الإمبراطور، وأعادت الحجر المهاجر إلى مقره الرئيسي، وكان ذلك في سنة

٢٢٩ م[١]. وبالنسبة لصنم اللات الذي كان موقعه الأساسي بالطائف، فان الرويات تذكر، إن الصحابة الذين كلفهم النبي ﷺ بهدم اللات، لم يعثروا على الصنم، وإنما عثروا على قاعدته فقط، وإن الصنم كان قد نقل منذ زمن بعيد مع القبائل المهاجرة خارج الجزيرة. فمنذ زمن لم يحدد مداه، أخذت إحدى القبائل الصنم، وذهبت به إلى بلاد الشام، وتركت قاعدته لصعوبة حملها، وبقي عباد اللات، يزورون المكان ويتعبدون إلى قاعدة اللات الحجرية، ويستقسمون عندها، بعد أن كانوا يزورون الكعبة ويطوفون في البيت العتيق. وتذكر المصادر التاريخية أن اللاتين في ايطاليا هو اسم لجبل قريب من مدينة روما، كان قد نصب فوقه صنم لإله يدعى اللات!!. ومنه جاء اسم شعب اللاتين في أوربا[٢].

وتروي بعض مصادر التاريخ القديم، أن الأشبين عشيرة عربية كانت تقطن بلاد الشام منذ القدم، وكان منها السدنة لمعبد حدد (وهو المكان الذي بني فوقه الجامع الأموي في دمشق، منذ الفتح الإسلامي في العصر الأموي)، وكانت هذه العشيرة تقوم على خدمة معبد حدد. وان لفظ الأشبينيين أو الأشبين (وهو المصطلح المستخدم في الكنيسة) يعود إلى أولئك الأشبينيين، وقد رحلت هذه العشيرة إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) في شرق أوربا، بسبب ظروف سياسية ودينية، وربما نتيجة صراعات مع القوى الحاكمة في بلاد الشام آنذاك. فرحلت عشيرة الأشبين من بلادٍ الشام إلى بلاد الأندلس، لكي تمنح اسمها إلى الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا) حالياً.

وكذلك فان الأرمن يضيفون لاحقة على الاسم وهي الألف والنون، فيقولون: يعقوبيان وجورجيان وقازريان.. وهكذا، وهو محاولة اضفاء التقديس على الاسم الآرامي القديم، فيمكن أن نستنتج من خلال تحليل الأسماء القديمة – كما فعلنا مع أسبانيا – فنقول انه من الوارد جداً أن يكون الاسم (أرمن) جاء من لفظة

[١] انظر كتاب: سوريا الحضارة ماذا أعطت للغرب/ د. عفيف بهنسي.

[٢] انظر كتاب: اللغة الفرنسية لغة عروبية/ محمود القاسم.

ارم، وأضيفت اللاحقة (حرف النون) بعد ظهور هذا الشعب القديم. فهل كان شعب الأرمن هو في الأصل عشيرة عربية قديمة، شأنها شأن عشيرة الأشبين الشامية، التي هاجرت الى أسبانيا في الزمن القديم _ كما أشرنا أعلاه –، وانشقت هذه العشيرة عن الأرومة العربية الآرامية (الآراميون) في الزمن السحيق قبل آلاف السنين؟.. الآراميون الذين شكلوا امبروطوريات واسعة وشاملة امتدت الى ما بعد الهضبة الآرامية التي ينبع منها النهران العربيان دجلة والفرات، والتي صارت تدعى لاحقاً (الهضبة الأرمينية)، فهل تعني كلمة أرمن آرام الله أم عرب الله؟!..

قال تعالى: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾**[1]. وإرم الواردة في الآية كانت في المنطقة العربية يقيناً، فهي لم تكن في أوربا حتماً. إن الدارس لألفاظ اللغة الأرمينية يجد أوجه التشابه بينها وبين العربية، رغم أنف خصوم العربية من المتعصبين والمتعنصرين، وكذلك الشبه بين تقاليد الأرمن والعرب معروفة. فهل كان الشعب الأرمني بالأساس مجرد عشيرة عربية آرامية، انبثقت من قبيلة عاد العربية الآرامية القديمة، وبلادها إرم ذات العماد؟.

فالأرمن والأشبين –إذن– عشائر وفصائل عربية آرامية تعود الى عصر اللغات الحنيفية وعصر إبراهيم الخليل. وان مدينة (أشبيليا) –مثلاً– التي أصلها العربي القديم (أشبيلياء) هي أول مدينة بناها الأشبينيون الآراميون، وهي لا تزال تشهد على ذلك.

---

[1] سورة الفجر / ٦ – ٨.

العربية لغة العالمين

صدر مؤخراً كتاب مهم يبحث في صلة اللغة العربية بلغات العالم القديمة والحديثة، ويثبت بأن العربية هي أم لغات العالم والأصل القديم لكل ما ظهر على الأرض من لغات ولهجات. واسم الكتاب هو: تاريخ اللغة العربية لغة العالمين للكاتب عبد الرحمن بن عطية، وقد صدر الكتاب باللغة الفرنسية في الجزائر، طبع ٢٠٠٧م – دار هومة.

ويؤكد الدكتور عثمان سعدي رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، ما جاء في هذا الكتاب من حقائق ونتائج مهمة ويقولٍ: إن الساميين هم أبطال وهميون والتاريخ يجب أن يكون يتحدث عن العرب بدلاً عن هؤلاء الوهميين.

يتحدث الكتاب عن العربيةِ العدنانية التي يرى المؤلف أن القرآن نزل بها، ويتناولها كلغة قديمة أيضاً سيطرت علىٍ مساحات شاسعة من آسيا وأوربا وأفريقيا منذ آلاف السنين، قبل أن تظهرمتأخراً اللغة الهندو أوربية .

العربية الأم والعربية والعروبية

يستخدم المؤلف مصطلح (عربية) للتدليل على اللغة العربية العدنانية التي نزل بها القرآن، ومصطلح (عروبية) ويعني بها اللغات العربية القديمة التي سميت خطأً بالسامية، كالبابلية والآشورية والكنعانية الفينيقية، والمصرية القديمة، والبربرية، وغيرها.

ويستعمل المؤلف مصطلح عربية Arab، عروبية Arabit وكذلك التصريف Arabique للإشارة إلى الإنسان العربي.

وهو يرى أن العربية الأم ظهرت قبل آلاف السنين، وتفرعت عنها لهجات عديدة، هي اللغات العروبية[1] وهي: البابلية، والآشورية، والأكدية، والكنعانية الفينيقية، والسبئية، والآرامية (السريانية)، والحميرية، والمصرية القديمة، والثمودية، والمعينية، والحبشية، والبربرية، والمندائية، والبربرية، وغيرها... ويرى المؤلف نقلاً عن مراجع ومصادر غربية عديدة ونقوش آثارية،بأن اللغات العروبية انتشرت من شمال بلاد الرافدين وبلاد الشام نحو الشمال في القوقاز وحوضي البحر الأسود وبحر قزوين، وكذلك شرقا باتجاه الهند والصين فضلاً عن بلاد فارس التي تقع بين بلاد العرب وبلاد الهند والصين. وغرباً نحو مصر وشمال أفريقيا وشرقها ومن خلال اللغة البربرية العروبية، انتشرت شمالاً في أوربا الغربية، ويستخدم المؤلف الجزائري مصطلح (البربرية – الأيبيرية) للإشارة إلى انتقال هذه اللغة العروبية إلى جزيرة الأندلس في أسبانيا وغرب أوربا. كما يرى أن اللغات العروبية انتشرت نحو آسيا الصغرى (تركيا) وشرق البحر المتوسط نحو أوربا. فاستوطنتها قبل غزو القبائل الهندوأوروبية بآلاف السنين. وقبل ظهور الحضارتين اليونانية والرومانية، اللتين هما في أساسهما حضارتان عروبيتان أيضاً كما يرى.

---

[1] وهي اللغات التي أطلقنا عليها اسم اللغات الحنيفية في كتاب (عولمة اللغة والتاريخ).

-     يؤكد المؤلف أنه توجد علاقة حضارية بين الحضارات العروبية القديمة الثلاث. وهي الحضارات الكبرى التي شهدت بزوغ حضارة الإنسان الراقية وهي: حضارة ما بين النهرين في العراق، وحضارة اليمن، وحضارة وادي النيل. ويرى أن اللغة الأم والجذع المشترك الذي اشتقت منه اللهجات العروبية، وانتشرت وابتعدت عنه، في تعدد لغوي وحضاري ليس له نظير في التاريخ، هي العربية القديمة المتناغمة مع لغة القرآن، فتنوعت الحضارات لعوامل جغرافية واجتماعية، فنشأت لغات عروبية، اكتسبت صيغاً جديدة، لكي يبقى عمودها الفقري متضمناً لخصائص اللغة الأم.

الحضارات العروبية

١-   حضارة وادي الرافدين والهلال الخصيب، حيث تكونت كيانات تجمعت في الإمبراطورية الأكدية في سنة ٢٧٤٠ ق.م، ثم مملكة أور التي ظهرت في سنة ٢١٥٠ ق.م. وظهرت المملكة البابلية سنة ١٨٩٥، وكان أبرز ملوكها حمو رابي، حكم في ١٧٩٢ ق.م، واشتهر بقانونه الشهير الذي يحمل اسمه، وكتب على مسلته المعروفة باللغة الأكدية البابلية، ثم خلفت الإمبراطورية البابلية، الإمبراطورية الآشورية سنة ١٢٥٥ق.م والتي دامت ستة قرون.

حضارة وادي النيل: لقد هاجرت قبائل عروبية من الجزيرة العربية قبل الألف السادسة ق.م إلى وادي النيل واستقرت في مصر، واندمجت مع العنصر الموجود وتكونت مملكة متحدة، كان ذلك قبل ظهور الأسرة الأولى الفرعونية، واعتلى عرش تلك المملكة المتحدة الملك مينا في الألف الخامسة ق.م. وهو الملك الذي قدسه المصريون، واعتبروه ابن حوروس، وحوروس هو حور (مثل يوسفوز ويوسف)، وهو اسم لإله عربي عند وثنيي الجزيرة والذي يرمز له بالنسر، ولعل هذا الإله ذا صلة بأحد الأصنام التي عبدها قوم نوح، وهو صنم (نسرا). ويرى ديودور الصقلي أن العربية والمصرية القديمة تنحدران من أصل واحد. وان الهكسوس هم قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب وقد حدد تاريخ

حكمها لمصر مابين ١٧٣٠ و١٥٨٠ ق.م. إن جذر رع في اللغة العربية، يشتق منه راع بمعنى راع وحاكم، وفي الحديث الشريف: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[1]، وهي لاحقة أو بادئة تستخدم في أسماء الملوك والآلهة المصرية القديمة، مثل: رعمسيس وآمون رع، وتعني الإله الراعي أو الحاكم المقدس.

٢- حضارة اليمن وجنوب الجزيرة: كانت حضارة اليمن حضارة راقية ترتكز على الزراعة والتجارة، حيث كانت تأتي بمنتجات الهند والصين وتقوم بتسويقها في المناطق الأسيوية والأفريقية وكذلك الأوربية. وقد هاجرت قبائل عربية عديدة من اليمن، منذ آلاف السنين، وحملت معها عناصر هذه الحضارة. لقد ازدهرت المملكة المعينية في منتصف الألفية الثانية ق.م. أما المملكة السبئية فقد ظهرت بعد ضعف المملكة المعينية، حوالي سنة ٨٠٠ ق.م. والتي بنت سد مأرب الشهير في سنة ٦٥٠ ق.م. وسدوداً أخرى، حولت المنطقة إلى مساحات خضراء أشبه بجنات عدن. أما الثموديون فقد كانوا يسكنون في شمال الجزيرة العربية، وكان لهم تأثير امتد حتى الجنوب شرقي اليمن، فقد اكتشف حوالي ٩٠٠٠ نقش وكتابة آثارية بلغتهم الثمودية.

٣- الحضارة الكنعانية الفينيقية: ظهر الفينيقيون في التاريخ منذ الألفية الثالثة ق.م. وقد انتشروا بحرياً في شمال البحر المتوسط وشرقه، فبنوا مراكز تجارية أولاً، ثم استقروا بشمال أفريقيا مؤسسين إمبراطورية عظمى، هي إمبراطورية قرطاجنة. وقد بنا الفينيقيون عدة مدن اسبانية، كما بنوا مدينة مرسيليا جنوب فرنسا قبل القرن الثالث عشر ق.م. باسم ماساليا.

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

انتشار اللغات العروبية في التاريخ القديم

لقد انتشرت اللغات العروبية بانتشار شعوبها، في العراق والشام وفارس والهند وآسيا الوسطى والقوقاز قبل الألفية السادسة ق.م. وفي جنوب اليمن وشواطئ المحيط الهندي والبحر الأحمر. أما في الغرب فقد انتشرت نحو شواطئ البحر الأسود وشرقي البحر المتوسط حتى وادي النيل، وفي اتجاه شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسي وشبه جزيرة أيبيريا غرب أوربا.

يقول عبد الرحمن بن عطية: إن الحاميَّة والساميَّة عندي هي العروبية. وإن أقدم اللغات العروبية هي حقيقة تاريخيةٍ مؤكدة. وإنها في الألفية الثالثة ق.م. كانت مستعملة خارج جزيرة العرب أيضاً.. وفي الألفية الأولى ق.م. انتشرت الآرامية، وصارت اللغة الرسمية للإمبراطورية الفارسية، ثم صارت – بتطور طبيعي – مع بداية العهد المسيحي، اللغة الدينية للديانة المسيحية.

لقد أصبحت اللغات العروبية لغات حضارية كاملة بانتشار قصائد ووثائق رأس الشمرا وقانون حمو رابي، وذلك قبل ظهور اللغات الهندو أوربية مع غزو قبائلها الشرسة وغير المسيسة، في الفترات التالية:–

- مع الحثيين بعد ١٧٧٥ ق.م.
- في الهند بين ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق.م.
- مع الهيليين مع مطلع القرن ١٢ ق.م.
- في إيران مع الميديين والفرس في القرن السابع ق.م.
- في ايطاليا مع الرمان في القرن السادس ق.م.

وقد اتفق الباحثون على أن ولادة اللغات الهندو أوربية لم تكن قبل القرن السادس ق.م.

اللغة العروبية لغة الديانات السماوية وكتاباتها

يرى الكاتب ابن عطية أن اللغات العروبية كانت لغات سائر الديانات السماوية، فان إبراهيم الخليل (ﷺ) كانت لغته البابلية أو الكلدانية، وأن التوراة الأصلية باللغة الكنعانية، والإنجيل نزل بالآرامية (أو السريانية) والقرآن نزل باللغة العربية العدنانية (!). ويقول: إن اللغة العربية هي البداية والنهاية للغات العروبية.. ويقول عن كتابات اللغات العروبية: الكتابة المسمارية قبل الألفية الرابعة ق.م. . الكتابة الثمودية كانت تكتب بالخط المسند الأول في شمال الجزيرة بالألفية الرابعة ق.م. . أما كتابة جنوب الجزيرة فكانت بالخط المسند الثاني في الألفية الثانية ق.م. وفي مصر كانت الكتابة الهيروغليفية قبل الألفية الرابعة ق.م. وكتابة سيناء ١٨٥٠ ق.م. والكتابة الفينيقية الهجائية المنظمة في سوريا (فينيقيا) وآسيا الصغرى ابتداء من القرن الرابع عشر ق.م. والكتابة الآرامية في الهلال الخصيب ابتداء من القرن السابع ق.م. ثم كتابة الحيرة ابتداء من القرن الثالث الميلادي. وأخيرا كتابة الحجاز في وسط الجزيرة ابتداء من القرن الخامس الميلادي. ويؤكد الباحث د. محمد بهجت قبيسي على أن قرابة اللغة الكنعانية بالعربية تمثل ٩٤%، أما قرب الأكدية من العربية فإنها ٦٥% ومثلها لغات اليمن وجنوب الجزيرة العربية.

وللمؤلف كتاب آخر بالفرنسية عن اللغة البربرية، يقر فيه بعروبتها وأنها انحدرت من جزيرة العرب، وهو يتفق مع كتاب (الأمازيغ البربر عرب عاربة) ويقر المؤرخ الأمريكي (وليام لانغر) هذه الحقيقة التاريخية في كتابه (موسوعة العالم) ج١ فيقول: وقد انتشر عنصر من عناصر البحر المتوسط والصحراء الكبرى، الطويلة الرؤوس وأقاربهم من العرب والبربر وغيرهم في جنوب أوربا وشمال أفريقيا والشرق الأدنى. ومن الجدير بالذكر أن اللغويين يؤكدون على عروبة اللغة المالطية أيضاً، وذلك لكثرة المفردات والألفاظ العروبية التي تحتويها.

قالوا في العربية لغة الحكمة والبيان

قال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع: أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وفي رواية أخرى: أيها الناس: إن الرب واحد والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أمٍّ وأب، إنما العربية اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي. الناس سواسية كأسنان المَشط الواحد لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، اللهم هل بلّغت؟ قالوا: نعم بلّغت. رواه أحمد (٤١١/٥) وقال ﷺ: إن من البيان لسحراً وان من الشعر لحكمة. رواه أصحاب السنن. ورواه البخاري عن إبن عمر بلفظ: إن من البيان لسحرا.

وعن عمر ﷺ قال: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة. وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أن مر من قِبلَك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق. وقال الإمام الشافعي منبهاً إلى فضل العربية : وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ﷺ ولا يجوز – والله أعلم – أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه وكل أهل دين قبله فعليهم إتباع دينه.

ويقول أحمد بن تيمية: وأما اعتياد الخطاب بغير العربية، التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار وللرجل مع صاحبه ولأهل السوق أو للأمراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه.

وعن تقارب اللهجات واللغات العروبية (الحنيفية) يروي ابن القيم الجوزية عن شيخه، أنه قد تعلم العبرية والسريانية خلال مدة قصيرة، بسبب قربها من العربية، ويقول: صرح ابن تيمية بمعرفته للعبرانية (الكنعانية) عن طريق معرفته للعربية[1].

ولقد عبر اللغوي الشهير (أبو منصور الثعالبي) تعبيراً رائعاً عن قيمة اللغة العربية وأهميتها وقدرها وفضلها بالنسبة للمسلم العربي الهوية والانتماء، حيث قال في مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية): من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمداً ﷺ ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها. وصرف همته إليها ومن هداه الله تعالى للإسلام، وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة. والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والممات، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة التعيين في معرفة اعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة، التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره[2].

ويقول حسن البنا في وصاياه العشر:

اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإن ذلك من شعار الإسلام.

وقد دعا حسن البنا- رحمه الله - إلى الوحدة العربية بحماسة شديدة، وتحدَّث عن ميزات العروبة، وخصائصها، والقيم التي تحلّت بها وعرفت عنها فقال: نحن نعلم أن لكل شعب ميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعةً إلى العدوان، بل عليها

---

[1] انظر كتاب: مجموعة الفتاوى/ لإبن تيمية/ ج ٤/ ١١٠.

[2] انظركتاب : فقه اللغة وسر العربية/ للثعالبي، المقدمة.

أن تتخذ ذلك وسيلة إلى النهوض بالإنسانية، ولعلّك لست واحداَ في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كماٍ أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ، وتحدث عن الوحدة حديثًا يفيض في الحماسة والاقتناع، وربطه بالعقيدة وأصول الدعوة إلى الإسلام في مناسبات كثيرة، وفي فترات متفاوتة. وقد كان واضحا ما جاء في خطابه بالمؤتمر الخامس، فقال: ثم أن هذا الإسلام نشأ عربيًّا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربي مبين، وتوحَّدت الأُمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذلَّ العرب ذلَّ الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه. إن المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل ﷺ : "ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان"، ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لإعادة مجد الإسلام، وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقفنا من الوحدة العربية.

أقوال غربية في لغة القرآن

إن أمة الإسلام هي أمة الأنبياء والمرسلين على مدار التاريخ، وهي خير أمة أخرجت للناس، لأنها صاحبت الرسالة المقدسة، والأمة الهادية الى سواء السبيل، وان لسانها هو اللسان العربي المبين، وعقيدتها هي عقيدة التوحيد والاخلاص لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم**

فاعبدون﴾[1] وقال: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾**[2].

يقول عالم المصريات ق.م. المستشرق بريستد Breasted:

إن المجموعات النازحة بلغاتها العروبية لمصر من جزيرة العرب قبل الألف السادسة ق.م. هي التي ساهمت في تحقيق وحدة الملكية التي جاءت باسم برعوي الذي صار فيما بعد فرعون.

ويقول المستشرق الفرنسي رينان:

إن هذه اللغة التي لم يعرف مصدرها، تتقدم لنا- بصورة مفاجئة- كلغة متقنه، وفي كلمة واحدة كاملة، ومنذ هذا التاريخ- أي تاريخ مجئ الإسلام- وحتى يومنا هذا، لم يلحق بها أي تحوير مهم، إنها لغة لا تعرف الطفولة ولا الشيخوخة... ولا أدري هل يوجد مثل لغوي آخر بالعالم شبيه بهذه اللغة، خالية من أوضاع الهجر ومن توسل أو تلمس متردد.

إن هناك علاقة دلالية لاسم عرب مع دعوات الأنبياء والرسل، وقد ورد لفظ (عرب) في التوراة أيضاً، في كلمات: عربوث، عربة. ويقول رينان: إن اللغة العربية موجودة في كل مكان بأفريقيا، فبفضل العربية وجدت حضارات عديدة في أفريقيا وكذلك بعض الآداب العربية.

ويقر المؤرخ الأمريكي (وليام لانغر) الحقيقة التاريخية، التي تشير الى قدم العرب ولغة القرآن، في كتابه (موسوعة العالم) ج١ فيقول:

وقد انتشر عنصر من عناصر البحر المتوسط والصحراء الكبرى، الطويلة الرؤوس وأقاربهم من العرب والبربر وغيرهم في جنوب أوربا وشمال أفريقيا والشرق الأدنى.

---

[1] سورة الأنبياء/ ٩٢.

[2] سورة آل عمران/ ١١٠.

ويقول غوستاف لوبون بما يؤيد فكرة امتداد العروبية في العالم، في كتابه (حضارة العرب): إن اللغويات تؤكد لنا بأنه في زمن معين قديم جداً، كانت المساحات الواسعة في القوقاز وجنوب جزيرة العرب مسكونة بجنس واحد، أي بشعوبٍ كانت تتكلم لغة واحدة. والجنس الذي يقصده لوبون هو الجنس العربي طبعاً، واللغة هي اللغة العربية.

ويؤكد المؤرخون الأوربيون أن الشخصية العربية كانت على الدوام تتميز بصفات الفروسية، من كرم ونبل وشجاعة وذكاء ومهارة في ركوب البحر والتجارة. ويقول المؤرخ ول ديورانت ويصف فضل الفينيقيين: لقد أقاموا لهم حاميات في نقط منيعة على ساحل البحر المتوسط، أقاموها في قادس، وقرطاجنة، ومرسليا، ومالطة، وصقلية، وسردينيا، وقورسقة، بل وفي انكلترا البعيدة. واحتلوا قبرص، وميلوس، ورودس، ونقلوا الفنون والعلوم، من مصر، وكريت، والشرق الأدنى، ونشروها في اليونان، وايطاليا، وأسبانيا، وفي أفريقيا، وربطوا الشرق بالغرب بشبكة من الروابط التجارية والثقافية، وشرعوا ينتشلون أوربا من براثن الهمجية[١].

يقول المؤرخ الفرنسي بيير روسي: كل شيء يمكن أن يكون بسيطاً لو أننا بدل أن نتحدث عن الساميين – الأبطال الوهميين الذين صنعتهم الأساطير التوراتية – نتحدث عن العرب، عن الشعب الذي وجد في الواقع، له كيان اجتماعي وثقافي ولغوي دائم، الشعب الذي منح الحياة والتوازن للبحر المتوسط منذ آلاف السنين.

وأخيراً وليس آخراُ تقول الكاتبة الأمريكية كاريما بيرنز عن جمال اللغة العربية وجمالية الخط العربي:

جلست في مجلس الحمراء في غرناطة بأسبانيا، أحدق في الخطوط المكتوبة على أطراف الجدران. كانت تلك أجمل لغة أشاهدها على الإطلاق. ما هذه

---

[١] لقد قام العرب مرتين بانتشال أوربا من الهمجية والتخلف، في العصور الفينيقية قديماً (في أواخر الألف الثاني ق.م)، وفي الأندلس في العصور الوسطى، فهل كانت أوربا وفية للعرب أم إنها تحالفت مع خصومهم لإذلالهم واحتقارهم واستعمارهم؟..

اللغة؟ .. سألت أحد السواح الأسبان، فقال: العربية. لقد كانت حقيبتي في نهاية الرحلة السياحية مكتظة بالكتيبات السياحية المكتوبة باللغة العربية، وكانت كما لو أنها صيغت من ذهب .. لقد كنت أفتحها كل ليلة، وأنظر إلى حروفها وهي تتدفق عبر الصفحات. وحدثت نفسي قائلة: لابد أن هنالك شيئاً جديداً بالمعرفة في الثقافة التي خطتها لغة فائقة الجمال كهذه.. وعاهدت نفسي على تعلم تلك اللغة عندما أبدأ دراستي في الجامعة.. وكانت تلك أولى الخطوات التي قادتني إلى الإسلام وحب العرب واللغة العربية..[١]

فأسلمت الآن والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

[١] انظـــر الموقـــع الالكترونـــي علـــى الإنترنـــت:
www.islamfortoday.com/karimaburns.Htm

مفردات الحداثة والتقانة في اللغات الأوربية ذات الأصل العربي

أدناه قائمة مختارة من مفردات الحداثة والتقنية القريبة من عالمنا اللغوي المعاصر، لكي نلمس عمق الصلة بين لغة القرآن واللغات الأوربية وغيرها، لاسيما ونحن نعلم الصلة العميقة بين اللغات الشرقية كالتركية والفارسية والكردية والهندية (الأوردية) باللغة العربية، رغم ما قام به البعض لمحاولة عزل تأثير اللغة العربية عن أخواتها اللغات الشرقية وإهمال الحرف العربي والكتابه به وفق نهج متعمد ومدروس، ومحاولة الاعتماد على الحرف اللاتيني، لاسيما ما حدث من ترتيبات وتغييرات في بعض الدول الإسلامية، وفي مقدمة ذلك ما جرى في تركيا العلمانية بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية وحتى الآن. وقد كان يقال فيما قبل عهد الاستعمار، إن نصف اللغة الفارسية والكردية تحتوي على مفردات عربية خالصة أو ذات أصول عربية واضحة بسبب الدين والتاريخ المشترك، وما اللغة الأوردية – كلغة شرقية وسيطة – إلا هجين من اللغات العربية والتركية والفارسية. أما اللغة التركية في العهد العثماني فكانت تتكون من مفردات لغوية ثلثها عربية ومثلها تركية ومثلها فارسية، حتى جاءت العلمنة ومن بعدها العولمة الحالية وعملت جاهدة على فك الارتباط بين اللغات الشرقية الشقيقة للغة العربية وبين لغة القرآن، ومحاربة الحرف القرآني واللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن، وكذلك العمل وبجد ومثابرة وإصرار على التقليل من شأن اللغة العربية وتاريخها ودورها الحضاري والديني والعلمي في تاريخ البشرية.وينبغي التنبه على حقيقة مؤلمة مفادها، أنه لم يكن في الساحة الثقافية من يتصدى لتلك الخطط والمؤامرات والنوايا المعلنة والخفية سوى كتاب الله المجيد (القرآن الكريم) بقوةِ أثره وفعلّه في النفوس والقلوب والعقول، ومن خلال بثّه المتواصل لروح التحدي والتصدي لحضارة الشيطان المناوئة له ودورها الخبيث على الأرض، لاسيما بعد الهيمنة والغطرسة التي تبديها حضارة الغرب المادية، بعد أن اعتلت زمام القيادة والمبادرة في الحضارة الحديثة. ودور القرآن

لا يخفى في غرس روح العدل والايمان والوحدة والتعاون الانساني ومقاومة الشر والفساد والفوضى في العالم، ومنها فوضى صدام الحضاراتِ وتصارع اللغات والثقافات، بدلاً من رفع (شعار منتدى الحضارات) وحوارها البناء الذي نادى به القرآن منذ أكثر من ألف عام، يوم ساد منهجه الرباني بقاع العالم القديم في آسيا وأفريقيا وأوربا.

وإذا كان البعض لا يصدق عمق الصلة بين العربية وباقي لغات العالم، ومنها – على سبيل المثال – إن اسم شكسبير الكاتب الإنكليزي الشهير، الذي كانت كتاباته ورواياته البليغة تنزل مثل السياط على دعاة العرقية والعنصرية والتوراتية، لاسيما كتابه الشهير رواية (تاجر البندقية)، قد جاء من أصل عربي، وهو في الأصل: شيخ زبير ثم تحورٍ الى شيك زبير ثم الى شيكسبير فشكسبير. وقد أصبح اسم شكسبير متداولاً في أوربا بعد سطوع الحضارة الأندلسية وانتشار ضيائها ونورها المتلألىء على أوربا العصور الوسطى، رغم الضعف السياسي الذي حل بها، بفعل تكالب الغرب الهمجي عليها وعلى حضارتها المتميزة، ومنٍ ثم سقوطها في براثن محاكم التفتيش الاسبانية الشهيرة قبل خمسة قرون تقريباً.

والشيء نفسه ينطبق على لفظ– انفلوانزا، Influenza .. وان أصل اللفظة جاءت من العربية (أنف العنزة)، إشارة الى حالة الرشح الدائمة في أنف العنزة، وهو خير تعبير عن مرض الرشح الشائع بين الناس، ثم تحورت في أوربا الى انفلونزا والى مرض الانفلونزا.

وفي المقابل فانٍ اسم (ميرزا) الذي شاع واشتهر في ايران والهند وبقية بلاد العجم هو أيضاً اسم وكنية من أصل عربي، اذ أنه جاء من اختصار عبارة (أمير حمزة) ثم مير همزة ثم ميرزا..والأمر نفسه ينطبق على مفردة حاخام التي أتت من كلمة حكيم العربية، وكوهين من كلمة كاهن، وتلمود من تلميذ، ومشكينو من مسكين.. وهكذا.

أما صلة العربية العدنانية باللغات واللهجات الحنيفية الأولى، لاسيما الأكدية والكنعانية والسريانية والسبئية وغيرها، فهي لا تحتاج الى برهان أو عناء من

تأمل أو تفكير، لأن علماء اللغة والآثار والتاريخ قد أجمعوا على أصلها اللغوي الواحد، وأطلقوا عليها اسم اللغات السامية تمشياً مع منطق التوراة الأسطوري. وقد أطلقنا عليها اسم اللغات الحنيفية، وهو لا شك اسم علمي وقرآني،وان قراءة التاريخ قراءة واعية وفق المنظور القرآني كفيلة بتوضيح هذه الحقيقة والأطروحة، وتسليط الضوء على عمق تأثير لغة القرآن على لغات العالم قاطبة دون استثناء، وتسليط الضوء على حقيقة الأصل الأوحد لحضارة الانسان ولغاته على الأرض، منذ عصر أبينا آدم الذي نطق باللغة التوقيفية البشرية، بعد أن أعطاه الله سبحانه قدرة النطق والبيان وأيده بالرسالة والنبوة، ليبشرالناس برسالة التوحيد على بينة ويقيم الحجة على الأرض مع بقية الأنبياء والمرسلين، الذين انطلقوا من المشرق العربي والتي أشار اليها القرآن في سوره وآياته المنيرة[١].

ولقد اخترنا من المفردات اللاتينية الواردة في الملحق مفردات لغوية لاتينية وفرنسية وانكليزية ذات أصل عربي واضح، ولها نكهة ورائحة الحداثة والتقنية والمعاصرة لكي تكون قريبة من اهتمام القاريء وتجسم له الصلة الوثيقة بين اللغات الأوربية وبين العربية أم اللغات الحنيفية وكل لغات العالم على الاطلاق. تاركين للقاريء الحصيف الحكم على هذا الموضوع الحضاري الوحدوي واللغوي من خلال القائمة المختارة أدناه وبقية فقرات الكتاب:

Charta: في الفرنسية (carte) وهي شرطه (من قماش أو غيره) وفي اللاتينية خصصت بشرطة من ورق (كارت) وَكذا في الإنكليزية (chart).

Examiner: أخمن (أمتحن) من خمن، والراء مصدرية تحذف، وقد تغير المعنى من التقدير بالحدس في العربي إلى التقدير بالمراقبة والانتباه في الفرنسية وتحولت الخاء إلى (x).

Ventus : لعلها من (سفنةٌ)أي هبة الريح، حذفت السين من أولها بسبب لفظها ساكنة في بعض اللهجات، وانتقل المعنى من التخصيص إلى التعميم فصارت تعني (ريح) أو تهوية، وفي الفرنسية والإنكليزية vent .

---

[١] انظر للتفصيل كتاب: عولمة اللغة والتاريخ، الملحق/ للمؤلف ط. الأردن.

Degree: درجة تحولت الجيم إلى (g) وانتقلت إلى الوسط. وهي نفسها في اللغة الإنكليزية.

Liquide : ولفظها بالعربية (لقيد أو لقد) وبتغير موقع حرف الدال كما في الأصل العربي نحصل على (دلق) وهو معنى الكلمة الفرنسية (سائل).

Manica : بنيته لفظاً ومعنى، مع تبديل الباء بالميم مثل مكة وبكه وموسى وبوذا ومكان وبكان. فإبدال الباء بالميم من أبرز أنواع إبدال الحروف في اللغات واللهجات المترابطة، واللفظ الفرنسي manche.

Major: وهو أكبر. إن كلمة (مجر) في اللغة العربية تعني (الجيش العظيم) و(الكثير في كل شيء) وذلك يعني أن (مجر) العربية و(ماجور) اللاتينية ثم الفرنسية majeur والإنكليزية major يكاد يكون واحد.

Zona: وهو زنار، لفظاً ومعنى بعد حذف الراء في اللفظ العربي. وهي تعني (منطقة). أما الفرنسية فاللفظ هو zone وكذا الإنكليزية zone .

Rotare: (أدار) وأن (rota) اللاتينية بعد حذف الراء المصدرية، هي مقلوب أدار مع إبدال الدال بالتاء، أي أن الفعل (أدار) انزلق إلى اللاتينية مع قلب لفظه وحفظ معناه، ثم انزلق إلى الفرنسية (rôder) بعد عودة التاء إلى أصلها (الدال) وهي تعني (تسكّع، طاف) وكذا المعنى اللاتيني (أدار) هو نفسه في الإنكليزية، من الأصل العربي (أدار).

Résorber: مركبة من البادئة (ré) وتعني (من جديد) ومن الفعل sorber = شرب، و معناها (امتص).

Rester: (رست) من رسى باللفظ والمعنى، والتاء للتأنيث بعد انتقالها للاتيني والفرنسي. ومنها كلمة rest الإنكليزية وتعني راحة.

Divergere: تعني (حنى) وفي الفرنسية تعني (تباعد) وأصلها العربي من (تفرق) لفظاً ومعنى، مع إبدال التاء ب (d). ولها تخريج أخر هو أنها جاءت من البادئة (di) بمعنى الإتمام والتكميل و verger = فرق أو فرج لفظاً ومعنى.

Capra : أي (بقرة) تبادلت الباء والقاف المراكز، وتغير المعنى من البقرة في اللاتيني إلى المعزاة في الفرنسي ولفظها (chévre). واللفظ الإنكليزي cay.
Vacca: (بقرة) بإضافة الراء المحذوف إلى الأصل اللاتيني، مع إبدال الباء بـ (v). ومنها اللفظ الفرنسي (vache) المنزلق من اللاتيني بمعنى (بقرة) أيضاً.
Stri : (سطر) بمعنى (حزّ، ثَلم) وقد تكون أيضاً من (شتْر = جرح) باللفظ والمعنى،وربما منها streat وتعني الحز أو الخط المستقيم أو الشارع.
Quem: هي (كم) في اللاتيني تحولت إلى que في الفرنسي لتعني (ما) و quantum في الإنكليزية وتعني الكم.
Desport: تسلى من (تبسط) بعد أن تبادلت الباء والسين المركز، وتحولت التاء إلى دال وزيد عليها (r)، وحين تحولت إلى الفرنسية والإنكليزية أصبحت (sport) بعد حذف (de) منها.
Disposition: تنظيم، توزيع، وهي مركبة من البادئة dis وكلمة position = بسط وتعني وضع.
Marquer : مرقط، رقط لفظاً ومعنى، وهي حسب المعجم الفرنسي من الفعل marequer = رقم، وقد زيد عليها التاء الذي هو للتأنيث، والكلمتين رقط ورقم عربية الأصل. انزلقتا إلى اللاتينية والفرنسية.
Diriger : درج، لفظاً ومعنى (درجه في الطريق) ومنها degree الإنكليزية بمعنى (درجة) مع تبادل الموقع بين الراء والجيم.
Medianus: وهي في الفرنسية moyen وفي الإنكليزية medium، وقد تطورت اللاتينية على مراحل: من الوسط ← من الوسد ← مد النوس ← مديانوس، وبقي المعنى نفسه في اللاتيني وهو (الوسط).
Caravane: كرفان وهي (قيروان) القافلة باللفظ والمعنى.
Secare: شقّ لفظاً ومعنى والراء مصدرية ليست من أصل الكلمة، وأعطيت معنى هندسياً اصطلاحياً (قاطع) ومنها (sector) الإنكليزية و (secteur) في الفرنسية.

Noyeau: نواة، لفظاً ومعنى ومنها neoclear الإنكليزية.

Ambasciata: نحذف أداة التعريف (am) يبقى basciata التي هي بعثة لفظاً ومعنى، وهي منزلقة من لهجة عروبية أداة التعريف فيها هي (ام) ومنها انزلقت الى اللفظة الفرنسية (ambassade) ، وفي الإنكليزية embassy أي سفارة.

Libérer: (تحرير) أصلها من عبارة (لِ – برة) أي خارج البيت أو السجن أو القلعة... وذلك يعني التحرير بدقة، وفي المندائية شبيه، ففيها كلمة (لبر) تعني (الخارج) أو (مستبعد)، وذلك يفسر المعنى اللاتيني (تحرير، تخليص، إنقاذ).

Attifer،Tifer : (أتحف، تحف) أي جعله تحفة.

Ampulla : (قارورة صغيرة) والكلمة مركبة من أداة التعريف (ام) والكلمة (pulla) التي هي (بالة) = قارورة أو وعاء الطيب، باللفظ والمعنى. وفي الفرنسية ampoule والإنكليزية ampoule، ويلاحظ أن أداة التعريف بعد أن أدمجت في كلمة (بالة). أصبحت الكلمة اللاتينية (امبالة) بحاجة إلى أداة تعريف إضافية، وكذا في الفرنسية والإنكليزية.

Furnus : (فرن) لفظاً ومعنى، وفي الفرنسية four حيث حذفت النون، وفي الإنكليزية furnace.

Frictare : (فَرَكَت) لفظاً ومعنى، والتاء للتأنيث قطعاً. أما اللفظ الفرنسي فأصبح frotter، ومنها friction الإنكليزية بمعنى الأحتكاك.

Cridet: (قرضت) باللفظ والمعنى، ومنها L/C في فتح الاعتماد البنكي Letter Of Cridet وتاء التأنيث العربية في آخر كلمة (Cridet) دالة على عربيتها.

Praefatio: من البادئة prae وتفيد معنى: (قبل، أمام، مقدمة) ومن كلمة (fatio) = فاتحة لفظاً ومعنى، أي (الفاتحة القبلية أو الأمامية) أي (المقدمة، ومنها الفرنسية) (préface) وكذا النكليزية (preface).

Condenser : (كدس) وكثف بعد حذف النونان المقحمتان، وقد تكون احداها نون النسوة (للتأنيث) والثانية نون التنوين (للتعريف) مزجت مع الاسم

(كدس) قبل اشتقاق الفعل. وصارت (كدِسن) بمعنى (الكدس) ثم صارت مع تطور الزمن (كندس) ثم اشتق الفعل (كندس) في ظروف كانت فيها الهيمنة لصيغة التأنيث لأسباب دينية، ثم تجمدت في ظروف أخرى في هذا الفعل بعد إضافة نون النسوة فاصبحت (كندس) ثم كانت اللفظة اللاتينية (كندنس) = (condensa) وبمعنى (كثف) ومنها إلى الفرنسية دون تغيير وكذا في الإنكليزية.

Embruon: (جنين) وهي مكونة من أداة التعريف (أم) وكلمة (bruon) وهي (بر) لفظاً ومعنى، ومعناه في العربية (ابن)، وكذا في المندائية (برا)، وقد كتب في نقش النمارة: (امرؤ القيس بر عمرو..) وهي في الفرنسية (embryon) ومن حيث المعنى، فقد انتقل المعنى من التعميم في الأصل العروبي (ابن) إلى التخصيص في الإغريقي (ابن في الرحم) ثم خصص بشكل أضيق في الفرنسية (ابن في الرحم في مراحل تطوره الاولى) أي الجنين.

Levare: رفع بلفظها بعد أبدال الراء بلام وبمعناها دون تغيير ، ومنها في الفرنسية lever والإنكليزية left وكذلك elevate أي يرفع ويصعد، ومنها المصعد والرافعة Elevator .

Homo: (حمو) = أبو الزوج أو أخوه [ذكر أو أنثى] انتقلت باللفظ إلى اللاتينية، وانتقل المعنى من التخصيص إلى التعميم، لتعني (رجل، انسان)، ومنها في اللهجة الاكدية (حمورابي) وتعني (الأب المعلم)، وحمو في البابلية تعني (أب)، ومنها (homology) وهي في الفرنسية (home).

Summa: (سما) باللفظ والمعنى، وهو النقطة العليا أو أعلى الشيء، وفي الفرنسية أصبحت somme وفي الإنكليزية sum لتدل على (ناتج الجمع) أو (مجموع أشياء ضمَّت إلى بعضها) أي تغير المعنى من التعميم إلى التخصيص (المعنى الرياضي) وبقي التطابق بين العربي واللاتيني.

Figure: (فقرة) العربية باللفظ والمعنى، ولكنه تحول من الدلالة على (خرزة الظهر) في العربية إلى الدلالة على (الوجه) والشكل في اللاتينية والفرنسية وكذا

في الإنكليزية figure أي شكل. ولهذا التخريج أصل في اللهجات العروبية، فكلمة (فقرة) في المندائية تعني (جسد، بِدن) وتلفظ (فقرا).

Portus: (فرضة) (محط السفن) لفظاً ومعنى، وحرف ال (s) مقحم للاعراب للدلالة على الرفع، وهي في الفرنسية والإنكليزية (port) نفس المعنى (ميناء).

Porta: (فردة) وهي الفتحة في الجدار أو البِاب، وتعني اللوح المصنع لغلق الفتحة، وكلمة (فردة) هي عامية تطورت من (درفة) قلبت حروفها وبقي المعنى ثابتاً، وفرِدة الباب انتقل المعنى من الجزء إلى الكل أي الباب، وقد تكون أصل الكلمة (فرضة) أي (الخشبة التي تدور عليها الباب (النجران)، وانْتقل المعنى من الجزء إلى الكل). و(فرض) تعني (الحز) ثم صارت تعني الحفر أو النقب في الجدار، وقد يكون مد الألف في porta هو أداة التعريف في الأصل العروبي (ولعله السرياني). وهي في الفرنسية porte.

Masque: (مسخرة) حسب المعجم الفرنسي، بعد حذف الراء والتاء المربوطة، ولكنها من كلمة (مسخ) أولى وِتحول معناها إلى (قناع).

Operer, operate: (أَبر) الزرع = أصلحه، أبر النخل = لقحه، إئتبر البئر= حفره، أبَّر الإبر= صنعها، وكل مصلح صنعة هو آبرها، وهو معنى الكلمة الفرنسية والإنكليزية (صنع، عمل) ومنها العامل operator والعملية operation.

Note: (نوط) لفظاً ومعنى، وتعني (تعليق أو ملاحظة) ومنها notice الإنكليزية.

Hospitium: (هسبت) في العربية السبئية وفي عربية الحجاز (أسبت) ومعناها (أراح، أنام ،...) والمصدر من (هسبي) هو (هسبات) والنسبة (هسباتي) ومع التميم تصير (هسباتيم) التي هي نفس الكلمة اللاتينية hospitium لفظاً ومعنى. وهي في الفرنسية hospice والإنكليزية hoste وتعني الضيف، ومنها hospital المستشفى أو المشفى. وهناك شاهدان في اللفظة اللاتينية، على انها من اللهجة العربية السبئية هما: الهاء في أول فعلها ومشتقاتها، والتميم في أخرها.

Attirer : (أطر) ولها معنيان (طرد) و(أغرى) أي جذب، وفي الفرنسية تعني (جذب، أغرى، استمال) وكذا في الإنكليزية ومنها attractive أي جذاب، وفي المعجم الفرنسي انها من tirer = سحب، جر، جذب والتي أصلها العربي (طر) وتعني طرد فعكس معناها، أو هي (تلّ) أي جذب وسحب.

Aider: (أدنى) باللفظ والمعنى، وتعني أعان وأسعف ومنها aid الإنكليزية بمعنى اسعاف أسعف.

Tare: (طرح) حسب المعجم الفرنسي الذي يؤكد عروبتها ومعناها الذي انتقل الى التخصيص، فصار يدل على الوزن الذي يطرح من الوزن القائم ليبقى الوزن الصافي.

Periode: (بريد) انتقل معناها من (مدى مكاني) إلى (مدى زماني) في اللاتينية والفرنسية. وقد تكون من (فرط) و(فريط) وهوالحين من الزمن بين الثلاثة أيام والخمسة عشر، انتقل المعنى إلى التعميم في اللاتينية والفرنسية، لتعني (مدى زماني) بكل معانيه. كما يمكن أن تكون الأصل العربي للكلمة (برهة) وهي (فترة من الزمن). وكل تلك الألفاظ عربية الأصل والمنبع.

Planta: (النبات) نفس حروف الكلمة خلا مد التعريف بدل (أل) التعريف في العربية. أي أن أصلها نباتا ثم تبدلت مواقع الحروف، وفي الفرنسية اللفظ هو (plante) والفعل (planter) ومعناه (زرع، غرس) بدلاً من (نبت) المنسجم مع الكلمة (plante).

Jalon: (قلع) والمقلاع هي الآلة التي كانت ترمي الحجارة في الحروب والاعمار، ومنها (المنجنيق) وقد يكون ذو صلة بالكلمة (jalon) أيضاً. وهي تعني (وتد شاخص) من الفعل اللاتيني (galire) = رمى، قذف، قلع. إن الفعل (قلع) كان يستعمل بمعنى (رمى) كما في (مقلاع)، وكلمة (قلاعة) وهي الحجر أو المدر يقتلع من الأرض فيرمى به، ومن المشتقات المعاصرة لقلع، اقلاع، مثل اقلاع الطائرة وغيرها. وقد تكون (jalon) الفرنسية انزلقت مباشرة من كلمة (جلٌّ = الشراع) العربية دون المرور عن طريق اللاتينية.

Cader و Chance : الأولـى لاتينيـة وتعنـي وقـع وهـي (قـاض) والثانيـة chance مشتقة منها حسبِ المعجم الفرنسي وتعني (حظ) وكذا في الإنكليزية. و(قاض) هـي cade لفظاً ومعنـى، انتقلت من التعدي إلـى اللزوم وأصـبحت تعنـي (سـقط، وقـع) وعنـد أنزلاقهـا للفرنسـي أبتِعد المعنـى وصـار (حـظ). وهنـاك تخريج آخر للفظ الفرنسـي chance وهو (قنص) وغالباً تستعمل لفظـة (قنص أو صيد) بمعنى (حظِ).

Sufferre : (صـفر) لفظـاً ومعنـى مـع تغيـر طفيـف وتعنـي (جـاع) وأصـابه الصفار أو أبو صفارَ، أو ماء أصفر يجتمع في البطن، وصفرة تعلو اللون من شـحوب ومـرض، أو داء اليرقـان، وأصـفر وصـفر = أفتقـر، وهـي كلهـا تعنـي المقاسـاة والتـألم وهـو معنـى الكلمـة اللاتينيـة، وفـي الإنكليزيـة suffer أمـا الفرنسية فهي (souffrir)

Alôd : (العقدة) العين تحولت إلـى (o) وحذفت القـاف بدلالـة علامـة الحـذف (^) المرسومة فوق الحرف (ô)، والعقدة هي الولاية والبيعة المقودة للولاة، وهي المكان كثير الشجر والكلأ، وموضع العقدة ما يمسك الشـيء ويوثقه، وهو معنـى الكلمـة الفرنكيـة (alôd) وانزلقت منهـا الكلمـة الفرنسـية (alleu)، وهـذه الكلمـة بقيت تحمل علماً يذكرنا بأصلها العربي وهو (أل) التعريف في أولها، ويعلن عن هويتها العروبية ويؤكد انزلاقها من عربية الحجاز (المكية) المتصفة بأداة تعريفها (أل).

Prêcher : بشّر (علم الدين) ومنها (التبشير) بلفظها (بعد تغير مكان الراء) وبمعناها.

Irriguer: أراق بـاللفظ والمعنـى الـذي انـزاح مـن اطـلاق (الإراقـة) إلـى الإراقـة لسقي النبات باطلاقه أيضاً (الري).

Accidens: السـين علامـة الرفـع والنـون للتنـوين، يبقـى (accide) = وهـي مركّبة من كلمتين هِما: (a) بمعنـى (لا) و (ccide) = قصّد، باللفظ والمعنـى، وتكون الكلمـة (لا قصد) بعد حذف اللام من (لا) في الكلمـة اللاتينيـة، ومعناها:

(عارض، طاريء، مصادفة، حادث عرضي).. وفي الفرنسية accident وكذا في الإنكليزية انزلقت اليهما من أمهما اللاتينية.

Sol: (شعلة) تحولت العين إلى مد، وحذفت التاء المربوطة التي تلفظ هاء، وفي الفرنسية soleil واذا كان انزلاقها من العربية مباشرة، فيكون أصلها (صلاع) (صلاع الشمس هو حرها) و (انصلاع الشمس بزوغها) أو من (صلى) و(صلاء)، وفي جميع الحالات انزاح معناها من الصفة إلى الموصوف.

Capsa: (قفص) باللفظ والمعنى، وتطور المعنى إلى صندوق في الفرنسية caisse وفي الإنكليزية caige، منها قفص السنجاب (suquerl caige). والقفص هو نوع من الصناديق والتخصيص اللغوي أمر شائع في اللغات.

Resistere: (رس) أو (رسس) باللفظ والمعنى، وتعني (ثبت) و(قاوم)، الراء مصدرية والتاء للتأنيث. ولعل أصل الكلمة (رسيس = ثابت) استعملت في اللاتيني بمعنى الفعل ثم ثبتت تاء التأنيث، وبأنتقالها إلى الفرنسية (résister) وكذا الإنكليزية، تطور المعنى من (ثبت) إلى (قاوم).Cipolla : (بصلة) انتقلت صادها إلى أول الكلمة، وهي ايطالية، أما في الفرنسي فهي (cipolin) وأصبحت تعني (رخام بصلي) رمادي متموِج الخطوط بحيث يشبه (مقطع بصلة). تقدم هذه الكلمة نموذج من صور تغير مراكز الحروف في الكلمة وتقدم صورة من صور تطور الكلمة ومدلولها في اللغات الاوربية.

Bloquer,block: انها (بلق) باللفظ والمعنى وتعني (أغلق الباب) وحسب المعجم الفرنسي، فان الكلمة أتت من (bloc)، ولكن كلمة (بلق) أقرب للكلمة الفرنسية، وان كلمة (block) هي أصلها، ويبدو أن الكلمتان ذات أصل عربي هو (بلق)، وقد تكون block من bloquer والأخيرة من (بلق).

Circus: السين الأخيرة علامة الرفع، يبقى circu التي هي (قرص) أو مقلوبها ونفس حروفها، ومعلوم أن القرص يكون دائرياً، فعمم المعنى على الدائرة ولم يخصص القرص، واللفظ الفرنسي cercle وكذا الإنكليزي circle.

Cauda : (قاعدة، قعدة) باللفظ والمعنى، الذي خَصص فصار يعني (الذَنب) أما اللفظ الفرنسي فهو (queue).

Quartus : (قرطة) وهو (ربع) والكلمة تعني (القرطة من الشيء المقروط، وهي في الإنكليزية (quarter) وفي الفرنسية (quartier).

Quaestio : هي (قيسةٌ) (اسم المرة من قاس يقيسٍ) أو (قياسة) (اسم المرة من قايس، يقايس) باللفظ والمعنى، وصار أكثر تعميماً في اللاتينية، وهو يعني (بحث، تفتيش، تحري)، ثم انزاح أكثر في الفرنسي والإنكليزي (question) ليعني (سؤال).

Déléguer : وهي (قلّد) مقلوب (دلق) والمعنى (قلد منصباً، أوفد، أناب)، ومنها الوفد في الإنكليزية delegation.

Fixer : (خِصف)، وانتقلت الفاء إلى أول الكلمة في اللاتينية والفرنسية فأصبحت فخص = Fixe والخصف هو لصق الشيء على الشيء والالصاق والخصف هو تثبيت، وهو معنى الكلمة fixer.

Ordo: (عرض) لفظاً ومعنى، وفي الفرنسي ordre وفي الإنكليزي order، وكلها تعنيٍ (عرض، أمر). وقريب من اللفظ كلمة offer الإنكليزية وتعني عرض أيضا.

Origo : عرق (أصل) باللفظ والمعنى، وقد تكون جاءت من (عريق) أو (عريقو) واللفظ الفرنسي origine والإنكليزي origin.

Intrudere: الراءِ مِصدرية، والبادية (in) تعني (في) أو (داخلاً) وكلمة (trude) هي (طَرد) باللفظ والمعنى، فيكون المعنى (طرد إلى الداخل) أي صفة الفاعل (دخيل، متطفل)، وفي الفرنسية (intrus) وتعني (أدخل بالقوة أو بعنف) وفي الإنكليزية introduce قدم ومنها introduction مقدمة وتقديم.

Crime: (جريمة) باللفظ والمعنى بعد ابدال الحرف (ج) بالحرف (c).

Familia: انها كلمة (الفئام) ثبتت فيها أداة التعريف (أل) وتبدلت مواقع حروفها، انتقل المعنى من التعميم في العربية (الجماعة من الناس) ومنها (الفئة) إلى التخصيص في اللاتينية والفرنسية والإنكليزية (الجماعة من الناس

المرتبطون ببعضهم عائلياً) أي (عائلة)، واللفظ الفرنسي (famille) والإنكليزي (familly) تعني العائلة.

Fatiguer: (فتخ) باللفظ والمعنى، استرخت المفاصل ولانت وضعفت، أو (أفتخ) أعيا، انبهر، حذفت همزتها، لأنها تلفظ ساكنة. والفتيك نوع من الإجهاد الميكانيكي على المعادن، واللفظ في الإنكليزية واللاتينية (fatigue).

Ogive: أعقف وأعكف باللفظ والمعنى، وهو (قوس قوطية) في الهندسة المعمارية، وحسب المعجم الفرنسي انها كلمة عربية.

Vomir: وهي من (فم) = (vom) وتعني (تقيأ)، ويشبهها (فاه) و(فوه) وتعني (لفظ أي شيء من فيه، و(vomir) يعني (لفظ ما في معدته من فمه)، والمعنى العربي واللاتيني عام، وفي الفرنسية مخصص بما في المعدة.

Finance: من لفظ قديم finer وهي (فنَّ) = مطل، باللفظ والمعنى المعكوس (أدى ما عليه)، ثم اشتقت منها الكلمة الفرنسية والإنكليزية التي تعني: مالية (finantion).

Minus: بحِذف سين الرفع يبقى ِ(minu) وهي (من) = النقص باللفظ والمعنى. (من الشيء = نقص)، ومان = ناقص. وقد يكون أصل minu هو (منه) وهي اختصار (ينقص منه) واللفظ الفرنسي لها (moins) والإنكليزي minus.

Solidus: (صلْد) باللفظ والمعنى، واللفظ الإنكليزي solid مطابق تماماً للفظ العربي، وصلد وصلب نفس المعنى واللفظ متقارب أيضاً. أما اللفظ الفرنسي (sou)، فتغير لفظاً ومعنى (عملة صغيرة القيمة).

Jungere: (شنق) باللفظ والمعنى بعد ابدال الشين بالحرف (j)، شنق القربة = جمع أطرافها، شنق رأس الدابة إلى شجرة = شدّه اليها، شنق الشيء = علّقه، شنق اليد إلى العنق = غلّها اليها، أي أن معنى (شنق) العام هو: جمع، ربط، علق، وهو المعنى اللاتيني، واللفظ الفرنسي joinder والإنكليزي join.

Bouco : من (بـق) وهـو الفـم مـن (bucca) وصــار المعنــى للفـظ الفرنســي (boucau) والإنكليزي (bucca) هو (مدخل المرفأ وبوابـة الميناء)، كما فـي موقع (بوكا في البصرة).
Nasus (nozzle): واللفظ الفرنسي (nez)، في السريانية ناثا ونيث تعني الأذن (nez) وهـي مقلـوب الكلمـة العربيـة (أذن)، والأنـف فـي السـرياني بوقـا التي هي في العربية واللاتنية تعني (الفم). أي الجذر العربي لـي (nozzle, nez) هي ناث وناذ وهي أذن. وnez الفرنسية، أنتقلت نونها إلى أول الكلمة وأنتقل معناها من الأذن إلى الأنف وهو الخيشوم أو الخشم، كما في عامية العراق.
Professio : مكونــة مـن البادئـة (pro) = أمـام، إلــى أمــام.. وهــي (بـرى) (انبـرى = اعتـرض، تبـرى = تعـرض) ومـن كلمـة (fessio) = فشـو، فيكـون المعنى الكلي (أمام الإفشاء أو إفشاء إلى الأمام) وهو (الإفادة، البيان، الإبلاغ) واللفظ الفرنسي للكلمة (profession) وكذا في الإنكليزية.
Profilo: مكون من البادئة (pro) = = قدام إلى الأمام، وكلمة filo وهي فَلْع = شـق، ويكـون المعنـى (الشـق مـن الأمـام أو مـن أمامـه) الـذي يعطـي المعنـى (المظهـر الجـانبي) واللفـظ الفرنسـي (profil) والإنكليـزي (profile) يعنـي نبـذة تعريفية عن الشخص.
Proclamer: مكونه من (pro) و (clamer) كلم لفظاً ومعنى أي (أشهر، نادى بصوت عال)
Procedere: مكونه من (pro) ومن (cedere) وهي (صدر) لفظاً ومعنى بـدمج الـراء مـع الـراء المصـدرية، واللفـظ الفرنسـي (procéder) تعنـي (انبثـق، صدر)
Carafe: الغراف = مكيـال ضـخم ومنـه الغراف، وحسـب المعجـم الفرنسـي فـان الكِلمة انزلقت عن طريق الايطالية، والكرف = الدلو من الجلد وجمعه الكراف. والقروف = الجِراب، ومِنها الجاروبة، وصار معنى الكلمة الفرنسية (الدورق).
Capeler: كبل أو كبل باللفظ والمعنى مع التخصيص (عقد حبلاً، أنشط حبلاً).

Minor : من = نقص أو من كلمة معن التي تعني (القصير، القليل، الهين، اليسير) واللفظ الفرنسي للكلمة moindre.

Phantasma, fantom: (فنطس) المندائية باللفظ والمعنى وتعني (الشبح) ومنها الكلام الفنتازي (الشبحي والخيالي)، واللفظ الفرنسي (fantòme) قريب من الإنكليزي (fanton) ويمكن أن يكون أصل الكلمة من fan = فان لفظاً ومعنى ومن ôme، وتلفظ homme = أنسان فتصبح (أنسان فان) أي شبح.

Assurer : هي أزرٍ (التأزير = التقوية)، ونصر مؤزر = بالغ وشديد أو ثابت ومؤكد، وهي أيضا من أسر = شد، والأسرة = الدرع الحصينة، وهي تؤمن صاحبها. و (الأصير = تثبيت البيت بالاصار)، والوزر = كل معقل، والماجأ، والمعتصم، وهي تفيد معنى التأمين والتأكيد وتوفير الأمن، ومنها assurance وتعني التأمين في اللغة الإنكليزية وغيرها.

Rotundiar: الراء مصدرية، يبقى (rotundia)، وهي تدوير (تدويرن) مع تغير مواقع الحروف في اللاتينية، واحتفظت بالمعنى العربي، ومنها الفعل الإنكليزي rotate بمعنى يدور و rototion دوران.

Movere : هي (مور) = التحرك باللفظ والمعنى وقد أدمجت الراء مع راؤها المصدرية، ولعلها من المشتقات التصريفية: (مور أو موَّر). وفي القرآن: ﴿يوم تمور السماء مورا. وتسير الجبال سيرا﴾[1]. واللفظ الفرنسي لها (mouvoir) والإنكليزي move ومنها motion و movement (الحركة).

Matraque: مطرقة باللفظ والمعنى،وأضيفت أليها معنى (دبوس) الآلةالحربية.

Tarder: تأرض (تأنى وانتظر، تثاقل إلى الأرض) باللفظ والمعنى، وصارت تعني (تأخر، أبطأ، تعوق) ومنها في الإنكليزية (retard) تباطأ.

[1] سورة الطور/ ٩-١٠.

Antique: وهـي مـن كلمـة (عتيـق) بـاللفظ والمعنـى، والنـون مقحمـة تحـذف لتصبح (أتيك) = عتيق. والنون لعلها نـون تنـوين (عتيـق) أدمجـت فـي الكلمـة وتغير موقعها.

Posse: بحذف حرف (p) المقحم، يبقى (osse) وهي من أص أو عص (أصت الناقة، أشتد لحمها، فالأص هو الشدة، والعص هو الصلابة والاشتداد) وانـزاح المعنـى الفرنسـي إلـى القـوة والقـدرة فـي لفظـة pouvoir ومنـه اللفـظ الإنكليزي power ويعني القدرة والقوة أيضاً.

Poena: نحذف حرف (p) المقحم في المفردة اللاتينية يبقى (oena) التي هي (عناء أو إعناء) باللفظ والمعنى (نصب، أذى، هم) وهو في اللغة الفرنسية peine واللغة الإنكليزية pain. كما أن هناك تخريج مباشر وهو أن peine مقلوب (نوبة) أو نائبة) وبنفس معناها. والنائبة هي المصيبة والأذى.

Presser: يحـذف (p) المقحـم والـراء المصـدرية، نحصـل علـى (resse) = رص باللفظ والمعنى، أي كبس، ومنها press الإنكليزية وكذلك pressure وهو الضغط أو الكبس.

Populus: نحذف سين الرفع و (p) المقحمـة، يبقـى opulu وهـي (إبالـة = جماعة) أو (أبله = قبيلة) باللفظ والمعنى، الذي صار في الفرنسية أكثر تعميماً (الشعب) ويلفظ (peuple) كما يلفظ في الإنكليزية (people).

Park: موقف السيارات، ومثلها (break) وتعني ايقاف، وهي كلمة (برك) العربية، وبرك البعير أي توقف وأناخ وجلس على ركبتيه.

Lobby: كلمـة انكليزيـة انزلقـت مـن الفرنسـية حسـب المعجـم الفرنسـي larousse، بمعنـى (ممشـى، رواق) وأعطيـت معنـى مجازيـاً هـو (جماعـة الضغط)، لكن الكلمة موجودة في العربية، وهي كلمة (لوْ بة) وتعني (القوم مع القوم فلا يستشـارون فـي خيـر أو شـر) وهو قريب من المثل العامي: (خراعـة خضـرة) أو (خيـال المآتـه) أو (الفزاعـة) للاشـارة الـى عـدم جـدوى وفائـدة وجـود شـخص أو مجموعـة مـن النـاس مـع الجماعـة، وهـم الـ(لوبة) ثـم صـارت فـي الإنكليزية والفرنسية تعني (القوم مع قوم يضغطون عليهم ليقنعوهم بأفكارهم) أي

أن الكلمة احتفظت بمعناها الأساس (القوم، مجموعة من الناس) وانزاح المعنى الآخر، من (القوم المهملين) في العربية الى (القوم الضاغطين) في الإنكليزية والفرنسية.

Précipiter: بحذف (p) المقحم، يبقى (recipite) وهي (رسبت) باللفظ والمعنى، والتاء هي تاء التأنيث كما هو واضح من الكلمة. وفي الانكليزية precipitation تعني ترسيب أو راسب.

Laxare: هي (طخَّ) باللفظ والمعنى، بعد تحويل (x) إلى خاء وحذف الراء المصدرية وتعني (لمس لمسة سريعة أو عابرة) في الإنكليزية touche وفي الفرنسية tâter.

Rapide: هي (ربذ)= سريع، وفي اللفظ الإنكليزي rapid أي سريعٍ نفسها.

Calibre : قالب = عيار، أضيفت اليها الراء، وانزاح المعنى قليلاً وفي دائرة القالب، ومنها calibration تعيير أو ضبط في الإنكليزية.

Cantherius : هي قنطرة = دعامة، لفظاً ومعنى، واللفظ الفرنسي chantier تغير اللفظ والمعنى، وتعني (ورشة).

Passer : باص أو فاص باللفظ والمعنى (ذهب) وقد تكون أيضاً (بس). ومنها في الإنكليزية bus وbuses خطوط النقل.

Petia: إنها (بتّة) أو فتّة (فتات) وتعني (قطعة) من فعل بتّ = قطع، والبتات هو الأمر المقطوع فيه، ومنها بتاتاً والبتة، واللفظ الفرنسي المنزلق من اللاتيني هو (piéce) وقريب منه الإنكليزي، نلاحظ الفرق بين اللفظ اللاتيني والفرنسي أكبر بكثير فيما بين اللاتيني والعربي. ولعل لفظة (bet) الانكليزية من نفس المصدر اللاتيني العربي (petia) أو من الأصل العربي (بت) مباشرة وهي القطعة أو القضمة.

Discuter: (جادل، باحث، ناقش) مركبة من البادئة (dis) ومن (scuter) التي هي (سكت) أدغمت سيناهما في واحدة، وأصبح المعنى: انفصل أو تباين عن السكوت وهو معنى الكلمة اللاتينية والفرنسية (ناقش، جادل...) ومنها في اللفظ الإنكليزي discussion وdiscus، ناقش، مناقشة.

Distribuer: مركبة من (dis) ومٍن (tribuer) وهي (ضرب) = خلط أو أفسد، الضاد تحولت إلى تاء لزوماً، فيكون المعنى: (تباين أو باين الخلط أو الإفساد) وتعني (وزّع، فِرق، نظّم) واللفظ الإنكليزي لها distribute و distribution وتعني وزع، توزيع.

Districtus: مركبة من (dis) ومن (trictu) حيث حذفت سين الرفع، التي هي (ترك) أقحمت عليها تاء التأنيث، فيصبح المعنى (تباين عن الترك) أي (مربوط، معلّق بشدة). أما اللفظ الفرنسي district فقد ابتعد معناه عن اللاتيني والعربي، وأصبح (مقاطعة، ولاية، منطقة، دائرة). وهو ذاته معنى اللفظ الإنكليزي والفرنسي distraction.

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم.
٢. تفسير ابن كثير/ دار المعرفة ط.بيروت، سنة ١٩٨٢م.
٣. تهذيب سيرة ابن هشام/ عبد السلام هارون.
٤. الإصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر العسقلاني.
٥. تذكرة الحفاظ/ للذهبي/ دار إحياء التراث/ بيروت.
٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ الهيثمي/ دار الكتاب/ بيروت،ط.١٩٦٧م.
٧. تاريخ الرسل والملوك/للطبري/ تحقيق أبو الفضل/ دار المعارف–القاهرة.
٨. البداية والنهاية، لإبن كثير/ نشر دار الكتب العلمية ط.بيروت١٩٨٨م.
٩. الطبقات الكبرى/ لإبن سعد / دار صادر– بيروت.
١٠. حلية الأولياء ودلائل النبوة (كتابين)/ لأبى نعيم الأصفهاني.
١١. البرهان في علامات المهدي/للمتقي الهندي/تحقيق جاسم مهلهل/١٩٨٨م.
١٢. تاريخ الخلفاء/ جلال الدين السيوطي.
١٣. التنبيه والأشراف/ المسعودي ط. طهران.
١٤. مروج الذهب/ المسعودي ط. بيروت.
١٥. العقد الفريد/ لابن عبد ربه الأندلسي.
١٦. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ لإبن عنبة.
١٧. جمهرة أنساب العرب/ لإبن حزم الأندلسي.
١٨. الفصل في الملل والنحل/ ابن حزم الأندلسي.
١٩. الملل والنحل/ للشهرستاني.
٢٠. أنساب الأشراف وفتوح البلدان (كتابان) / للبلاذري.
٢١. تأويل مختلف الحديث/ لابن قتيبة الدينوري.
٢٢. الطب النبوي/ ابن القيم الجوزية.
٢٣. نهاية الإرب في أنساب العرب/ للنويري.
٢٤. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب/ للآلوسي.
٢٥. سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب/ للسويدي.
٢٦. نسب قحطان وعدنان/ للمبرد.

٢٧. صبح الأعشى/ للقلقشندي.
٢٨. مقدمة ابن خلدون.
٢٩. معجم البلدان/ ياقوت الحموي.
٣٠. لسان العرب/ لابن منظور.
٣١. تاج العروس/ للزبيدي.
٣٢. الأغاني/ لأبي الفرج الأصفهاني.
٣٣. مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني.
٣٤. تاريخ المذاهب الإسلامية/ الشيخ محمد أبو زهرة.
٣٥. التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير/ محمد فتحي عثمان.
٣٦. تاريخ الأمم الإسلامية/ مجلدان/ محمد الخضري بك.
٣٧. تاريخ الإسلام السياسي/ د. حسن إبراهيم حسن.
٣٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ د. جواد علي.
٣٩. مفصل العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة.
٤٠. تاريخ العرب في الجاهلية / رشيد الجميلي.
٤١. تاريخ العرب/ د. محمد أسعد طلس.
٤٢. السنة ومكانتهافي التشريع الإسلامي/د.مصطفى السباعي ط.مصر ١٩٦١.
٤٣. تربية الأسرة في هدي القرآن والسنة/ د. محمود أحمد عبود.
٤٤. حصوننا مهددة من داخلها/ د. محمد محمد حسين.
٤٥. إبراهيم أبو الأنبياء/ عباس محمود العقاد
٤٦. أباطيل وأسمار/ الأستاذ محمود شاكر.
٤٧. الرسول في قلوب أصحابه/ وليد الأعظمي.
٤٨. السيف اليماني في نحر الأصفهاني/ وليد الأعظمي.
٤٩. البيوتات والقبائل الهاشمية/ يونس السامرائي.
٥٠. نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق/ يوسف غنيمة.
٥١. الدولة العلية العثمانية/ محمد فريد وجدي.
٥٢. اليهود والدولة العثمانية/ د. أحمد نوري النعيمي.
٥٣. يهود الدونمة/ د. أحمد نوري النعيمي.
٥٤. الغارة على العالم الاسلامي/ شاتيليه/ تحقيق محب الدين الخطيب.

٥٥. التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي/ الأمير شكيب أرسلان.
٥٦. التبشير والاستعمار/ عمر فروخ والخالدي.
٥٧. تاريخ البشرية/ آرنولد توينبي (جزءان).
٥٨. حضارة العرب/ غوستاف لوبون.
٥٩. شمس العرب تسطع على الغرب/ د. زيغريد هونكه.
٦٠. المئة الأوائل/ د. مايكل هارث.
٦١. الإسلام على مفترق الطرق/ ليو بولد فايس.
٦٢. الطريق الى مكة/ ليو بولد فايس.
٦٣. قصة الحضارة/ ول ديورانت.
٦٤. قصة الفلسفة/ ول ديورانت.
٦٥. عالم صوفي/ بوستين جاردر.
٦٦. التاريخ القديم لشعب إسرائيل/د.توماس ل.طمسون،ط.بيروت/دار بيسان.
٦٧. صناعة اللوبي الصهيوني في أمريكا/ ط. بيروت
٦٨. صلاح الدين والصليبيون/ عبد الله سعيد الغامدي.
٦٩. الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها/ د. ماجد عرسان الكيلاني.
٧٠. أثر الاستشراق في كتابات فيليب حتي/ د. فاضل محمد الكبيسي.
٧١. تاريخ الشعوب الإسلامية/ كارل بروكلمان.
٧٢. أعمدة الحكمة السبعة/ لورنس العرب.
٧٣. نهاية التاريخ/ فرنسيس فوكوياما.
٧٤. صدام الحضارات/ صموئيل هنتكتون.
٧٥. ثقافة الوسط/علاء الدين المدرس،ط. عمان/ عالم الكتب الحديث ٢٠٠٦م.
٧٦. في آفاق عولمة اللغة والتاريخ/ علاء الدين المدرس، ط. عمان ٢٠٠٨م.
٧٧. الطريق إلى المدينة / أبو الحسن الندوي.
٧٨. صورتان متضادتان لنتائج جهود النبي ﷺ/ أبو الحسن الندوي.
٧٩. أم القرى مكة المكرمة / فؤاد علي رضا.
٨٠. شفا الغرام بأخبار البلد الحرام/ لأبي الطيب المكي.
٨١. فضائل بيت المقدس / الدكتور محمود إبراهيم.
٨٢. المسجد الأقصى حقائق لابد أن تعرف / عيسى القدومي.

٨٣. عمدة الأخبار في مدينة المختار/ الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسي.
٨٤. قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية/ خليل عبد الكريم، ط. بيروت.
٨٥. ملامح في فقه اللهجات العربيات/ د.محمد بهجت قبيسي، ط.دار ١٩٩٩م.
٨٦. حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم/ د.محمد قبيسي.
٨٧. أصل الإنسان/ د. موريس بوكاي.
٨٨. دراسة مقارنة للكتب المقدسة/ د. موريس بوكاي.
٨٩. أعماق الكون/ المهندس سعد شعبان- دار الفلاح/ الكويت، ١٩٨٥م.
٩٠. موسى والتوحيد/ سيجموند فرويد.
٩١. الأساطير في المعتقدات القديمة والتوراة/ د.علي الشوك.
٩٢. مقدمة في تاريخ الحضارات/ الأستاذ طه باقر.
٩٣. العهد القديم والعهد الجديد (الكتاب المقدس/ التوراة والإنجيل).
٩٤. أنبياء القرآن/ الشيخ عبد المجيد همو.
٩٥. مصادر التوراة/ الشيخ عبد المجيد همو.
٩٦. الخبر بالبرهان والدليل على أن يعقوب غير إسرائيل/ سويد الأحمدي.
٩٧. طوفان نوح / عبد الرحمن غنيم، ط. دمشق- دار الجيل.
٩٨. اليهود بين القرآن والتوراة والتاريخ/ عبد الرحمن غنيم، ط. دار الجيل.
٩٩. خفايا التوراة/ د.كمال الصليبي.
١٠٠. التوراة جاءت من جزيرة العرب/ د.كمال الصليبي.
١٠١. الحصان العربي وخيول العالم/ ترجمة محمد غسان سبانو/ دمشق.
١٠٢. الخيل العراب وفضلها على الأنسال العالمية/ الأرضرومي/ بغداد.
١٠٣. عروبة البربر/ محمد علي مادون.
١٠٤. تاريخ البلوش/ د. عدنان العطار.
١٠٥. أطلس تاريخ الإسلام/ د. حسين مؤنس.
١٠٦. أطلس القرآن/ د. شوقي أبو خليل ط. دار الفكر- دمشق.
١٠٧. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين/ نذير حمدان، ط١، جدة.
١٠٨. ألواح سومر/ صموئيل كريمر.
١٠٩. من ألواح سومر إلى التوراة/ د. فاضل عبد الواحد.
١١٠. التفسير الإسلامي للتاريخ/ د. عماد الدين خليل.

١١١. حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي/ د. عماد الدين خليل.

١١٢. كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ محمد قطب.

١١٣. **دراسات تاريخية في القرآن الكريم/د.محمد بيومي مهران، ط. دار النهضة.**

١١٤. تاريخ اللغة العربية لغة العالمين/ عبد الرحمن بن عطية، ط١ ٢٠٠٧م – دار هومة. (صدر باللغة الفرنسية في الجزائر).

١١٥. اللغة الفرنسية لغة عروبية/ محمود عبد الرؤوف القاسم، ط. الأردن.

١١٦. من جغرافية القصص القرآني/ محمود عبد الرؤوف القاسم.

١١٧. بنو إسرائيل والعبرية الحديثة/ علي رؤوف سيد، ط. جامعة الكويت.

١١٨. الظاهرة القرآنية والعقل/ علاء الدين المدرس ط.عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

١١٩. العرب من اليمين إلى اليسار/خالد محمد جمد ط.عالم الكتب ٢٠٠٦م.

١٢٠. اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية/ إسماعيل العرفي ط.١٩٨٥م.

١٢١. كتاب: تاريخ اليمن القديم/ محمد عبد القادر بافقيه.

١٢٢. إسرائيليات معاصرة/ د. صلاح الخالدي.

١٢٣. شرح نهج البلاغة/ لابن أبى الحديد.

١٢٤. المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام/علاءالدين المدرس،ط.القاهرة٢٠٠٥.

١٢٥. عولمة اللغة والتاريخ/علاء الدين المدرس ط.عالم الكتب الحديث–الأردن.

١٢٦. عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام/سليمان العودة.

١٢٧. لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث/ د.علي الوردي.

١٢٨. التشيع العلوي والتشيع الصفوي/ د. علي شريعتي.

١٢٩. هكذا تكلم علي شريعتي/د. فاضل رسول/ دار الكلمة – بيروت.

١٣٠. تطور الفكر السياسي الشيعي/ أحمد الكاتب/ دار الشورى، لندن١٩٩٧م.

١٣١. مختصر التحفة الاثني عشرية/ محمود شكري الالوسي ١٩٧٩م.

١٣٢. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة/ د. ناصر القفاري/ دار طيبة.

١٣٣. حقائق عن الغزو الفكري للإسلام/ أنور الجندي.

١٣٤. ماذا يعني الاستقلال الحضاري/ د. محمد عمارة.

١٣٥. الصراع الفكري/ مالك بن نبي.

١٣٦. قاموس المورد/ منير البعلبكي، ط. بيروت ٢٠٠٥م.

١٣٧. المعجم الفرنسي لاروس Larousse.

139 . ALOCUTIONS ETRANGERE S. PAR. EDOUARD

صدر للمؤلف

١- الظاهرة القرآنية والعقل ط. بغداد سنة ١٩٨٦م.

٢- النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة ط. بغداد سنة ١٩٨٨م.

٣- الوصايا الخالدة في القرآن الكريم ط. بغداد سنة ١٩٩٢م.

٤- أمراض المجتمع في القرآن الكريم ط. بغداد سنة ١٩٩٢م.

٥- أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ط. بغداد ٢٠٠١م.

٦- القرآن يقوم وحده ط. بغداد ٢٠٠٩م.

٧- النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة. ط. بغداد وعمان والدوحة والقاهرة بين سنة ١٩٩٨ – ٢٠٠٦م.

٨- الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة ط. بغداد وعمان.

٩- فضائل جيل النبوة في القرآن والسنة ط. بغداد ٢٠٠١م.

١٠-شخصيات قرآنية في عصر التابعين ط. بغداد٢٠٠١م.

١١-ثقافة الوسط ط. بغداد وعمان سنة ٢٠٠٤– ٢٠٠٦م.

١٢-الوسطية والاعتدال في التاريخ والتراث الاسلامي ط.بغداد ٢٠١٢م.

١٣-مسألة الوحدة والتقريب بين المذهبية السمحة والاستقطاب.. ٢٠١١م.

١٤-تراث الأنبياء بين العلم والقرآن والتوراة ط. بغداد سنة ٢٠٠٠م.

١٥-عولمة اللغة والتاريخ ٢٠٠٨م ط. عالم الكتب الحديث–الأردن.

١٦-العولمة وأثرها في التربية والمجتمع العربي ط. عمان ٢٠١١م.